وزارة المعارف العمومية

كتاب البخلاء

والجاحظ المسرحُ اللعو   بُ يغوص للدرّ الفريد
« الجارم »

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

ضبطه وشرحه وصححه

أحمد العوامرى بك
المفتش الأوّل للغة العربية سابقا
وعضو مجمع اللغة العربية الملكى

على الجارم بك
المفتش الأوّل للغة العربية
وعضو مجمع اللغة العربية الملكى

الجزء الأوّل

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٥٦ هـ — ١٩٣٨ م

طبع بأمر من وزارة المعارف العمومية ليكون فى طليعة الكتب
التى تعنى الوزارة بنشرها إحياء للأدب العربى القديم
حقوق الطبع محفوظة للوزارة

مقدمة

ليس من غرضنا فى هـذه الكلمة أن نجـلو على القارئ — فى بَسْط و إسهاب — فنّ الجاحظ وأدبه، ولا أن نتناول ذلك الكاتب الرفيع الشأن بالنقد والتمحيص، ولا أن نقايس بينه و بين فطاحل العصر العباسىّ وغيره من الكتّاب والمنشئين. فتلك دراسات طويلة، جديرة بأن تُفْرد بالتأليف، وأن يُعْنَى بها العناية اللائقة بها . ٥

نعم لا تزال دراسة الجاحظ بعد تلك القرون المتطاولة كما خلَّفها السَّلف، تُراثا مُبعْثرا هاهنا وهاهنا، وأخبارا وآراء مُقْتَضبةً، غير ملتئمة ولا مُبوَّ بة ولا مفصَّلة — مُشَتَّتة فى بطون الأسفار، وبخاصة كتبُ التراجم التى قلَّما تعنى بنقْد أو تحليل، أو استيعاب وتمحيص .

ولم يَبْرَح الطُّلاب فى مدارسنا يدرسون الأدب، ولا يُلِمُّون من فنّ الجـاحظ إلا بِفِقر مبتورة من كتبه ، إلمـاما لا عُمْق فيه ولا استقصاء . بل قُل إنّه إلمـام ألفاظ وتراكيب قد ١٠ يكون الغرض منها أداء الامتحان . ثم لايعودون يسمعون بالجاحظ، ولا يقرءون له ولا لغيره بعد ذلك أبدا . وللطالب أشدُّ العذر فى قُصوره هذا، وجهله بأدباء لغته الأفذاذ، إذ لاتزال كُتُب الأدب التى تَحفِزه للدرس والمطالعة نادرةً بين يديه ، ولا يزال هـذا العصر ضَنِينا أن يُزوِّده من الأدب القـديم دراساتٍ منوّعة تحلُّ له المُغْلق ، وتكشف الغامض — دراساتٍ محبَّبة يَخْلُو إليها، ويستقلّ بها، ويُسيغها، فتنمو ثروته من الأفكار والأساليب الجزْلة السليمة، ١٥ حتى ينضَج ذوقه الأدبى، ويَغْزُر مَعينُه اللّغوى .

فلذا صحّت إرادتنا أن نقـدّم إلى الطلاب وغيرهم من عُشّاق الجاحظ (كتابَ البخلاء)، وهو من غُرر كتبه، ومُتْعةٌ من مُتَعه، بعدَ أن جَهَدْنا فى تصحيحه وضبطه، وأنفَدْنا الوُسع فى جَلائه وشرحه .

وسنحاول فى هـذه العُجالة أن نَعْرِض لفنّ الجاحظ كما وَعَيْناه من (البخلاء) وحده، وكما تذوَّقْناه ، غير مقلِّدين فى أحكامنا ، ولا محتذين فى استنباطنا ، مؤلِّفا قديما ، أو ناقدا مُعاصرا ؛ لعلَّ الطالب حين يقرؤه ويُجَلِّيه ، يُسايرنا فى الاستقلال بالحكم ، والانفراد به . فإنَّ الأدب ليس مُحاكاة بل ذَوْقا ، وليس استظهارا بل فَهْما .

٥ فهذا الكتاب يمثِّل لك لونا ممـا عالج الجاحظ ، وفنًّا من فُنُونه الجمَّة ، وموضـوعا من موضوعاته المتعدِّدة ، قـد يكون أَهْوَنَها وأَيْسَرَها عليه . فقـد زعموا أنه أملاه وهـو مَفْلوج فى أُخْريات أيّامه . وناهيك بمن يُفَكِّر ويُمـلى وهو على حال من الألم مُمِضّ ، وفى ذهن من الوَجيعة مَكْدُود (١) .

كتب الجاحظ نحو خمسين ومائة من الكتب المختلفـة البحوث ، غير ما لم يصلنا خبره ١٠ ولم نسمع به ، ممـا أودت به الأيام ، فَخُرِمَ العالَم ثمراته وطيِّباته . فلم يكن الجاحظ إذًا كالجلَّة ممن عاصروه من الكُتّاب أو خَلَوْا قبله ، محصورا فى حيِّز ، أو مقصورا على موضوع . بل انطلق فى جِواء المعرفة يُهدى إلى العربية ما لا يَزال على تَقادُم عهده جديدا طريفا .

وقد يكون (كتاب البخلاء) أَيْسرَ كتبه عليه كما قلنا — ولكنه كتاب مُدْهش حقا ، بديع فى صَوْغه ونسـجه وموضوعه . فهل سمعنا أنّ البخل أُفْرد بالتأليف على ذلك النسق الفـذّ ، ١٥ وعولجت فيه نفسيَّات البخلاء ومُيولهم وأهواؤهم وفلسفتهم على هـذا الغِرار العجيب ، والنَّظْم الفائق ، والاستيعاب الباهر — فى قِصص مُمْتعة ، وأخبار شائقة ؛ يقرؤها الأديب فيطرَب ، وغير الأديب فيعجَب ؟

بل إنا لا نعـدو الحق إذا زعمنا لك أن الجاحظ سبق الناس جميعـا ، فوضع فى هـذا الكتاب أصول (علم البخل) وفلسفته ، من حيث إن البخل عَرَض من أعراض النفس ،

---

٢٠ (١) راجع قصة الجاحظ مع محفوظ النقاش ، ص ١٤ تر ما يعزز هذا الرأى .

وغريزة من غرائزها . واحتجَّ له بما لا مزيد معه لمستزيد، فى أثناء القَصَص، وتضاعيف الجَدَل ، بما يَبْهَر اللُّب ، ويسحَر النفس ، لُطْفَ حِياكة ، وبراعةِ صِياغة ، وكمال تأتّ .
حتى إن القارئ ليفرغ من الكتاب وليس فى نفسه صورة من صور البخل ، مما قد يقع فى الحياة ، ويخطر على القلب، إلا صادفها فيه، ولمسها فى جَنباته .

وقد وصَم بخلاء هذا الكتاب الكَرَم بكثير من المثالب ، وتجنَّوْا عليه، فى مُلَح نادرة ، وفصول بارعة ، فى فائق من التعبير والتصوير والحِجاج ، وفى طريف عَذْب من المبالغة والإغراق .
على أنّك تلمح وجوه السفسطة فى كثير منها بارزةً سافرةً . ولكنّك مع ذلك تستملح هذه السفسطة وتستعذبها، وتبتسم لها ، وتُعْجَبُ بها .

لم يَجْهَد الجاحظ إذْ صوّر البخلاء فى كتابه هذا . لأنه لم يَبْعثهم من بطون التاريخ، وقديم الأخبار ، وعتيق الأسفار . بل جاء بهم من بِيئته هو ، واستمدّهم من خُلَصائه وخلطائه ذوى الظَّرف والدُّعابة، إمّا من البصريين ، وإمّا من البغداديين ، وإمّا منْ غير هؤلاء وأولئك ممن سمع عنهم ، أو رُويت له أخبارهم فى البخل، ومذاهبهم فى الجمع والمنع .

ثم خَلَع عليهم جميعا من أسلوبه ، وكساهم من رشيق لفظه ، وحُلْو تنسيقه، بهاءً ونورا .
حتى إنّك لتقرأ فترَى هؤلاء الذين دَرَجُوا وطوتهم الأيام ، أحياءً متكلّمين ، مُجادلين مُناضلين ، جادّين ، أو عابثين هازلين ، يفهمون الحياة على نَحْوٍ من الفهم قد يكون غريبا ، وقد يَبْدُو لك، وأنت تقرأ، عجيبا .

وإنه لتطالعك صُوَر حيّة نابضة من حياتهم التى كانوا يَحْيَوْن، وكيف كانوا يضطربون فى تلك الحياة، ويتعاملون ويتفاهمون ، ويَغْدُون ويروحون .

ولكن لا تعجب، فالجاحظ هو الذى يكتب ، والجاحظ هو الذى يصوِّر، بما وسِعه عقله من دِراية بنوازع النفس ومُيولها وأطماعها، وإحاطة بأساليب الحياة فى بلاده وعصره .

فالجاحظ بين الكتّاب ممن أوتوا مَوْهِبة الوصف البارع ، والخيال الرائع ، والتصوير الفائق . ففى كل صفحة من البخلاء صُوَر تُبْهِج النفس ، وتغذّى الخيال وتَشْحَذُه ، بما فيها من ألوان دبّجتها يَدُ صَناعٌ ، وفكرة عجيبة ، فى نواحٍ من الحياة ، وفنون من الاجتماع وللأهواء البشرية .

٥ والعجبُ أنّ الجاحظ مع ماله من هذه القدرة فى النثر، كبا فى ميدان النظم : فقد رُويت له مقطوعات قليلة فى أغراض مختلفة، جاءت كلّها وليس عليها من رُواء الخيال وديباجة الشعر، ما يمكن أن يُنْظم به فى سلك الشعراء .

وكأنّ الله تعالى أراد أن يدّخر هذا العقل الكبير للنثر، وألّا يوزّعه بين الصناعتين، حتى يَقْتَعِد الجاحظ غاربه، وينْفردَ بإمامته غير منازَع .

١٠ وقد يخيّل إلى القارئ بادِىَ الرأى إذْ يقول الجاحظ : (حدّثنا) أو (أخبرنا) ، أنه يسوق كلام غيره، كما فى رسالة الكِندى مثلا . ولكن حقّق النظر، وأعْمِل الفكر، فلست فى الجملة ترى لغير الجاحظ قولا ، ولا غَيْرَ أسلوبه أسلوبا ، ولا غير رُوحه رُوحا . اللهم إلا ما عُرِف لغيره ، كرسالة سهل بن هارون ، و إلا ما يرصّع به أحاديثه من أثر مشهور ، أو قول مأثور ، عن إمام أو صحابىّ ، و إلا ما يَعْرِضه فى أقواله من حديث شريف أو آية كريمة .

١٥ وقد يكون كثير من المعانى لغيره ، وقد تكون القصّة لسواه ، وقد تكون النادرة قديمة، وقد تكون الرواية مشهورة قبله . ولكن الدِّيباجة ديباجتُه ، بما تُشْرِق به من رَصانة وجُزُولة، لا أثر فيها للصنعة ، ولا عَمْدَ إلى التحسين البديعىّ .

و إنّما هو أسلوب من الكتابة انفرد به الجاحظ من بين أئمة الترسّل — أسلوب أعيا المقلّدين، وانقطعت دونه أسباب المتشبّهين . فإنّ له لَرَنّة، و إنّ له لَنَبْراً، و إنّ له لَرَوْعة . و إنّ

٢٠ له لطَعْما غير تلك الطُّعوم التى نتذوقها فى كتابات البلغاء قديمهم وحديثهم .

يُدرك تلك الخصائص فى أسلوب الجاحظ من عاناه فى مختلف كتبه، وتوفّر عليه فى متنوّع تصانيفه . عندئذ يمكنه أن يحكم أنّ هذا المقال أو ذاك، أو تلك النادرة أو القصّة، من صَوْغ الجاحظ أو من صوغ غيره، بما وَقَر فى نفسه واستحكم لها من فنّ الجاحظ وطريقته .

وللجاحظ فِقَرٌ يعطف بعضها على بعض فى غالب ما يكتب، يُرْسِلها فى غير تكلّف ولا تَعَمُّل، تَحْلُو فى النفس، وتعذُب على السمع . وإنها لأشهى من سَجْع البديع والحريرى وأضرابهما من المتكلّفين، الذين أعْيتهم المعانى، فوقفوا عند الألفاظ وزُخْرفها . فالجاحظ كاتب امتاز بِحِدّة العقل، وغزارة العلم، وسلامة المنطق، وبعد الغَوْر، فيما يتصدّى له من مَوْضوع . فما حاجته إلى الزينة والزُّخرف ؟ وما افتقاره إلى التَصنّع والتكلّف ؟ وإنما هو رجل تحقيق وتعمّق . تلمح دائما فى تضاعيف أسلوبه الفخم مقدّمات (المنطق) ونتائجَه، ولو فى القصة قدْ يسوقها للزاح والاستضحاك، فتحسّ كأنّه يريدك على التسليم لما يُقرّر، وإن كنت تشعر فى قرارة نفسك أحيانا أنه إنما يَبْنِى على السَّفسطة، وأنه إنما يعمِد إلى المُفاكهة، لا إلى الجِدّ . وهذا سرّ جمال فكاهته فى (كتاب البخلاء) .

وقد يُفرِّع بما أوتيه من قُوّة العارضة والاستنباط على الشىء التافه الحقير، أحكاما وقضايا خطيرة، مُتَسلْسلة مُتعاقبة، يستدرجك أن تسلّم فيها بكلّ مقدّمة، فإذا أنت أمام موضوع عويص مترامى الأطراف، وإذا أنت فى خِضَمّ متلاطم من الآراء، وإذا أنت تشهد صِراعا بين الخُلُق والشهوة، وبين الضعف والقوّة، وبين ما يُقال إنه حقّ، وما يقال إنه ليس بحق . وهو فى كلّ ذلك يعبث بعقلك، ويوهمك فى مجال الهزل أنه جادّ غير هازل — هذه رسالة الكِنْدى الفَخْمة بين المُؤْجِر والمالك، وما ضَمِنَتْه من فلسفة وحِجاج، وما وسعته من نضال وصراع، كيف نَجَمَتْ عن رجل وابنه يُضَيِّفهما المُؤْجِر شهرا أو نحوه، وكيف كانت سبيلا لقواعدَ قُعِّدت، وأصول فى الاقتصاد والعمران بُسطت للدرس، وعُرِضت للبحث، فى أناقة لفظ، وحلاوة وَصْف، وجزالة منطق، وأدب جمّ، وفكاهة نادرة.

وفُنون الجاحظ فى الجَدَل فى هذا الكتاب شتّى، ولها مناح مختلفة ، تدلّ كلّها على رسوخ قدم فى الفلسفة، وعُلُوّ كعب فى المنطق وعلوم الأوائل . وربما نَصَبَ نفسه مُحَاجّا لصديق فى أمر من الأمور ، وقد أرْهَفَ لسانه ، وأعْمَلَ بيانه . فلا يفتأ يُداور ويُصاول ، ويحاور ويُخادع ، حتى يَظْفَر به ويَصْرَعه . وكأنّه وهو الكاتب المجادل يريد أن يُلقى عليك دروسا فى (البحث والمناظرة) ، لتأخذ بأسبابها ، وتحتذى مِثالها عند منازلة الأقران .

ولو أنّ الجاحظ فى هذا الكتاب كان كغيره من الكتّاب يُتْبِع القصّةَ القصةَ ، والنادرةَ النادرة ، عاريةً عن هذا الحِجاج البارع ، لكانت غَثّة باردة ، ولجاءت سَمِجةً فاترة . وكأنّه رأى من أول الأمر أنْ يُفْهِم القارئَ أن كتابه هذا ليس مُجَرَّد أقاصيص وأفاكيه ، بل هو آراء فى البُخْل ، وصُوَر من عُقُول البخلاء ، قد تكون أحيانا شاذّة ، وآونةً سخيفة مضحكة . ولكنها مَدْعومة بحججهم ، مُؤَيَّدة ببراهينهم — فقال فى مطلع الكتاب : (وقلتَ : اذكر لى نوادر البخلاء ، واحتجاج الأشحاء ... ولِمَ سَمّوا البخل صلاحا ، والشُّحّ اقتصادا ، ولم حاموا على المنع ، ونسبوه إلى الحزم ... ولم ... ولمَ) ، لتعلم أنك سَتَقْرأ وتفكِّر ، وأنك ستُواجِه حُجَجا أنضجها العقل ، وقوّمها الفكر ، وأنك سَتُغْرِق فى التأمل والموازنة بين الآراء المتضاربة ، والأدلّة المتعاكسة ، والقياس يُبْطل القياس ، والنتيجة تنقض النتيجة .

نعم وستضحك كثيرا وأنت فى غمار هذا النضال . وستبتسم أحيانا عَجَبا من حسن الصَّوْغ ، ومتانة السبك ، وتمويه الباطل حتى يَعُود كالحق ، وسَتْر الحق حتى يرتدّ كالباطل . نعم ستضحك وستبتسم ؛ فإنّ من أغراض الجاحظ فى هذا الكتاب أن تضحك ، فإنّه قال فى مقدّمته : (وأنت فى ضحك منه إذا شئت ، وفى لهو إذا مللت الجدّ) . كأنّه رأى وهو العالم النفسىّ أن فى مُداركة الجدّ ، ومُواصلة الكدّ العقلىّ ، جَهْدًا وعَنَتا . فنفخ فيه من رُوح الدُّعابة والفكاهة ما يكون به الجَمام والأُنْسة . أو كأنّه أراد أن يَسْتَنّ بسنّته صلى الله عليه وسلم : ففى حديث ابن عبّاس أنّه كان يقول إذا أفاض مَنْ عنده فى الحديث بعد القرآن : أَحْمِضوا :

(أفيضوا فيما يؤنسكم من الكلام) . وذلك أنه لمّا خاف عليهم المَلَال أحبّ أن يريحهم ، فأمرهم بالأخذ فى مُلَح الحديث والحكايات .

فالكتاب كما رأيت ليس بالهَيْنِ اللَّيْن . بل هو كتاب بعيد الغَوْر، عميق المذهب، حِيكت أفكاره وصُبَّت آراؤه فى قوالب سامية من البيان، ومناهج عالية من الدليل والبرهان. فأنت منه فى متاعين : متاع اللفظ ونَقاء العُنصر، ومتاع الفكر فى تعقُّب معانيه وتتبّعها، والظفر بجمالها، والاستراضة بما فيها من خِلابة وجلال .

فهو إلى ما فيه من سُمُوّ الجِماح أُسلوب منقطع النظير من الكتابة . تستمدّ منه كيفما تصفَّحته بارعَ التعبير، ورَصين التأليف، وساحر التركيب . وترى منه كيف يكون اختيار اللفظ للمعنى، وانتقاءُ المعنى للفظ، وكيف تكون البلاغة الممتنعة، فى السلاسة الممتنعة، والمعانى الكبيرة، فى القول اليسير، والحكمة البالغة، فى الكلمة الموجزة . كما ترى منه كيف يكون الإطنابُ فى محلّه، والإيجاز فى محله . فتستعذب الإيجاز، وتحلّى الإطناب . فذاك بديع جدّا ، وهذا جميل حقّا .

وقد نعتوا الجاحظ — فيما نعتوه — بالإطناب. ولكن الإيجاز فى هذا الكتاب قد يكون أغلب . وقد يشتدّ أحيانا حتى لَيُقارِبُ الإبهام . فإنه لَيَبْدَهُك جمل نُثرت هنا وهناك ، تتريّث عندها وتتلبث . ثم تتلوها عَوْدا على بدء، لاتُبصر إليها سبيلا، لفرط إيجازها، واستحكام اندماجها . ثم لا تنفك تُعاوِدها ، حتى ينفتح لك مُغْلَقها ، ويَسْلَس قِيادها . فإذا أنت أمام ضمائر مشتبكة، ومراجع لهذه الضمائر مبعثرة . فلا تزال تردّ كل ضمير إلى مرجعه ، حتى يستقيم الأمر بعد لَأْى .

وشبيه بهذا فى الاستصعاب ما قد يصادفك كثيرا من عود الضمير على غير مذكور صريح، وإنما يُتصيَّد من المقام، أو تأنيث الضمير وقد كان مُقْتَضى الظاهر أن يُذَكَّر، أو تذكيره

وقد كان يجب فيما يبدو لك أن يؤنث، أو العطف على معطوف طال عهده، وانقطعت بك صلته . إلى غير أولئك من وجوه الإيجاز التى قد تعوق تَرَقْرُق المعنى وانسجامه أحيانا .

والإيجاز من البلاغة بلا جِدَال . ولكنه إذا دَقَّ فى خفائه لحار له الفكر، واضطربَ به الفهم، لم يَعُدْ من البلاغة فى شىء . وقد يكون مَرجعُ هذا الإيجاز آونةً فى كلام الجاحظ ما قَدْ يَعْرِضُ لِمثْل ذِهنه الخصب من حُفُول المعانى، وتزاحمها فيما يريد أن يُؤدّيه من قول، فتحتجبُ وراء العبارة الضئيلة واللفظ اليَسير، حتى لايكاد يستشِفُّها إلا الذهن الثاقب، والنظر النافذ .

و بينا أنت فى مُتْعة المطالعة ، والمعانى تنساب أمامك كالجدول الصافى المتدفِّق، إذْ بك أمام عبارة تكاد تكون غريبة عن الكتاب، نابيـةً عن ذَوْقه، شاردةً عن انسجامه، لمـا فيها من التواء تركيب، وسَقَم تعبير . فتقف هنيهة تُسائل نفسك : ما هذه الحصاة بين الجوهر؟ وما تلك الخرزة بين الدّر ؟ وقد تجد لهـا مخرجا من تأويل نحوىّ أو لغوىّ . ولكنك كيفما أدَرْتها فهى نابية جافية .

وهذا ما أشار إليه الجاحظ فى آخر قصة جَبَل الغَمْر مع أبى مازن، فقال :

"و إن وجدتم فى هذا الكتاب لحنا، أو كلاما غير مُعْرب، ولفظا معدولا عن جهتـه ، فاعلموا أنّا إنّمـا تركنا ذلك ، لأن الإعراب يبغِّض هذا الباب، ويخرجه من حَدّه . إلا أن أحكى كلاما من كلام متعاقِلى البخلاء، وأشِحّاء العلماء، كسهل بن هارون وأشباهه " اهـ .

فقد اعترف الجاحظ فى صراحة أنّ مثل هـذه الشواذّ قد وقعت فى كتابه ، وقـد تركها لِيُرْضِىَ بعض الأذواق من أهل عصره . ولا ندرى لم جاء بهذا التعقيب بعد قصة جبل الغمر، وليست إلا من قِصصه الرائعة الرصينة، وليس بها مما ذكر شىء ؟

* * *

ثم تحريف النُّسَّاخ وتشويههم، وتغييرهم وتبـديلهم، وفقدان النُّسـخ المحرّرة ، وذُيوع الطبعات المحرّفة، كلّ أولئك مما حَالَ دون كمال الاستمتاع بهذا الكتاب العجيب .

وقد كان أمامنا عند تصحيح هذه النسخة مرجعان مهمّان :

(أولا) نسخة مخطوطة قديمة استعرناها من خزانة الشنقيطى بدار الكتب المصرية ، نقلت عن نسخة كتبت سنة ٦٩٩ من الهجرة . وقد اعتمدنا عليها فى إصلاح طائفة كبيرة من زلّات النّساخ ، وكشفت لنا عن وجه الصواب فى عدّة مواطن ، وهدتنا إلى اليقين فى مواقف عسيرة . على أنّها غير بريئة من السقطات والأخطاء، ففيها من ذلك كثير . ٥

(ثانيا) نسخة (ليدن) التى عُنى بها العلامة المستشرق ج . ڤان ڤُلُوتن . طبعت سنة ١٩٠٠ م . وقد أفادتْنا فوائد جمّة بما فيها من هوامش وتحقيقات . ولكنّها أيضا مشحونة بالأغلاط، وبالكثير من غير المفهوم .

على أننا لم نقف فى تحقيقنا عند هذين المرجعين وحدهما . بل استعنّا بما وصلت إليه أيدينا من كتب الأدب والتاريخ واللغة وغيرها . ونبّهنا على ذلك فى الحاشية ، كما نبّهنا فيها على اختلاف النسخ فيما رأينا أنه يستوجب التنبيه . ولم نعبأ بالإشارة إلى المشوّه أو غير المعقول من الروايات ، كما فعلت نسخة ليدن ، فإنَّ للمستشرقين أغراضا غير التى نتوخّاها فى عملنا هذا . ١٠

وقد أثبتنا فى نسختنا هذه عند تعدّد الروايات، ما ارتضيناه منها بعد طول الموازنة والرويّة . وقد غايَرَ ما ارتضيناه أحيانا — وهو قليل — ما أجمعت عليه النسخ، إمّا لنُبُوّه عن سياق المعنى، وإمّا لأنّه غير مفهوم، وإمّا لأنّه لفظ مُقْحَم فى الكلام، شَرَدَ من أقلام الكتّاب، فوقع حيث هو، لا يَمُتُّ لما حوله بصلة . ولم نُغفِل ذلك فى الحاشية ، بل أشرنا إليه، وأوضحنا علّة ما صِرْنا إليه . ١٥

وإذ كان من المُزْمَع أن نتداول هذا الكتاب أيدى شبابنا الطلاب ، رأينا من الخير أن نتخطّى ما عسى أن يمسّ الحياء . وهو قليل جدا فى جملته . كما عَدَلْنا عما يبلغ صفحة ٢٠

أو ما فوقها بقليل ، مبعثرا هنا وهناك ، مما شوّهه التحريف ، وتعاصت تجليته . وذلك كقطعة أسقطناها من حديث خالد بن يزيد .

وبعد فقد أفرغنا الوسع فى شرح هذا الكتاب وتوضيحه ، وتمهيده للقارئ وتعبيده . وأسهبنا شيئا فى بعض المواطن لمكان الصُّعوبة والاستغلاق . ولم نكتف — كما ترى — بتفسير المفردات ، بل عَمَدنا إلى مُبْهَم التراكيب والأساليب ، ولا سيّما النادر المستطرَف ، القليل الدوران فى كلام الأدباء ، فجلّينا عنه . وربما أُلْجئنا إلى الإعراب آونة ، لتَسْتَبين علاقة الكلمات بعضها ببعض ، ولتُحَدَّد المعانى ، وتنكشف عن غير خفاء .

ونرجو أن نكون قد وُفِّقنا بعد هذا إلى إدناء (كتاب البخلاء) إلى القارئ ، وتحبيبه إلى الطالب ؛ فإنَّ فى الإقبال على ما يُقرأ وما يُدْرَس ، والنزوع إليه ، السرَّ كلَّ السِّر فى النجاح والفائدة .

والله الهادى إلى سواء السبيل . وهو حسبنا .

أحمد العوامرى علي الجارم

أغسطس سنة ١٩٣٧

الجـاحـــظ

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ

ولد بالبصرة فى سنة ١٥٩ هـ ، فى قول بعض المؤرخين ، ونشأ بها منصبًا على الدرس . وطلب العلم فى صباه ، حتى بلغ شأوًا بعيدًا فى كثير من العلوم والفنون . وفى سنة ٢٠٤ هـ رحل إلى بغداد للإقامة بها ، وكانت فى ذلك العهد زاهية زاهرة بمجالس العلم والأدب ، مائجة بالشعراء والأدباء والمتكلمين . فأقبل يعلّم الطلاب ، ويناظر العلماء . وذاع اسمه ، وطار ذكره ، فسعى إليه المتعلّمون من كل حدب وصوب ، وتزاحمت على بابه صلات الخلفاء والوزراء .

وكان الجاحظ قوىّ الحفظ ، واسع الرواية ، بعيد مدى الذكاء ، ساطع البرهان ، سريع البديهة ، حلو الفكاهة ، كثير القراءة .

قال أبو هفّان : لم أر قطُّ ولا سمعت من أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فإنّه لم يقع بيده كتاب قطُّ إلّا استوفى قراءته .

وأشهر كتبه " الحيوان " كتبه لمحمد بن عبد الملك الزيّات الوزير ، فأجازه عليه . وهو كتاب علم وأدب . طبع بمصر فى سنه ١٩٠٧ م .

وكتاب البيان والتبيين ، قدّمه إلى القاضى أحمد بن أبى دواد .

قال ابن خلدون : " سمعنا من شيوخنا فى مجالس العلم ، أنّ أصول فنّ الأدب وأركانه أربعة دواوين ، وهى : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى علىّ القالى . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عليها " .

وقد تعدّدت طبعات هذا الكتاب بمصر .

وكتاب البخلاء ، وهو كتاب أدب وعلم وفكاهة . وهو من أنفس الكتب التى يتنافس فيها الأدباء والمؤرخون . فلا نعرف كتابا يفوقه للجاحظ ، ظهرت فيه روحه الخفيفة تهزّ الأرواح ،

وتجتذب النفوس . ولا نعرف كتابا يفوقه للجاحظ، تجلّى فيه أسلوبه الفيّاض، و بيانه الجزل الرصين، وقدرته النادرة، على صياغة النادرة، فى أوضح بيان ، وأدقّ تعبير، وأبرع وصف . ولا نعرف كتابا غيره للجاحظ أو لغيره، وصف الحياة الاجتماعية فى صدر الدولة العباسـية كما وصف : فقد أطلعنا على أسرار الأسَر ، ودخائل المنازل ، وأسمعنا حديث القوم فى شؤونهم ٥ الخاصة والعامة، وكشف لنا عن كثير من عاداتهم وصفاتهم وأحوالهم .

وقد كان الذى يغلب على الظنّ أن يكون الجاحظ قد كتب (كتاب البخلاء) وهو فى سنّ الشباب، وإبّان الفتوة؛ لأن هذه السنّ فى الغالب سنّ العبث والسخرية ، والتندّر والدعابة ، والتفكّه بعيوب الناس . ولكنّا نقرأ فى كتاب البخلاء من الأخبار مايحملنا على أنه كتب الكتاب أو جمعه وهو هرِم، يحمل فوق كتفيه أعباء السنين .

١٠ فقد جاء فيه :

صحبنى محفوظ النقّاش من المسجد الجامع ليلا . فلما صرت قرب منزله ، وكان منزله أقرب إلى المسجد الجامع من منزلى، سألنى أن أبيت عنده، وقال : أين تذهب فى هذا المطر والبرد؟ ومنزلى منزلك ، وأنت فى ظلمة، وليس معك نار، وعندى لِبَأٌ لم ير الناس مثله ، وتمر ناهيك به جودةً، لا تصلح إلا له ! فملت معه، فأبطأ ساعة ثم جاءنى بجام لِبَإٍ، وطبق تمر — فلما مددت، ١٥ قال : يا أبا عثمان، إنه لبأ وغِلَظُهُ ، وهو الليل وركوده ، ثم ليلة مطر ورطوبة، وأنت رجل قد طعنت فى السنّ، ولم تزل تشكو من الفالج طَرَفا ، الخ .

فهذا الخبر صريح فى أنّ الكتاب جمع والجاحظ يُرْعِشه الهرم، وتؤوده الأمراض . ولعلّ هــذه من مميزات أبى عثمان؛ فقد كانت روحه وهو فى زَمانتــه وهرمه روح الشاب المَرِح، الذى يسخَر بما لا يعجبه فى الناس، ويهزأ بما فُطروا عليه من جبن وبخل وغرور .

٢٠ ولا نرى أشبه به فى هذه الناحية بين أدباء الانجليز وكتّابهم من تكرى (Thackeray) . وأشبهُ كتب هذا الكاتب بكتاب البخلاء، من حيث النقدُ المرّ، والتشهير بالضعف الإنسانى، كتاب

سمّاه كتاب النفّاجين (The book of snobs) . والنفْج : الفخر الكاذب ، والازدهاء الباطل، والتشبّه بالكرام ، وادّعاء الرجل من صفات الخير والإحسان ما ليس فيه .

وقد دوّن الجاحظ فى كتاب البخلاء أخبارًا كثيرة عن النفّاجين ، وهمزهم بالقول الممضّ، والتبكيت اللاذع .

والجاحظ يشير فى طليعة كتاب البخلاء أنه قدّمه إلى عظيم من عظماء الدولة ، ولكنّه لم يبح باسمه . وإنّنا نرجّح أن يكون الكتاب كتب لواحد من ثلاثة، هم : محمد بن عبد الملك الزيات، وزير المعتصم والواثق، لِمَا كان بينه وبين الجاحظ من وثيق الصلة ، والفتح بن خاقان وزير المتوكّل، لما أُثر عن الفتح من الإعجاب بكتب الجاحظ، وحثّه على التآليف فى مختلف الشؤون، وابن المدبّر، وقد كان للجاحظ صديقا حميا .

وكثيرًا ما عرض لنا فى أثناء قراءة كتاب البخلاء ، سؤال حرنا فى الإجابة عنه : أكان الجاحظ بخيلا ؟ هو يسخر من البخلاء، ويرسل الضحك عاليا من كثير من أعمالهم، وينسُب إليهم كلّ مايحطّ القدر، ويسقط المروءة . ولكنّه فى غضون ذلك كله يلقّنهم الحجج على حسن الاتّصاف بادّخار المال، وأنه الحزم بعينه ، والتدبير الذى هو عماد الحياة المتّزنة الفاضلة . ثم هو ينسُب الحديث هنا وهناك إلى هذا وذاك، فلا تستطيع أن تأخذ عليه كلمة، أو تتعرّف ذات نفسه من عبارة يبوح بها قلمه . ولكنّا نرى أنه كان بخيلا . لأنّ الوَلوع بالشىء يحبّب إلى النفس التّحدّث عنه، والإفاضة فيه؛ ولأنّ من عُرف الجاحظ وأنّ من أبرع صفاته أن يستر ما يحبّ أحيانا بإعلان ما لا يحبّ، رجّح أنه كان بخيلا .

وأخرى، أنه حينما نقل فى الكتاب رسالتين : إحداهما لأبى العاص بن عبد الوهّاب، فى ذمّ البخل، والأخرى لابن التّوأم، فى مدح البخل، (ونرجح أنّ الرسالتين بقلم الجاحظ، لأنّ الأسلوب أسلوبه، والروح روحه، والتعبير تعبيره، ولأنّنا لم نعثر عليهما فى غير كتاب البخلاء) أسهب فى الثانية وأجاد، وصال فيها وجال، وأفاض وأطال، وأكثر من الاستشهاد بالآيات

والأحاديث وأقوال الحكماء، وتنقل فيها من فنّ إلى فنّ، مقبّحا الإسراف والإعطاء، مزيّنا البخل والإكداء .

ولا يمنع الجاحظ أن يكون بخيلا ما كان فيه من ثروة وغنى، وما كان يرفّ على حياته — بعد أن بسم له الدهر — من نعيم ؛ فإنه هو نفسه يرى فى كتاب البخلاء أنّ كثرة المال، وكثرة الإنفاق، لا تمنع المرء أن يكون بخيلا صَلْد الكف، هزيل المروءة .

وقد وقفنا بعد هذه الظنون على خبر يبيّن أنّ أبا عثمان كان بخيلا، مشهورًا بالبخل فى عصره . فقد جاء فى تاريخ بغداد، للخطيب البغدادى، فى الجزء ١٢ — ٢١٧ : " سمعت أبا بكر محمد ابن إسحاق يقول : قال لى إبراهيم بن محمود، ونحن ببغداد : ألا تدخل على عمرو بن بحر الجاحظ ؟ فقلت : ما لى وله ؟ قال : إنّك إذا انصرفت إلى خُراسان سألوك عنه . فلو دخلت إليه وسمعت كلامه ! ثم لم يزل بى حتى دخلت عليه يوما، فقدّم إلينا طبقا عليه رطب . فتناولت منه ثلاث رطبات، وأمسكت . ومرّ فيه إبراهيم . فأشرت إليه أن يمسك، فرمقنى الجاحظ، فقال لى : دعه يا فتى، فقد كان عندى فى هذه الأيّام بعض إخوانى، فقدّمت إليه الرطب، فامتنع، فحلفت عليه، فأبى إلا أن يُبِرَّ قسمى بثلثمائة رطبة " !

وفى هذا الخبر دلالة على شهرة الجاحظ بالبخل . وذلك لأنّ إنسانا لا يمتنع بعد ثلاث رطبات، ثم يشير على صاحبه بالامتناع، إلا إذا عرف أن صاحب الرطب بخيل . ثم إن قول الجاحظ : دعه يافتى، يحمل معنى كبيرًا، من الاستسلام، والصبر على المصيبة، لمن يفهم أسلوب الجاحظ وطرائق تعبيره . وأحد إخوان الجاحظ هذا، الذى أبى أن يبرّ قسمه إلا بأكل ثلثمائة رطبة، إنّما كان يقصد إغاظته والنكاية به . ولا يكون ذلك إلا إذا عرفه بالبخل . والرطبُ رخيص فى بغداد . وإنّ رجلا يغتاظ لأن يصاب فى ثلثمائة رطبة لبخيل .

وكانت وفاة الجاحظ فى سنة ٢٥٥ هـ .

أحمد العوامرى　　　على الجارم

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَبِّ أنعمتَ فَزِدْ)

تولّاكَ الله بحِفظه، وأعانَكَ على شُكْرِه، ووفَّقك لِطَاعَتِه، وَجَعَلك من الفائزين برحْمتـه .

ذكرتَ — حَفِظَكَ الله — أنك قرأتَ كتابي في تَصْنِيف حِيَل لُصُوص النَّهار، وفي تفصيل حِيَل سُرَّاق اللَّيل، وأنك سَدَدْتَ به كل خَلَل[1]، وحصَّنت به كل عَوْرة[2]، وتقدَّمتَ بما أفادك من لطائف الخُدع[3]، ونبّهك عليـه من غَرَائب الحيَل، فيما عَسَى ألّا يَبْلُغَـه كَيْد[4]، ولا يجُوزه مَكْر . وذكرتَ أنَّ مَوْقِـع[5] نَفْعِـه عظيم، وأنَّ التقدُّم في دَرْسِـه واجب . وقلت : اذكر لي نوادِرَ البُخَلاء، واحتجاجَ الأشحَّاء[6]، وما يجُوزُ[7] منْ ذلك في باب الهَزْل، وما يجُوز منـه في باب الجِدّ، لأجعلَ الهزل مُسْتَرَاحا[8] ، والراحةَ جَماما[9] ؛ فإنَّ للجِـدِّ كدًّا يَمْنَع من مُعاودته[10] ، ولا بُدَّ لمن الْتَمَسَ نفْعه منْ مُرَاجعته[11] .

---

(١) سددت الخ، الخلل الفرجة بين الشيئين . والجمع خلال، بكسر الخاء . أي إنك أكملت به ما كان من نقص .

(٢) وحصنت الخ، العورة في الثغر والحرب : خلل يخاف منه . يعني أنك بما استفدت من هذا الكتاب قد قويت مواقع الضعف .

(٣) وتقدّمت الخ، التقدّم : السبق . و (اللطائف) جمع لطيفة، أي الخفية . و إضافة لطائف إلى الخدع من إضافة الصفة إلى الموصوف . و (الخدع) جمع خدعة . خدعه : ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم .

(٤) أي : وسبقت غيرك بما استفدته من غرائب تلك الخدع والحيل، في فهم ما يظن ألا يبلغه كيد الكائدين . ففي (عسى) هنا معنى الظن أو اليقين .

(٥) الموقع مكان الوقوع . والمراد هنا الأثر . والضمير في (نفعه) يعود إلى الكتاب .

(٦) واحتجاج الأشحاء، احتج : أتى بحجة . و (الأشحاء) جمع شحيح، وهو البخيل .

(٧) يجوز : يدخل .

(٨) مستراحا، إما مصدر ميمي، أي وسيلة للراحة، و إما اسم مكان، فيكون من المجاز .

(٩) الجمام : الراحة . يقال : إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو لأقوى به على الحق .

(١٠) من معاودته : من العودة إليه .

(١١) مراجعته : الرجوع إليه . وهذا يقتضي الانصراف عنه زمنا .

وذكرتَ مُلَح الحِزَامىّ [1]، واحتجاج الكِنْدىّ [2]، ورسالة سَهْل بن هارون [3]، وكلامَ ابنِ غَزْوانَ [4]، وخُطْبة الحارثىّ [5]، وكلَّ ما حضَرنى من أعاجيبهم وأعاجيبِ غيرهم، ولِمَ سَمَّوُا البخلَ [6] صَلَاحا، والشُّحَّ اقتِصَادا، ولِمَ حَامُوا على المَنْع [7]، ونسبوه [8] إلى الحَزْم، ولِمَ نَصَبُوا للمُوَاساة [9]، وقرنُوها بالتَّضييع، ولِمَ جَعَلوا الجُودَ سَرَفا، والأَثَرَةَ [10] جَهْلا، ولم زَهِدُوا فى الحَمْد، وقَلَّ احتِفالهم [11] بالذمّ، ولِمَ استَضْعَفُوا مَنْ هَشَّ للذِّكْر [12]، وارْتَاحَ للبَذْل، ولم حكموا بالقُوَّة لِمَنْ لا يميلُ إلى ثَنَاء، ولا يَنْحَرِفُ عن هِجاء [13]، ولم احتجُّوا بِظَلَف العَيْش [14] على لِينه، وبِحُلْوِه على مُرِّه، ولِمَ لَمْ يستحيُوا

---

(١) جمع ملحة، وهى المليح المستعذب من الأحاديث. (٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندىّ الفيلسوف، من أمراء بنى كندة. ولد بالبصرة ثم سكن بغداد. واشتغل بترجمة الكتب اليونانية، وبتأليف كتب فى الرياضيات والطب والفلك والموسيقا. قال بعضهم: وعدد مؤلفاته ٢٦٥، وأكثرها ضائع. وكان أبوه إسحاق أميرا على الكوفة للهدى والرشيد. توفى سنة ٢٤٦ هـ — ٨٦٠ م.

(٣) هو أبو عمرو سهل بن هارون بن راهبون، كاتب بليغ، فارسىّ الأصل. اشتهر بالبصرة، واتصل بخدمة المأمون العباسى، فولاه رياسة خزانة الحكمة ببغداد. وله كتب ورسائل كثيرة، منها كتاب (البخل)، كما فى (الأعلام) للزركلى. توفى سنة ١٧٣ هـ — ٧٨٩ م. (٤) لم نقع لإسماعيل بن غزوان على ترجمة فى مراجعنا. وسيأتى كلامه وملحه فى مواضع عدّة فيما يلى من هذا الكتاب. وقد نقل الجاحظ له فى (البيان والتبيين) قوله: لا تنفق درهما حتى تراه، ولا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه، فالصابر هو الذى يشكر، والجازع هو الذى يكفر.

(٥) قال فى اللسان: وقولهم: أعاجيب، كأنه جمع أعجوبة، مثل أحدوثة وأحاديث اهـ. (٦) ولم سموا، أى وذكرت لم سموا. (٧) حاموا على المنع: راموه. وأصله من حوم الطير على الشىء، أى تدويمه حوله. والمراد بالمنع منع أموالهم أن ينالها الإنفاق. (٨) ونسبوه، الضمير المفعول يعود إلى المنع.

(٩) نصبوا للمواساة، قال فى اللسان: نصب فلان لفلان نصبا (بسكون الصاد): إذا قصد له وعاداه وتجرد له — يعنى: عادوا مواساة الفقراء بأموالهم. (١٠) الأثرة هنا اسم من آثر يؤثر إيثارا: إذا أعطى، كما فى اللسان. (١١) الحفل والاحتفال المبالاة. يقال ما أحفل بفلان، أى ما أبالى به، وحفلت كذا وبكذا، أى باليت به. وما احتفل به: ما بالى. وفى نسخة ليدن: (فى الذم).

(١٢) هش للذكر، قال فى المصباح: هش الرجل هشاشة، إذا تبسم وارتاح، من باب تعب وضرب اهـ. والمقصود بالذكر الثناء على الكرم. (١٣) (ولا ينحرف)، أى لا يميل عما يسبب هجاء الناس إياه لشدة بخله.

(١٤) ظلف العيش: شدّته وخشونته.

من رَفْض الطَّيِّبات فى رِحالهم (١)، مع اسْتِهْتارهم بهـا فى رِحال غيرهم (٢)، ولم تَتَايَعُـوا فى البُخْل (٣)، ولم اختاروا ما يُوجِبُ ذلك الاسمَ، مع أنَفَتِهِمْ من ذلك الاسم (٤)؛ ولِمَ رَغِبُوا فى الكَسْب، مع زُهدِهم فى الإنفاق؛ ولِم عَمِلوا فى الغِنَى، عَمَلَ الخائف من زوال الغِنَى (٥)، ولَمْ يفعلوا فى الغِنَى، عَمَلَ الرَّاجى لدوام الغِنَى (٦)، ولم وفَّروا نصيبَ الخوْف (٧)، و بَخَسُوا نَصيبَ الرَّجاء (٨)، مع طُول السَّـلامة وشُمول العافية (٩)، والمُعَافَى أكْثَرُ من المُبْتَلَى (١٠)، ولَيْسَت الحوائجُ أقلَّ من الفوائد (١١).

فكَيف يَدْعُو إلى السعادة (١٢) مَنْ خَصَّ نَفْسَه بالشِّقْوة، بل كيف يَنْتَحِلُ (١٣) نصيحةَ العامَّة مَنْ بَدَأَ بِغِشّ الخاصَّـة؟ ولِمَ احتجُّوا مَعَ شِدَّة عُقُولهم (١٤) بمـا أجْمَعت الأمّة على تَقْبيحه، ولم تَحَرُوا مع اتّساع مَعْرِفتهم بمـا أطْبَقُوا على تَهْجِينه (١٥)؟ وكيف يَفْطَنُ (١٦) عنـد الاعتلال له، و يتغلغَلُ عند

(١) ولم لم يستحيوا الخ، الرحال جمع رحل، والمراد به هنا منزل الرجل و بيتـه. و رفض الطيبات: التخلى عن المستلذات من المآكل والمشارب. (٢) الاستهتار: الولوع (بفتح الواو) بالشىء والافتتان به. والفعل على ما لم يسم فاعله. (٣) التتايع فى الشىء وعلى الشىء: التهافت فيه اهـ من اللسان. (٤) المراد بالاسم لفظ (البخل). و(ما يوجبه): ما يقتضيه، وهو الإمساك. (٥) ولم عملوا الخ، فى الغنى: فى حال غناهم، وعمل الخـائف الخ، أى الشح المـذموم. (٦) عمل الراجى الخ، أى وهـو الاقتصاد الممـدوح.

(٧) وفروا الخ: جعـلوا نصيب خوف الفقر عظيما فى نفوسهم. (٨) بخسوا: نقصوا.

(٩) مع طول الخ، (مع) متعلق (بوفروا و بخسوا). (١٠) والمعافى الخ، الواو للحال، أى والمعافى منهم.

(١١) وليست الخ، الواو للحال، أى والحال أن حاجات الحياة ليست بأقل جدارة بالاهتمام والرعاية، من فوائد جمع المـال وخزنه. (١٢) يدعو إلى السعادة: يحض على سبيل سلوكها فى الحياة. (١٣) (ينتحل): يدعى. وغش الخـاصة، أى بأن يوهمهم سداد طريقه فى الحيـاة، وأنه على حق فى معيشته و بخله.

(١٤) ولم احتجوا الخ، سبق هذا المعنى. و(شدّة عقولهم): قوتها. وما أجمعت الأمة على تقبيحه هو البخل.

(١٥) ولم تحروا الخ، (أطبقوا): أجمعوا. والتهجين التقبيح. وفاعل (أطبق) يعود إلى الأمة بمعنى الناس.

(١٦) وكيف الخ، أى وذكرت كيف الخ. و(يفطن): يكون فهما حاذقا. والفاعل يرجـع إلى البخيل المفهوم من سياق الكلام. و(الاعتلال له): الإتيان بعلل وأسباب تسوّغ البخل وتحض عليه. والضمير فى (له) يرجع إلى البخل كما هو ظاهر.

الاحتِجَاج عنـه إلى الغايات البعيدة [١] ، والمعانى اللطيفة ، ولا يَفْطَنُ لِظَاهِر قُبْحه [٢] ، وشـناعة اسمه ، وخُمُول ذِكْره [٣] ، وَسُوء أَثَرِه على أهله ؟

وكيف وهو الذى يَجْمَعُ له بَيْنَ الكَدِّ وقِلَّة المَرْفِق [٤] ، و بين السَّهر وخُشونةِ المَضْجَع ، و بين طُول الاغتراب [٥] وطُول قِلَّة الانتفاع ، ومَع عِلْمِـه [٦] بأنَّ وارثه أعْدَى له من عَدُوِّه ، وأنّه أحقّ بما له مِنْ وَلِيِّه [٧] ؟

أَوَ لَيس لَو أَظْهَرَ الجهلَ والغَبَاوة ، وانتحلَ الغَفْلة والحَمَاقة [٨] ، ثم احتجّ [٩] بتلك المعانى الشِّداد ، وبالألفاظ الحِسَان ، وجَوْدَةِ الاختصار [١٠] ، و بتقريب المعنى [١١] ، و بسُهولة المَخْرَج [١٢] ، وإصابةِ الموضِع [١٣] ، لَكان [١٤] ما ظَهَر من معانيه و بيانه ، مكذِّبا لِمَا ظهـر من جَهْله ونُقْصانه ؟ ولِمَ جَاز أنْ يُبْصِر بعقله البعيدَ الغامِضَ [١٥] ، و يَعْيَا عن القريب الجليل ؟

(١) و يتغلغل الخ ، يتغلغل : يدخل ، و (عند الاحتجاج عنه) : عند المدافعة . و (إلى الغايات) متعلق بيتغلغل . واللطيفـة : الخفية . (٢) لظاهر قبحه ، من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى لقبحه الظاهر .
(٣) خمول ذكره : سقوطه فى عدم التمدّح به . (٤) وكيف الخ ، أى وكيف يكون البخل فضيلة أو محببا وهو الذى الخ . والمرفق بفتح الميم وكسر الفاء أو بالعكس : ما ارتفقت به أى انتفعت . (٥) الاغتراب ، أى لكسب المـال . (٦) ومع علمه ، أى وكيف يكون البخل محببا أو مرغوبا فيه ، مع علمه ، أى البخيل ، بأن وارثه الخ . ففى الكلام إيجاز . (٧) وأنه الخ ، الضمير فى (أنه) و (ماله) يرجع إلى البخيل . والولى هنا : الوارث أيضا . (٨) أوليس الخ ، اسم ليس ضمير الشأن . والغباوة قلة الفطنة . والحماقة فساد فى العقل — و (لو أظهر الخ) ، أى ليكون جهله وغباوته وغفلته وحماقته المنتحلة عذرا عن بخله ، وغطاء يستر به تفننه فيه ، ثم احتج الخ .
(٩) ثم احتج الخ ، أى ثم احتج لبخله ، ودافع عنه بكلامه الفصيح المشتمل على تلك المعانى القوية . والشداد جمع شديد . (١٠) وجودة الاختصار ، أى بالايجاز الجيد فى القول . (١١) و بتقريب المعنى ، أى باختيار الألفاظ وحسن تركيبها . (١٢) و بسهولة المخرج ، المخرج هنا مصدر ميمى ، أى بسهولة الخروج من معنى إلى معنى ، ومن موضوع إلى موضوع . (١٣) وإصابة الموضع ، أى الوقوع على موضع المعنى المراد . (١٤) لكان الخ ، فى نسخة (ليدن) : (فكان) . وهو تحريف ، إذ هو جواب (لو) . وقوله لكان الخ . أى لعلم الناس أنّ الجهل الخ إنما هو تصنع لا حقيقة . (١٥) (يبصر) : يدرك ، على المجاز . و (البعيد الغامض) ، أى من الدلائل والحجج على مزايا البخل . و (يعيا) : يعجز ، ماضـيه عيي (بفتح فكسر) أو عيّ (بفتح فياء مشدّدة مفتوحة) . و (عن القريب الجليل) ، أى من فضل الإنفاق ومحاسن الجود . وهنا مضاف محذوف ، أى عن إدراك القريب الجليل .

وقلتَ : فبيّنْ لى ما الشىء الذى خَبَلَ عقُولهم[(١)]، وأفْسَدَ أذهانَهُم، وأغْشَى تِلك الأبصار، ونقَضَ ذلكَ الاعتدال؟[(٢)] وما الشىءُ الذى له عَانَدُوا الحقّ، وخالفوا الأَمَم؟[(٣)] وما هـذا التركيب المُتضادُّ[(٤)]، والمِزَاجُ المتنافِى؟[(٥)] وما هذا الغَبَاء الشديدُ الذى إلى جَنْبِه فِطْنةٌ عجيبة؟[(٦)] وما هذا السببُ الذى خَفِىَ به الجليلُ الواضِح، وأدْرِكَ به الدَّقيقُ الغامِضُ[(٧)]؟

وقلتَ : وليس عَجَبِى مِمَّن خَلَعَ عِذاره[(٨)] فى البُخْل، وأبدى صَفْحَتَهُ للذم[(٩)]، ولم يَرْضَ من القول إلا بمُقَارَعة الخَصْم[(١٠)]، ولا مِنَ الاحتجاج إلا بمـا رُسِمَ فى الكتب[(١١)]؛ ولا عَجَبِى من مَغْلُوب على عَقْله، مُسَخَّرٍ لإظهار عَيْبه[(١٢)]، كَعَجَبِى مِمَّن قد فَطِنَ لبُخله، وعَرَفَ إفراطَ شُحِّه، وهو فى ذلك

٥

(١) أغشى الشىء وغشاه (بتشديد الشين) : غطاه . (٢) ونقض الخ، النقض الهدم أو الحل، كلاهما يمكن أن يراد على المجاز، يعنى : أخرج نفوسهم عن اعتدالها . (٣) وما الشىء الخ، (ما الشىء) معطوف على (ما الشىء) السابقة . (وله) : أى من أجله . والأمم : البين الواضح من الأمر . (٤) وما هذا الخ، (ما هذا) معطوف على (ما الشىء) الأولى . و (التركيب) أى المركب، من إطلاق المصدر وإرادة الذات . و (المتضاد)، أى المتضادّة صفاته . والمراد بالتركيب هنا طبيعة هؤلاء البخلاء وجبلتهم، أى : بين لى حقيقة هذه الصفات المتنافرة التى فى أخلاق هؤلاء الناس .

(٥) (والمزاج المتنافى)، مزاج الشىء : طبائعه التى يتألف منها . ويقال فى (المتنافى) نحو ما قيل فى (المتضاد) .

(٦) وما هذا الخ، (ما هذا) معطوف أيضا على (ما الشىء) الأولى . والغباء : شبه الغبرة فى السماء . ومنه اشتق : غبى (كرضى) الأمر عنى : خفى . فالمراد بالغباء هنا عدم الفطنة . (٧) وما هذا السبب الخ، (ما هذا السبب) معطوف أيضا على (ما الشىء) الأولى . و (الجليل) صفة موصوف محذوف، أى الأمر الجليل . و (الواضح) صفة ثانية للأمر . ونحو ذلك يقال فى : (وأدرك) الخ . (٨) خلع الخ، من معانى العذار السير الذى على خدّ الدابة من اللجام، سمى باسم موضعه . ويقال للمنهمك فى الغىّ : خلع عذاره، على التشبيه بالفرس الذى لا لجام به .

(٩) فى الأساس : وأبدى له صفحته : كاشفه اه . والصفحة الوجه . أى قابله بوجهه ولم يستتر عنه . وإبداء الصفحة للذم : التعرض له من غير مبالاة، على المجاز . (١٠) ولم يرض الخ، مقارعة الخصم : محاربته ومنازلته . أى إنه لا يرضى فى محاجة خصـمه بالقول اللين، بل يعمد إلى حربه ومقارعته بالكلام القاسى، كما يتقارع بالحسام .

(١١) ولا من الاحتجاج الخ، (من الاحتجاج) معطوف على (من القول)، أى لم يرض من الاحتجاج إلا الخ . و (رسم فى الكتب) : كتب فيها . أى إنه لا يرضيه فى احتجاجه للبخل إلا ما دوّن فى الكتب من الانتصار له، ليكون أوقع فى نفس السامع . (١٢) ولا عجبى الخ، و (لا عجبى) معطوف على (وليس عجبى)، أى وقلت : (ولا عجبى الخ) . و (مغلوب على عقله) : مسلوب العقل . يقال : غلبه على الشىء، إذا أخذه منه . وقوله : (مسخر لإظهار عيبه)، أى للناس، بما فى عقله من نقص — أى : إن عجبى ممن قد فطن الخ، أعظم من (عجبى ممن خلع الخ، ومن مغلوب الخ) .

١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥

يُجَاهِدُ نفسَه، ويُغَالِب طَبْعَه[1]. ولربَّما ظَنَّ أنْ قد فُطِنَ له، وعُرِفَ ما عنده[2]، فموَّه شيئا لا يَقْبَل التَّمْوِيه، ورَقَعَ خَرْقًا لا يقبل الرَّقْعَ[3].

فلو أنَّه كما فَطِنَ لعَيْبِه، وفَطِنَ لِمَن فَطِنَ لعَيْبِه، فَطِنَ لضعْفِه عن عِلاج نفسه[4]، وعن تقويم أَخْلاطِه[5]، وعن استرجاع ما سَلَفَ من عاداته[6]، وعن قَلْبِه أخلاقَهُ المدْخُولةَ إلى أن تعود سليمةً[7]، لَتَرَكَ تَكَلُّفَ ما لا يستطيعه[8]، ولَرَبِحَ الإنْفَاقَ على مَنْ يَذُمُّه[9]، ولَمَا وَضَعَ على نَفْسِه الرُّقَبَاء[10]، ولا أَحْضَرَ مائدتَه الشُّعراءَ[11]، ولا خَالَطَ بُرُدَ الآفاق[12]، ولا لابَسَ الموكَّلين بالأخبار[13]، ولاسْتَرَاحَ من كَدِّ الكُلْفة[14]، ودَخَل في غِمار الأُمَّة[15].

---

(١) وهو الخ، الواو للحال، أي والحال أنه في معرفته لبخله وإفراطه، يحارب نفسه وطبعه، ليظهر أمام الناس بمظهر الكريم. (٢) ولربما الخ، (أن) مخففه من أنَّ، واسمها ضمير الشأن. و(فطن له)، أى فطن الناس له وعرفوا أمره. (٣) فموه الخ، الفاء للتفريع. والتمويه: الطلاء بالذهب والفضة — أى فغطى عيبه كما يفعل المموه، وسدّ مقابحه، كما يفعل الراقع للثوب. ولكن سيرته فى الشح ظاهرة لا يمكن أن تستتر عن أعين الناس. (٤) فلو أنه الخ، الكاف فى (كما) بمعنى مثل، صفة لمفعول مطلق محذوف. و(ما) مصدرية. أى: فلو أنه فطن لضعفه عن علاج نفسه فطنة مثل فطنته لعيبه، ومثل فطنته لمن فطن لعيبه الخ.

(٥) قال فى اللسان: أخلاط الإنسان أمزجته الاربعة اه. المفرد خلط (بكسر الخاء وسكون اللام). كان العرب يعتقدون أن مزاج الإنسان يقوم على أربعة أشياء، هى: الدم والبلغم والصفراء والسوداء. ومعنى تقويمها إصلاح ما فسد منها، حتى يعتدل المزاج. (٦) من عاداته، أى الحسنة المرضية.

(٧) وعن قلبه الخ، قلب الشيء تحويله عن وجهه. والمدخول مادخله عيب، كما فى اللسان. و(أخلاقه) مفعول (قلبه). و(تعود) بمعنى تصير. (٨) لترك الخ، جواب (لو). و(تكلف مالا يستطيعه) هو محاولة التمويه ونحوه، كما سبق. (٩) ولربح الخ، (الإنفاق) من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول، أى ما ينفق. أى ولما خسر من المال ما ينفقه على من يذمونه، اتقاء ألسنتهم، وتكلفا لصفة الكرم. أى فكأن عدم إنفاقه ذلك المال ربح له. (١٠) ولما وضع الخ، أى ولما أقام على نفسه رقباء يتحينون الفرص لذمه إذا قصر فى إظهار الكرم. (١١) ولا أحضر الخ، أى يمدحوه بما ليس فيه فى الواقع.

(١٢) ولا خالط الخ، البرد جمع بريد. والمراد بها هنا الرسل. وخالطهم: اختلط بهم ليغريهم بأن ينقلوا إلى الآفاق أخبار كرمه. (١٣) ولا لابس الخ، هو فى معنى ما قبله. (١٤) كدّ الكلفة: عناء تكلف ما ليس فيه. (١٥) الغمار جمع غمرة (بفتح فسكون)، وهى الزحمة، أى لكان فى عداد الناس كأحدهم، ولأراح نفسه.

وبعدُ فما بالُه يفطَنُ لعيُوب الناس إذا أطعمُوه، ولا يفْطَنُ لعيب نَفْسه إذا أطعمهم، وإنْ كان عَيْبُه مكشوفا، وعيبُ من أطْعَمَه مستورا؟

ولِمَ سَخَتْ نَفْسُ أحَدِهم بالكثير من التِّبْر[1]، وشحّتْ بالقليل من الطُّعْم[2]، وقد عَلِمَ أنّ الذى مَنَع يسيرٌ فى جنب ما بَذَل[3]، وأنّه لو شاء أنْ يُحَصِّل بالقليل ممّا جاد به أضْعَافَ ما بَخِلَ به، كان ذلك عَتِيدًا[4]، ويسيرا مَوْجُودا؟

وقلتَ: ولا بُدَّ مِنْ أنْ تُعَرِّفنى الهَنَاتِ[5] التى نَمَّتْ على المتكلِّفين[6]، ودلّت على حَقائق المُتَمَوِّهين[7]، وهَتَكَتْ عَنْ أستار الأدْعِياء[8]، وفرّقت بين الحقيقة والرِّياء، وفَصَلَتْ بين البَهْرَج[9] المُتَزَخْرِف، والمطبوعِ المُبْتَهَل[10]؛ لتقِفَ — زَعَمْتَ — عندها، ولِتعْرِضَ نَفْسَك عليها، ولِتَتَوَهَّمَ[11] مواقِعها وعواقبها. فإنْ نَبَّهك التَّصَفُّحُ[12] لها على عَيْبٍ قد أغْفَلْتَه، عرفتَ مكانه فاجتنبتَه. فإن كان عَتِيدًا ظاهِرًا معروفا عندك نظرتَ[13]: فإنْ كان احتمالك فاضِلًا على بُخْلِك، دُمْتَ على إطعامهم[14]، وعلى اكتِساب المحبَّة بمؤاكلتهم، وإنْ كان اكْتِراثُك غامِرَ الاجتِهادِ

(١) ولم سخت الخ، أى وذكرت لم سخت الخ. (فلم) معطوف على (لم) الأولى فى صدر الكتاب. والتبر ما كان من الذهب غير مضروب. فإن ضرب فهو عين. (٢) الطعام. (٣) وقد علم، الواو للحال.

(٤) عتيدا: حاضرا مهيأ ميسورا. (٥) الهنات: خصال السوء، كما فى الأساس، جمع هنة، (بفتح الهاء والنون).

(٦) نمت على المتكلفين: أشاعت أمرهم. (٧) سبق شرح (موّه). والمتموه المطلىّ. والمتموّهون: الذين لا يدل ظاهرهم على باطنهم. (٨) وهتكت عن الخ، هكذا فى نسخة (الشنقيطى). وفى نسخة (ليدن): (وهتكت عن). والأدعياء جمع دعى (بفتح فكسر فتشديد). ومن معانيه المتهم فى نسبه. والمراد هنا: المتهم فى انتسابه إلى الكرماء. (٩) البهرج: الردىء من الشىء. (١٠) (المطبوع المبتهل)، المطبوع: المفطور على سجيته. والمبتهل: المرسل عن القيد. ففى اللسان: أبهل الرجل: تركه. ويقال: بهله وأبهله: إذا خليته وإرادته اهـ. ولكنا لم نعثر فيما لدينا من المراجع على (ابتهله) كبهله وأبهله. ولكنه هو المقصود هنا بهذا المعنى. والعهدة على الجاحظ. (١١) لتتوهم: لتتبين. (١٢) تصفح الكتاب: تقليب صفحاته. والمراد هنا الفحص عنها واحدة واحدة. (١٣) فإن كان الخ، أى فإن كان هذا العيب الذى هو بعض العيوب التى تنم على حقائق المتموّهين ظاهرا لك فى نفسك، وماثلا أمامك، نظرت، أى بحثت فى الأمر لتجد لنفسك مخلصا. وقد فصله فيما يلى. (١٤) فإن كان احتمالك الخ، أى فإن كان احتمالك للبذل غالبا على بخلك دمت الخ.

سَتَرْتَ نفسك[1]، وانفردْتَ بطيِّب زادك، ودخلْتَ مع الغِمار، وعِشْتَ عَيْشَ المستُورين.

وإن كانت الحروبُ بينك وبين طباعك سِجَالا[2]، وكانت أسبابُكما أمثالا وأشكالا[3]، أجَبْتَ الحَزْم إلى ترك التَّعرُّض[4]، وأجبت الاحتياطَ إلى رَفض التكلُّف[5]، ورأيتَ أنَّ مَنْ حصَّل السلامةَ من الذَّم فقد غَنِم، وأنَّ من آثر الثِّقةَ على التَّغرير[6] فقد حَزُم.

٥ وذكرتَ أنَّك إلى مَعْرِفة هذا البابِ أحْوَجُ[7]، وأنَّ ذا المُرُوءة إلى هذا العِلْم أفْقَرُ، وأنِّي إنْ حَصَّنت من الذَّم عِرْضَكَ، بعد أنْ حصَّنتُ من اللُّصوص مالك، فقد بلغتُ لكَ ما لم يبلغْه أبٌ بارٌّ[8]، ولا أمٌّ رَءُوم.

وسألتَ أن أكتُبَ لك علَّةَ أنَّ الرَّجُل أحقُّ ببيته[9] من الغريب، وأوْلَى بأخيه[10] من البَعيد، وأنَّ البعيدَ أحقُّ بالغَيْرَة، والقرِيبَ أوْلَى بالأنَفَة[11]، وأنَّ الاسْتِزادة فى النَّسْل كالاستزادة

١٠ (١) وإن كان الخ، (اكترائك): اهتمامك ومبالاتك بمالك. والاجتهاد: افتعال من الجهد وهو الطاقة. يقول: إن كان اكترائك لما لك بالغا مداه، بحيث لا تقوى على الإنفاق، سترت نفسك وانفردت الخ. (٢) وإن كانت الحرب الخ، قولهم: الحرب سجال، أى مرة على هؤلاء، وأخرى على هؤلاء: أى كأن تريد شيئا وطباعك تأباه عليك، أو بالعكس. (٣) أسبابكما: براهينكما وحججكما التى يقيمها كل على الآخر. و(أمثالا وأشكالا): متماثلة فى القوة متعادلة. (٤) أجبت الحزم الخ، الحزم ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة. و(التعرّض)، أى للذم، بتركك

١٥ مؤاكلتهم بتاتا. (٥) وأجبت الاحتياط الخ، أى وجنحت إلى الاحتياط بتركك ما ليس فى طاقتك من البذل والإنفاق. وذلك بأن تسلك سبيلا وسطا بين المنع التام وتكلف الكرم، حتى لا يفتضح أمرك. (٦) وأن من آثر الثقة الخ، فى اللسان: وغرر بنفسه وماله تغريرا وتغرة: عرضهما للهلكة من غير أن يعرف اهـ و(آثر الثقة): فضل الأخذ بالثقة. (٧) وذكرت الخ، (هذا الباب): أى هذه الوسائل المذكورة آنفا. وهى المؤدية إلى صيانة العرض وتجنب الذم، مع شدة الاعتدال فى الإنفاق. وهى المقصودة أيضا بقوله: (العلم). (٨) بعد أن حصنت الخ،

٢٠ أى بكتابى فى تصنيف حيل لصوص النهار، وفى تفصيل حيل سراق الليل. ورءوم: عاطفة على ولدها. (٩) أحق ببيته، هكذا فى النسخ. والمعنى عليه غير مستقيم. إذ كون الرجل أحق ببيته من الغريب غير محتاج إلى إيضاح أو تقرير. ونرى أن (بيته) محرف عن (بنتــه). أى: وسألتنى أن أوضح لك هذا المذهب، من أن الرجل أحق بأن يتزوج بنته من الغريب. (١٠) أولى بأخيه، هكذا فى النسخ أيضا. ونرى أن (أخيه) محرف عن (أخته)، أى بزواجها. ويظهر أن زواج البنت والأخت كان شائعا فى ذلك العصر عند بعض المتفلسفين من الزنادقة. فهو يريد أن يفهم علة

٢٥ ذلك عندهم. (١١) وأن البعيد الخ، لعل الصواب: وأن غير البعيد. والمعنى أن زواج البنت أو الأخت يجعل غيرة الزوج عليهما وأنفته فى صيانتهما أحق وأشدّ من غيرته على الزوجة البعيدة عن نسبه.

فى الحرث(١) ، إلا أنَّ العادةَ هى التى أَوْحَشَتْ منــه(٢) ، والديانةَ هى التى حَرَّمته(٣) ، ولأنَّ النــاس يَتَزَيَّدون أيضا فى استعظامه(٤) ، ويَنْتَحِلُون أكثرَ مما عندهمُ فى استِشناعه(٥) .

وعِلَّةَ(٦) الجَهْجاه(٧) فى تَحْسين الكَذِب بِمَرْتَبة الصِّدق فى مواضِع ، وفى تَقْبيح الصِّدْق فى مواضع ، وفى إلحاق الكذب بمرتبة الصدق ، وفى حَطّ الصدقِ إلى موضع الكذب(٨) ، وأنّ الناس يَظْلِمون الكذبَ بتَناسى مناقبه(٩) ، وتذكُّرِ مَثالبه ، ويُحَابُون(١٠) الصِّدقَ بتذكُّرِ منافعه ، وبتناسِى مَضارِّه ، وأنهــم لوْ وازَنُوا بين مَرَافِقهما(١١) ، وعَدَلُوا(١٢) بين خِصَالهما ، لمــا فرّقُوا بينهما هــذا التَّفريق ، ولمــا رأوهما(١٣) بهذه العيون .

ومَذْهَبَ(١٤) صَحْصَح فى تفضــيل النسيان على كثير من الذِّكْر ، وأنَّ الغَبَـاء(١٥) فى الجمــلة(١٦) أنْفَــعُ من الفِطنــة فى الجملة ، وأنّ عَيْشَ البهائم أحسنُ مَوْقعًــا من النفوس من عَيْش العقلاء ، وأنَّك لو أَسْمَنْتَ بَهيمــةً ورجلا ذا مُروءَة(١٧) ، أو امرأةً ذاتَ عقل وهِمَّــة ، وأخرى

---

(١) الاستزادة طلب الزيادة . والحرث : الزرع . (٢) أوحشت منه : جعلت الناس يستوحشون منه ، أى ينفرون . (٣) حرمته ، أى حرمت الاستكثار من النسل من غير نساء شرعيات . كأن هناك مذهبا يقول بالاستكثار من النسل من غير تلك القيود الشرعية — فهو يريد أن يعرف علة ذلك فى هذا المذهب . (٤) يتزيدون الخ ، أى يتكلفون أن يزيدوا فى استعظام هذا الاستكثار . (٥) وينتحلون الخ ، ينتحلون : يدّعون ، كما تقدم . و (استشناعه) : استفظاعه . (٦) علة بالنصب معطوف على (علة) فى قوله : وسألت أن أكتب لك علة . (٧) الجهجاه ، رجل له رأى فى تحسين الكذب فى مواطن خاصة ، وفى تقبيح الخ . ولم نعثر على خبر له أو ترجمة . (٨) وفى إلحاق الخ ، أى : فى مواضع أيضا . فالعبارة بمعنى ما قبلها . (٩) وأن الناس الخ ، معطوفة على تحسين ، أى : وعلة الجهجاه فى أن النــاس يظلمون الخ . والمنـاقب جمع منقبة (بفتح القاف) وهى الخصلة الكريمة . والمثالب جمع مثلبة (بفتح اللام وضمها) . وهى العيب . (١٠) يحابون : ينصرون . (١١) مرافقهما ، أى الصـدق والكذب . (١٢) وعدلو الخ ، أى وأنصـفوا فى الموازنة بين ما فيهما من صفات . (١٣) ولمـا رأوهما الخ ، أى ولمـا فكروا فيهما هذا التفكير . فالكلام على المجاز .

(١٤) مذهب معطوف على (علة) الأولى ، أى وأن أكتب لك مذهب الخ . وصحصح رجل له هذا الرأى ، فيانظن .

(١٥) وأن الغباء الخ ، أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على (تفضيل) ، أى وفى كون الغباء الخ . وكذا يقال فى : وأن عيش الخ . (١٦) فى الجملة ، أى فى جملته من غير تفصيل . (١٧) سبق تعريف المروءة .

ذاتَ غَباء وغَفْلة ، لكان الشُّحُ إلى البهيمة أسرَعَ ، وعن ذات العَقْل والهِمَّة أبْطأَ . ولأنَّ[1] العقلَ مقرون بالحَذَر والاهتمام ، ولأن الغَبَاء مقرون بفراغ البال والأمْن ، فلذلك البهيمةُ تَقْنُو شَحْمًا[2] فى الأيام اليَسيرة . ولا تجد ذلك لِذِى الهِمَّة البَعيدة . ومتوقِّعُ البلاء فى البلاء و إنْ سَلِمَ[3] منه . والعاقلُ فى الرجاء إلى أن يُدْرِكه البلاء[4] .

٥ ولولا أنّك تجِدُ هذه الأبوابَ[5] وأكثرَ منها مُصَوَّرَةً فى كتابى الذى سُمِّىَ (كتاب المسائل)، لأتيتُ على كثير منه فى هذا الكتاب .

فأمَّا ما سألتَ[6] من احتجاج الأشحَّاء[7]، ونوادرِ أحاديثِ البُخَلاء، فسأوجِدُك ذلك[8] فى قِصصهم — إنْ شاء الله تعالى — مُفرَّقًا[9]، وفى احْتِجَاجاتهم مُجْمَلا، (فهو أجْمعُ لهذا الباب) من وصْف ما عندى، دُون ما انتهى إلىَّ من أخْبارهم على وَجْهها[10] ؛ وعلى أنَّ الكتابَ أيضا يصير أقْصَر، و يصيرُ ١٠ العارُ[11] فيه أقلّ .

(١) (ولأن) علة لقوله : (تقنو) الآتى . (٢) (فلذلك) إعادة لتعليل قوله : (تقنو) . و (تقنو) : تجمع . يقال : قناه (من باب نصر) . (٣) ومتوقع الخ ، (متوقع) : منتظر . و (فى البلاء) خبر (متوقع) ، يعنى أن منتظر البلاء هو فى بلاء ، لأن نفس هذا الانتظار عذاب و بلاء . (٤) والعاقل الخ ، (العاقل فى الرجاء) مبتدأ وخبر . أى لا يزال العاقل فى الرجاء إلى أن يحل به البلاء . (٥) (هذه الأبواب) ١٥ أى التى سألتنى أن أبينها لك وأشرحها . (٦) (ما سألت)، أى عنه . (٧) (من احتجاج الأشحاء)، أى لشحهم ، أى دفاعهم عنه ، كما سبق . (٨) (فسأوجدك ذلك) : أجعلك تجده . ففى اللسان : وأوجده إياه : جعله يجده اهـ . (٩) (مفرقا) حال من (ذلك)، وكذا مجملا . (١٠) فهو الخ، الضمير عائد إلى (ذلك)، أى : إن احتجاج الأشحاء ونوادر أحاديث البخلاء مبثة فى قصصهم مفرقة ومجملة — أجمع لهذا الباب (باب البخل) من وصف الخ . والجار والمجرور فى قوله : من وصف حال من «ذلك» فى قوله : فسأوجدك ذلك . ٢٠ و (دون ما انتهى) حال من وصف ما عندى . والمعنى : إنى سأطلعك على ذلك حال كونه من وصف ما عندى من مشاهدات أحوال البخلاء، ونتائج معاشرتى إياهم ، وسيكون هذا غير ما سأذكره أيضا مما انتهى إلى من أخبارهم على وجه من النقل صحيح . (١١) وعلى أنّ الخ، (على) للتعليل هنا . وهو تعليل لاقتصاره على ماعرفه عن البخلاء وما وصل إليه برواية صحيحة من أخبارهم . و (العار)، أى ذكر العار اللاحق بالبخلاء ، (أقل) ، أى بسبب ترك الأخبار المصنوعة الكثيرة المبالغة .

✤

ونبتدئ برسالة سَهْلِ بن هارونَ(١)، ثم بطُرَفِ أهْلِ خُراسانَ، لإكثار الناس فى أهل خُراسانَ(٢).

ولك فى هذا الكتاب ثلاثةُ أشياء: تَبيُّنُ حُجَّةٍ طَرِيفةٍ(٣)، أو تَعَرُّفُ حِيلة لطيفة، أو استفادةِ نادرةٍ عجيبة. وأنت فى ضحك منه إذا شِئْتَ(٤)، وفى لَهْوٍ إذا مَلِلْتَ الجِدَّ.

وأنا أزعمُ(٥) أنَّ البُكاءَ صالحٌ للطبائع(٦)، ومحمودُ المَغَبَّة(٧)، إذا وافق المَوْضِع، ولم يُجاوِز المقدار(٨)، ولم يَعْدِل عن الجِهة(٩)، ودليلٌ على الرِّقَّة، والبُعْدِ من القسوة. وربما عُدَّ من الوَفَاء، وشِدَّةِ الوَجْد(١٠) على الأَوْلياء. وهو من أعظم ما تقرَّب به(١١) العابِدُون، واسترحمَ به(١٢) الخائفون.

وقال بعض الحكماءِ لرَجُلٍ اشتدَّ جَزَعُه من بُكاء صبيٍّ له: لا تجزع، فإنَّه أفْتَحُ لِجِرْمه(١٣)، وأَصَحُّ لبَصَره.

وضَرَبَ عامرُ بن عبدِ قَيْس(١٤) بيده على عَيْنه، فقال: جامدةٌ(١٥) شاخصة لا تَنَدَّى! وقيل لِصَفْوانَ بن مُحْرِز(١٦)، عندَ طُول بكائه وتذكُّرِ أحزانه: إنَّ طول البكاء يُورِث العمَى. فقال: ذلك لها شهادة(١٧). فبكى حتى عَمِيَ.

(١) ثم بطرف الخ، الطرف جمع طرفة، وهى مايستطرف، أى يستملح. وخراسان إقليم من فارس. (٢) فى أهل خراسان، أى فى أخبارهم. (٣) (تبين) بدل من (أشياء). وطريفة: جديدة. (٤) (منه)، أى من الكتاب، أى من بعض مشتملاته. (٥) أزعم: أقول. (٦) صالح للطبائع: موافق لها. (٧) ومحمود الخ، المغبة: العاقبة. و(وافق الموضع): صادف ماينبغى أن يكون فيه. (٨) ولم يجاوز المقدار: لم يجاوز حده.

(٩) ولم يعدل الخ، أى لم يحل عما يجب أن يكون من أجله. وهو معنى قوله آنفا: (وافق الموضع).

(١٠) وشدة الخ، الوجد الحزن. يقال فيه: وجد يجد وجدا (بكسر الجيم فى الماضى والمضارع). و(الأولياء) جمع ولىّ، وهو هنا الصديق والناصر. (١١) (تقرب به)، أى إلى الله. (١٢) واسترحم الخ، أى طلب به الخائفون الرحمة منه تعالى. (١٣) أفتح لجرمه، الجرم الجسم. و(أفتح له): أعظم إنماء له.

(١٤) فى البيان والتبيين: ابن عبد القيس — وكان من الأخيار. نفاه عبد الله بن عامر الى الشام بأمر عثمان بن عفان، (فى خبر ليس هنا محله). وتوفى بها. (١٥) جامدة الخ، يقال: جمدت عينه، (من باب قعد): قل دمعها. و(شاخصة): مفتوحة لا تطرف، كناية عن القسوة. و(تندى)، من باب فرح: تبتل بالدموع.

(١٦) هكذا فى (البيان والتبيين). وقد عده الجاحظ فى (البيان والتبيين) بين النساك والزهاد من أهل البيان. وفى نسخة ليدن: (محرر)، بتشديد الراء الأولى. (١٧) ذلك لها شهادة، (ذلك)، أى العمى. و(لها)، أى لأحزانى. يعنى أن العمى يشهد لأحزانه بالوجود والثبوت.

وقد مُدِح بالبُكاء ناسٌ كثير: منهم يحيَى البَكّاءُ، وهَيْثَمٌ البكّاء . وكان صَفْوَانُ بن مُحْرِز يسمَّى البَكّاءَ .

وإذا كان البكاءُ [الذى] [1] ما دامَ صاحبُه فيه فإنّه فى بَلاء — وربّما أعمى البصر، وأفسد الدّماغ، ودلَّ على السُّخْف [2]، وقضى على صاحبه بالهَلَع [3]، وشُبِّه بالأمَةِ اللّكْعاء [4]، وبالحَدَثِ الضَّرَع [5] — كذلك، فما ظَنُّك [6] بالضحك الذى لا يزال صاحبُه فى غاية السرور، إلى أن ينقطع عنه سببه ؟

ولو كان الضَّحكُ قبيحا من الضَّاحك، وقبيحا من المُضْحِك، لما قيل للزَّهْرة والحِبَرَة [7] والحَلْيِ [8] والقَصْرِ المَبْنِيّ: كأنّه يَضْحك ضَحِكًا [9]. وقد قال الله جلَّ ذِكْرُه: (وأنّه هُوَ أضحك وأبكى، وأنّه هو أمات وأحْيَا). فوضعَ الضحك بحذاء الحياة، ووضع البكاء بحذاءِ الموت. وإنّه [10] لا يُضيف الله إلى نفسه القَبيحَ، ولا يمُنّ [11] على خَلْقه بالنقص .

وكيف لا يكون مَوْقِعُه من سُرُور النَّفْس عظيما، ومِنْ مَصْلَحة الطِّباع [12] كبيرا، وهو شيء فى أصل الطِّباع [13]، وفى أساس التركيب . لأن الضحك أول خَيْر يَظْهَرُ من الصّبىّ . وقد تَطِيبُ

---

(١) وإذا كان الخ، لم تكن (الذى) فى النسخ التى بين أيدينا . وقد أثبتنا بها من نسخة الشنقيطى، ليكون المعنى بها أوضح . (٢) السخف : نقص العقل . (٣) الهلع : الجزع . والفعل من باب تعب . ومعنى (قضى عليه بالهلع) : حكم عليه به . (٤) وشبه الخ، نائب الفاعل يعود على الباكى . والأمة ضد الحرة . (واللكعاء) : اللئيمة الحمقاء . قال فى الأساس : وعبد ألكع، وأمة لكعاء اهـ .

(٥) وبالحدث الخ، المراد بالحدث هنا الغلام الصغير السن . والضرع الذاوى النحيف . ففى اللسان : الضارع النحيف الضاوى الجسم . يقال ضرع يضرع (كعلم يعلم)، فهو ضارع وضرع بالتحريك اهـ . ووجه الشبه الضعف الشديد فى كل . وقوله (كذلك)، خبر كان . (٦) فما ظنك : فما علمك . ويراد بالاستفهام هنا الاستعظام .

(٧) كانت تطلق على ثوب يمانى من قطن أو كتان مخطط . (٨) الحلى ما تتزين به المرأة من مصوغ المعدنيات أو الحجارة . (٩) كأنه الخ، أى لبهجته وإشراقه . (١٠) اسم إن ضمير الشأن .

(١١) يمن : ينعم . (١٢) (مصلحة الطباع) : فائدتها وخيرها . (١٣) (فى أصل الطباع) : فى تكوين البشر . وقوله : (وفى أساس التركيب)، تفسير وإيضاح لما قبله .

نَفْسُه (١)، وعليه (٢) ينبتُ شحمه، و يكثر دَمُه الذى هو عِلّة سروره، ومادّةُ قوّته. ولِفَضْل خِصَال (٣) الضحك عند العرب تسمّى أولادها بالضّحّاك و ببسّام وبِطَلْق (٤) و بطَلِيق. وقد ضَحِك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومَزَح. وضَحِكَ الصّالحون ومَزَحُوا. و إذا مدَحُوا قالوا: هو ضَحُوك السِّنّ، وبسّام العَشِيّات (٥)، وهَشّ (٦) إلى الضَّيف، وذو أَرْيَحِيّة (٧) واهتزاز.

٥ و إذا ذمّوا قالوا: هو عَبُوس، وهو كالِحٌ (٨)، وهو قَطُوبٌ (٩)، وهو شَتِيم المُحَيَّا (١٠)، وهو مُكْفَهِرٌّ (١١) أبدًا، وهو كَرِيه (١٢)، ومقبَّضُ الوجه (١٣)، وحامِضُ الوجه (١٤)، وكأنّما وجْهُه بالخلّ منضوح!

وللمَزْح مَوْضع، وله مقـدار، متى جازَهمـا (١٥) أحد، وقصَّر عنهما أحد، صار الفاضـلُ (١٦) خَطَلا، والتقصيرُ نَقْصا. فالناسُ (١٧) لم يَعِيبُوا الضَّحِكَ إلا بقَدْر، ولم يَعِيبُوا المَزْحَ إلا بقَدْر.

(١) (وقد تطيب نفسه)، أى به. و يظهر أن (به) سقطت من النسخ المتداولة. و (تطيب): تنبسط وتنشرح.

١٠ (٢) وعليه الخ، (على) هنا بمعنى الباء، أى به ينبت. راجع المغنى. (٣) الخصال جمع خصلة، وهى هنا المزية والفائدة. (٤) وجه طلق، مثلث الطاء: ضاحك مشرق. ووجه طليق كطالق اهـ من اللسان.

(٥) وبسام العشيات، الإضافة على معنى (فى)، أى بسام فى العشيات. والعشيات جمع عشية، وهى آخر النهار. وهذا كناية عن كرمه وترحيبه بالضيوف إذا جاءوا يتعشون عنده. (٦) رجل هش: مسرور. ورجل هش، إذا هش إلى إخوانه اهـ من اللسان. (٧) وذو الخ، الأريحية اتساع الخلق والانبساط إلى المعروف.

١٥ ورجل أريحى من ذلك. وقوله: (واهتزاز)، أى إلى المعروف. ففى اللسان: و يستعار [أى الاهتزاز] فيقال: هززت فلانا للخير فاهتز اهـ. (٨) الكلوح (بضم الكاف) تكشر فى عبوس. وقد كلح يكلح [كمنع يمنع] اهـ من اللسان.

(٩) قال فى القاموس: قطب يقطب قطبا [من باب ضرب]، وقطوبا (بضم القاف)، فهو قاطب وقطوب: زوى ما بين عينيه اهـ. (١٠) شتيم المحيا، قال فى اللسان: الشتيم الكريه الوجه... يقال: فلان شتيم المحيا اهـ. (١١) متعبس.

(١٢) كريه، أى كريه الوجه من عبوس وتقطيب. (١٣) (ومقبض الوجه)، هو كقولهم: هو قطوب.

٢٠ (١٤) (وحامض الوجه)، لم نعثر على هذه الجملة بنصها فيما لدينا من المراجع. والذى فى اللسان وغيره: (وفلان حامض الفـؤاد فى الغضب: إذا فسـد وتغير عداوة). و يظهر لنا أن المراد بحامض الوجه أنه متقبض الوجه، كأنمـا وضع عليه شىء حامض فقبضه. و يستأنس لهذا بالجملة التالية: وكأنمـا الخ. و (منضوح): مرشوش.

(١٥) (جازهما): تجاوزهما. وهذا هو الإفراط. و (وقصر الخ)، أى لم يبلغ حدّهما. وهذا هو التفريط.

(١٦) صار الخ، (الفاضل): الشىء الزائد، و (خطلا): حمقا. والفعل منـه: خطل يخطل، (كعلم يعـلم) فهـو أخطل.

٢٥ (١٧) فالناس الخ، قال فى اللسان: قدر كل شىء ومقـداره: مقياسه اهـ. أى إن عيب الناس للضحك والمزح إنمـا هو تابع لتقديرهم وعلمهم أنهما تجاوزا حدّ هذا التقدير.

ومتى أريد بالمزح النفعُ[١] ، وبالضحك الشيءُ الذي له جُعِلَ الضَّحكُ[٢] ، صار المَزْحُ جِدًّا[٣] ، والضحكُ وَقَارا[٤] .

* * *

وهذا كتاب لا أَغُرُّك منه[٥] ، ولا أَسْتُرُ عنك عَيْبَه . لأنّه لا يجوز أن يُكْمَلَ لما تريده[٦] ، ولا يجوز أن يُوَفَّى حقَّه[٧] كما ينبغي له : لأنّ هاهنا أحاديثَ كثيرةً متى أطلعنا منها حَرْفا[٨] عُرِف أصحابُها ، وإنْ لم نُسَمِّهم ، ولم نُرِدْ ذلك بهم[٩] . وسواءٌ سَمَّيناهم أو ذكرنا ما يَدُلُّ على أسمائهم[١٠] . منهم الصَّديق والوَلِيُّ[١١] والمَسْتور[١٢] والمُتَجَمِّل[١٣] . وليس يَفِي حُسْنُ الفائدة لكم بقُبْحِ الجناية عليهم . فهذا باب يَسْقُطُ البَتَّة ، ويَخْتَلُّ به الكتاب لا مَحالَة[١٤] . وهو أكثرها بابًا ، وأعجبُها منك مَوْقعا[١٥] — وأحاديثَ[١٦] أُخَرَ ليس لها شُهْرةٌ ، ولو شُهِرت لما كان فيها دليلٌ على أربابها[١٧] ، ولا هي مفيدةٌ أصحابَها[١٨] .

---

(١) (النفع) ، أى فائدة النفس وراحتها وانشراحها . (٢) الشيء الخ ، وهو الفرح والسرور ، لا العبث والسخرية مثلا . وقوله : (له جعل) ، أى لا لغيره . فالحصر مستفاد من تقديم الجار والمجرور . (٣) (صار المزح جدا) أى بمنزلة الجد . (٤) وقارا : رزانة ، لا خفة وطيشا . (٥) (لا أغرك منه) : لا أجعلك فيه على غير بيان وهدى . (٦) لأنه الخ ، (أن يكمل) : أن يجعل كاملا . واللام فى (لما) بمعنى (إلى) ، يعنى إلى الحد الذى تبغيه . (٧) يوفى حقه : يعطى حقه . (٨) اطلعنا منها حرفا : أظهرنا طرفا . (٩) (ولم نرد ذلك بهم) : ولم نرد أن يعرفوا . (١٠) وسواء الخ : أى فإنا نكون قد أسأنا إليهم . وفى نسخة الشنقيطى : (وسواء سميناهم أو ذكرناها تدل على أسمائهم) . وفيها شيء من الغموض . (١١) الولى ، المراد به هنا الناصر . وهو أقرب الاحتمالات للقام . (١٢) المستور : المتوارى عن الناس الذى يؤثر ألا يذكر بخير أو شر . (١٣) (المتجمل) المتزين المتحسن ، الظاهر على غير حقيقته . (١٤) فهذا باب الخ ، (يسقط) ، أى يجب أن يسقط من الكتاب . و(البتة) ، هو من البت ، أى القطع ، منصوب على المفعولية المطلقة . قال فى اللسان : ويقال : لا أفعله بتة ، ولا أفعله البتة ، لكل أمر لا رجعة فيه اه . و(يختل به) ، أى بسقوطه . و(لا محالة) : لا بد ، أى لا تحول عن ذلك . نخبر لا محذوف . (١٥) وهو أكثرها الخ ، أى هذا الباب المتروك أكثر الأبواب أحاديث وأحفلها . و(بابا) تميز . (١٦) (وأحاديث) معطوفة على (أحاديث) فى قوله : لأن هاهنا أحاديث الخ . (١٧) ولو شهرت الخ ، أى : ولا فائدة ولا لذة فى حديث غير معروف صاحبه . (١٨) ولا هى الخ ، أى ولا هى دالة على أصحابها . وهذا تكرار لمعنى الجملة السابقة .

وليس يتوفَّر أبدًا حُسْنُها (١) إلا بأن تَعْرِف أهلَهـا (٢)، وحتى تتَّصل بمستحقِّها، و بمعادنها واللائقين بها (٣). وفى قَطْع ما بينها و بَيْن عَناصِرها ومعانيها سُقوطُ نِصْف المُلْحة، وذَهابُ شَطْرِ النادرة (٤).

ولو أنّ رجلا أَلْزَق نادرةً بأبى الحارث جُمَّيْن (٥)، والهَيْثَم بن مُطَهَّرٍ (٦)، و بمُزَبِّد (٧)، وابنِ الأحْمَر، ثم كانت باردةً، لَجَرَتْ (٨) على أحسنِ مايكون. ولو وَلَّد (٩) نادرةً حارَّةً (١٠) فى نفسها، مليحةً فى مَعْنَاها، ثم أضـافها إلى صـالحِ بن حُنَيْنٍ، و إلى ابن النَّـوّاء، و إلى بعض البُغَضاء (١١)، لعادتْ (١٢) باردةً، ولصارت فاترة، فإنّ الفاتِرَ (١٣) شرٌّ من البارد .

وكما أنّك لو وَلَّدت كلاما فى الزُّهْد، ومَوْعِظَةً للناس، ثم قلتَ : هـذا من كلام بكرِ بنِ عبد الله المُزَنِى (١٤)، وعامرِ بنِ عبد قَيْس العَنْبَرِى (١٥)، ومُوَرِّقٍ العِجْلى (١٦)، و يزيدَ الرَّقَاشِى (١٧)، لتضاعَفَ

---

(١) (يتوفر) مطاوع (وفره)، أى أتمه وأكمله . (٢) أهلها : أصحابها الذين دارت عليهم حوادث هذه الأحاديث . (٣) وحتى تتصل الخ، أى هذه الأحاديث، بمستحقها، وهو من يجب أن تنسب إليه، والمراد بالمعادن هنا الناس الذين صدرت عنهم هذه القصص، واتصلت بهم ولابستهم، على المجاز . و(اللائقين بها) : الذين بينهم و بينها علاقة وصلة . (٤) وفى قطع الخ، إيضاح و بيان لمـا قبله . و(عناصرها) : أصولها، جمع عنصر . و(الملحة) المستملح من الكلام، جمعه ملح . وشطر الشيء : نصفه . والنـادرة الحكاية الغريبة — يعنى أن القصة إذا لم تكن متصلة بأصحابها و بأصولها نقصت وذهب جمالها وأثرها فى النفس . (٥) قال فى القاموس : وأبو الحارث جمين كقبيط، المدنى . ضبطه المحدثون بالنون . والصواب بالزاى المعجمة اه . زاد الشارح : وهو صاحب النوادر والمزاح اه . (٦) و يلقب بالفأفاء . وكان من المزاح . (٧) هو أبو إسحاق مزبد المدنى . كان سريع الخاطر، حسن البادرة، كثير الدعابة والفكاهة . وقد ذكر الأستاذ السندوبى له طائفة صالحة من فكاهاته فى شرحه على (مقابسات أبى حيان التوحيدى) . (٨) لجرت الخ، أى لوقعت من النفوس أحسن موقع، وذلك لنباهة هؤلاء الرجال، و بعد صيتهم فى الأدب والفكاهة . (٩) ولد : افتعل واخترع . (١٠) حارّة : فيها حياة . لأن الحرارة تلازم الحياة . يعنى أنها ليست غثة باردة . (١١) جمع بغيض، وهو المكروه .
(١٢) لعادت : لصارت . (١٣) المـاء الفاتر : بين الحار والبارد . والكلام على المجاز .
(١٤) كان من أفاضل التابعين . وكان صالحا تقيا . ولد فى سنة ١٠٨ هـ . (١٥) سبق التعريف به .
(١٦) هو أبو المعتمر مورق بن المشمرج العجلى . كان من الزهاد . توفى فى ولاية عمر بن هبـيرة على العراق . وفى نسخة السندوبى من (البيان والتبيين) : مؤرق . (١٧) كان من الزهاد الوعاظ . وله كلام غريب فى الزهد . تجد منه شيئا فى (عيون الأخبار) لابن قتيبة .

حُسْنُه ، ولأحدثَ له ذلك النَّسَبُ نَضارةً ورِفعةً لم تكن له . ولو قُلْتَ (١) : قالها أبو كَعْبٍ (٢) الصُّوفىُّ (٣) ، أو عبدُ المؤمن (٤) ، أو أبو نُوَاسٍ الشاعرُ (٥) ، أو حُسَيْنٌ الخليعُ (٦) ، لَمَا كان لها إلا مالَها فى نفسها (٧) . وبالحَرَى أن تغلَطَ فى مقدارها ، فَتَبْخَس مِنْ حقِّها (٨) .

وقد كتبنا لك أحاديث كثيرةً مُضافةً (٩) إلى أربابها ، وأحاديثَ كثيرة غيرَ مُضَافةٍ إلى أربابها ؛ ٥ إمَّا بالخوف منهم ، وإمَّا بالإكرام لهم (١٠) . ولولا أنّك سألتنى هذا الكتاب لَمَا تكلّفتُه (١١) ، ولَمَا وضعتُ كلامى موضع الضَّيْم والنِّقْمة (١٢) . فإن كانَتْ لائمةٌ أو عَجْزٌ فعليك ، وإن كان عُذْرٌ فَلِى دُونَك (١٣) .

---

(١) لتضاعف الخ ، الضمير فى (حسنه) يعود إلى الكلام . وقوله : (ولأحدث الخ) ، أى لأن ذلك الكلام نسب إلى ذوى شهرة عظيمة فى الزهد . (٢) الضمير المفعول فى (قالها) يعود إلى (الموعظة) .

(٣) لم نقف له على ترجمة . وله كلام فى (البيان والتبيين) . (٤) لا ندرى من يعنى بعبد المؤمن .

١٠ (٥) هو أبو على الحسن بن هانئ ، الشاعر الفحل الغنى عن التعريف . وله فى وصف الخمر أبيات فى غاية الحسن والرقة . توفى سنة ١٩٨ هـ على أحد الأقوال . (٦) هو الحسين بن الضحاك بن ياسر ، مولى باهلة شاعر من ندماء الخلفاء . اتصل بالأمين العباسى ، ونادمه ومدحه . وأبو نواس متهم بأخذ معانيه فى الخمر منه . وله خبر طويل (فى الأغانى) . توفى سنة ٢٥٠ هـ . (٧) لما كان الخ ، أى لم تزدها النسبة إلى هؤلاء قدرا ، لمكانتهم فى الفجور . (٨) وبالحرى الخ ، قال فى اللسان : وبالحرى أن يكون كذا : أى جدير وخليق .

١٥ ويحدّث الرجل الرجل فيقول : بالحرى أن يكون اهـ . فقوله : (وبالحرى أن تغلط فى مقدارها) ، يعنى أنك إذا نسبت هذه الموعظة إلى أحد هؤلاء تكون جديرا بأن تغلط فى مقدارها الخ . (٩) مضافة : منسوبة .

(١٠) إما بالخوف الخ ، (بالخوف منهم) ، أى بأن كانوا ذوى سيطرة . و(بالإكرام لهم) ، أى بأن كان الحديث لا يليق بأقدارهم . (١١) (لما تكلفته) : لما تكلفت تأليفه . فهنا مضاف محذوف . والتكلف العمل على مشقة . (١٢) ولما وضعت الخ ، الضم : الظلم . والنقمة : العقاب . وقوله : (وضعت كلامى) ،

٢٠ أى فى هذا الكتاب . وقوله : (موضع الضيم والنقمة) ، أى فى موضع قد يقع على بسببه ظلم وانتقام ممن أضفت الأحاديث إليهم . (١٣) فإن كانت الخ ، (كانت) تامة . وكذا (كان) . و(لائمة) : لوم . أى فإن أصابنى لوم من الناس بسبب تأليف هذا الكتاب ، أو كان منى عجز فى ذلك التأليف ، فتبعة ذلك عليك ، لأنك أنت الذى دفعتنى إلى تأليفه . وإن عذرنى الناس فى تقصير أو نقص فهذا العذر لى ، لا لك .

رسالة سَهْلِ بن هارون، أبى محمد بن راهبون،[1] إلى بنى عمّه من آل راهبون، حين ذمُّوا مَذْهَبَه فى البخل، وتتبّعوا كلامه فى الكتب[2]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أصلحَ الله أمرَكم، وجمع شَمْلَكم[3]، وعلّمكم الخير، وجعلكم من أهله! قال الأحْنَفُ بنُ قَيْس[4]: يا مَعْشَر بنى تميم، لا تُسْرِعُوا إلى الفِتنة[5]، فإنّ أسرع النّاس إلى القتال، أقلّهم حَياءً من الفِرار. وقد كانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوبَ جَمّةً[6] فتأملْ عيّابا[7]، فإنّه إنّما يَعيبُ بفَضْل[8] ما فيه من العَيْب. وأوّلُ العَيْبِ[9] أن تَعيبَ ما ليس بِعَيْب. وقبيحٌ أنْ تَنْهى عن مُرْشِد[10]، أو تُغرِى بمُشْفِق[11].

وما أردنا بما قلنا إلا هِدايَتكم وتَقْوِيمَكم، وإلا إصْلاحَ فسادِكم، وإبقاءَ النِّعمةِ عليكم. ولئن أخْطَأْنا سبيلَ إرشادِكم[12]، فما أخطأْنا سبيلَ حُسْنِ النيّة فيما بيننا وبينكم.

---

(١) فى بعض المراجع: راهيون، بياء. (٢) فى الكتب، أى التى يكتبها فى موضوع البخل. (٣) وجمع شملكم، أى ما تفرّق من أمركم. (٤) اسمه الضحاك أو صخر. وكان يضرب به المثل فى الحلم والسيادة. لم يفد على النبى صلى الله عليه وسلم فيمن وفد من قومه. ولكنه وفد على عمر رضى الله عنه. وشهد صفين (بكسر الصاد وتشديد الفاء مكسورة)، موضع بشاطئ الفرات، كانت به الوقعة العظمى بين على ومعاوية سنة ٣٧ هـ. ومات معمرا سنة ٦٩ هـ.

(٥) المراد بالفتنة هنا القتال، وهو أحد معانيها. (٦) اسم كان عائد إلى الحكماء. وهو مفهوم من المقام.

(٧) كثيرة. (٨) بفضل: بزيادة. (٩) فى (أوّل) معنى التفضيل. والمراد: أعظم العيوب. وليس المراد السابق الذى يليه الثانى. (١٠) وقبيح الخ، (عن مرشد): عن اتباع مرشد. فهنا مضاف محذوف. أى من القبيح أن تنهى غيرك عن أن يسترشد برأى مرشد يهديه إلى الحق. وفى (أمراء البيان) لكرد على بك: أن تنهى مرشدا. (١١) (أو تغرى)، هو من إغراء الكلب بالصيد، أى تحريضه عليه. يعنى أنه من القبح أن تغرى الناس بذى الشفقة والعطف والرحمة، وتحرّضهم على مضايقته. (١٢) ولئن أخطأنا الخ، يعنى أننا إن كنا قد أخطأنا طريق هدايتكم إلى الحق، فما أخطأنا سبيل حسن نيتنا فى إرشادكم. وقوله: (فيما بيننا وبينكم)، (فى) هنا للسببية. أى بسبب ما بيننا وبينكم من صلة القرابة، أى إن عدم خطئنا سبيل حسن النية إنما هو بسبب ما بيننا وبينكم من صلة.

ثم قد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلّا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشُهِرْنا به فى الآفاق دُونكم. فما كان أحقَّكم فى تقديم حُرْمَتِنا بكم، أنْ تَرْعَوْا حقَّ قَصْدِنا بذلك إليكم، وتنبيهنا على ما أغْفَلنا من واجب حَقّكم! فلا العُذْرَ المبسوطَ بلغتم، ولا بواجب الحُرْمة قُمْتم. ولو كان ذِكْرُ العُيُوبِ بِرًّا وَفَضْلًا، لرأينا أنّ فى أنْفُسِنا عن ذلك شُغْلًا. وإنّ من أعظم الشِّقْوة، وأبعدَ من السعادة، أنْ لا يَزَالُ يَتَذَكَّرُ زَلَلُ المعلّمين، ويُتَنَاسَى سُوءُ استماع المتعلّمين، ويُسْتَعْظَمُ غَلَطُ العاذِلين، ولا يُحْفَلُ بتعمُّد المَعْذُولين.

عبتمونى بقولى لخادمى: أجيدى عَجْنه خميرا، كما أجَدْته فطيرا، ليكون أطْيَبَ لطَعْمه، وأزيدَ فى رَيْعه. وقد قال عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه ورحمه — لأهله: أملِكُوا العجينَ، فإنّه أرْيَعَ الطَّحْنَتَين.

---

(١) فما كان أحقكم الخ، (كان) زائدة. و(حرمتنا بكم): صلتنا بكم وحقنا عليكم. (٢) وتنبيهنا الخ، (تنبيهنا) معطوف على (حق)، أى: وأن ترعوا تنبيهنا. وأغفل الشىء: تركه على ذكر وتغافل عنه. وفى (أمراء البيان): على ما راعيناه من واجب الخ. (٣) فلا العذر الخ، أى فلم تصلوا إلى أن تعتذروا عما فرط منكم من التقصير فى حقنا.

(٤) ولو كان الخ، أى: إنى لا أتعرض لذكر عيوبكم، وإن تعرضتم أنتم لذكر عيوبى. لأنه لو كان ذكر العيوب الخ. و(عن ذلك) متعلق (بشغلا). (٥) وإن من أعظم الخ، الشقوة بالكسر والفتح: الشقاء. و(أبعد) معطوف على (أعظم). أن لا يزال الخ، أن المخففة. واسمها ضمير الشأن. والجملة بعدها خبر. وجملة (يتذكر الخ) خبر (يزال). و(زلل المعلمين): ما يقعون فيه من الهفوات. (٦) سوء استماع المتعلمين: تهاونهم بما يلقى إليهم من الموعظة أو العلم، أو تغافلهم عنه. (٧) ويستعظم الخ، (يستعظم): يعدّ عظيما. و(العاذلين): اللائمين. وقوله: (ولا يحفل الخ)، يقال حفل الشىء وبالشىء واحتفل به: بالى به واهتم. و(تعمد) مصدر تعمد الشىء: قصده، كعمد له وإليه. يعنى أنه من الشقاء أن يستعظم غلط العاذلين فى عذلهم، على حين لا يهتم ولا يؤبه لما يأتيه المعذول من الإثم عن قصد وتعمد — فهو يعنى بقوله: (وإن من أعظم الشقوة الخ) أن حاله مع هؤلاء الناس كحال المعلم المنسىّ فضله، المذكور زلله، مع متعلمين لا يلتفتون له، وكحال عاذل قد يهفو ويغلط فى عذله مع معذول يتعمد الإثم والنقيصة. (٨) أجيدى الخ، الفطير ضدّ الخمير، وهو العجين الذى لم يختمر. وقوله: (ليكون)، اسم يكون يعود إلى المفهوم من المقام، أى ذلك الذى ذكرته من الإجادة. والريع مصدر راع يريع (بفتح الياء)، إذا زاد ونما. فمعنى (أزيد فى ريعه): أعظم لسخائه وزيادته. (٩) أملكوا الخ، الذى فى (النهاية) لابن الأثير: أملكوا العجين فإنه أحد الريعين اهـ ونقله فى اللسان. فلعل ما هنا رواية أخرى. وملك العجين (من باب ضرب) وأملكه وملّكه: شدّ عجنه وقوّاه. ومعنى (أريع الطحنتين) أن الطحنة المملكة أنمى من غير المملكة.

وعِبتم علىَّ قولى : مَنْ لم يعرف مَوَاقِعَ السَّرَف فى المَوْجُود الرَّخِيص ، لم يعرف مواقع الاقتصاد فى المُمْتَنِـع (١) الغالى : فلقد أُتِيتُ من ماء الوَضُوء بكَيْلَة (٢) يَدُلُّ حَجْمُها على مَبْلَغ الكِفاية ، وأَشَـفَّ (٣) من الكفاية . فلمـا صرتُ (٤) إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، و إلى التَّوفير عليها من وظيفة المـاء (٥) ، وجدتُ فى الأعضاء فَضْلًا على المـاء ، فَعَلِمْتُ (٦) أَنْ لوكنتُ مَكَّنتُ الاقتصادَ فى أوائله ، و رغِبْتُ عن التهاوُن به فى ابتـدائه ، لخرج (٧) آخرُهُ على كفاية أوَّله ، ولكان نصيبُ العُضْو الأوَّل كنصيب الآخر . فعبتمونى بذلك ، وشَنَّعْتُمُوه (٨) بجُهْدِكم ، وقَبَّحتموه . وقد قال الحَسَنُ عند ذكر السَّرَف : إنَّهُ (٩) لَيَكُون فى المـاعُونَيْن المـاءِ والكَلَإِ . فلم يَرْضَ بذكْر المـاء حتى أَرْدَفَه (١٠) بالكَلَإِ .

وعبتمونى حين خَتَمْتُ على سَدٍّ (١١) عظيم ، وفيه شىء ثَمِين مِنْ فاكهة نَفِيسة ، ومِنْ رُطَبَـة غَرِيبة (١٢) ، على عَبْدٍ نَهِم (١٣) ، وصَبِىٍّ جَشِع (١٤) ، وأَمَةٍ لَكْعَاء (١٥) ، وزَوْجة خَرْقاء (١٦) . وليس من أصل الأدب ،

---

(١) الممتنع : النادر . (٢) الكيلة مرة من الكيل . والمراد به المكيل ، من إطلاق المصدر و إرادة الذات . (٣) (أشف) أفعل تفضيل من شف الشىء (من باب ضرب) ، إذا زاد . (٤) صرت الخ ، (صرت) هنا بمعنى وصلت أو انتهيت أى فلما وصلت إلى تفريق الخ . (٥) و إلى التوفير الخ ، أى إلى توفيتها حقها من الغسل . يقال : وفر عليه حقه توفيرا : استوفاه . (٦) وجدت الخ ، أى إن المـاء نقص عن أن يعم أعضاء الوضوء جميعا .

(٧) فعلمت الخ ، (أن) مخففة من (أنّ) . والضمير فى (أوائله) و (ابتدائه) يرجع إلى الوضوء . والضمير فى (به) يعود إلى المـاء . وقوله : لخرج الخ ، الضمير فى (آخره) و (أوّله) يعود إلى المـاء . أى لكان آخر المـاء كافيا كأوّله . والمعنى : لكفى المـاء الأعضاء جميعا . (٨) وشنعتموه الخ ، التشنيع : التقبيح . يقال : شنع عليه أمره ، إذا قبحه . وقوله (بجهدكم) ، أى بمـا فى وسعكم وطاقتكم . (٩) إنه الخ ، (إنه) أى السرف . والمـاعون كل ما انتفعت به ، كما فى اللسان . فسمى الحسن المـاء والكلأ ماعونين . والكلأ : العشب يابسا كان أو رطبا . يعنى أن السرف يكون فى كل ما له منفعة ، حتى المـاء والكلإ ممـا يظن هينا عند الناس . (١٠) فلم يرض الخ ، فاعل (يرض) يرجع إلى الحسن . يعنى أن الحسن البصرى رضى الله عنه لم يرض بذكر المـاء وحده ، فأردفه بالكلإ ، وهو أدون منه .

(١١) السدّ سلة تتخذ من قضبان ، كما فى اللسان . والختم على السد بأن يوضع على فمه قطعة من الطين ، ثم يختم عليها ، على نحو ما نفعل نحن الآن بالختم على الشمع الأحمر ، فى الكتب والرسائل وغيرها . (١٢) (رطبة غريبة) : رطب فائق فى جودته . (١٣) على عبد نهم ، (على) بمعنى (من) ، وهى تأتى لذلك المعنى . و (نهم) : مفرط الشهوة فى الأكل . (١٤) الجشع : أشدّ الحرص على الأكل . جشع يجشع (كفرح يفرح) ، فهو جشع (كفرح) .

(١٥) وأمة لكعاء ، سبق تعريفها . (١٦) مؤنث الأخرق ، وهو الجاهل بمـا يعمله .

ولا فى ترتيب الحُكْم، ولا فى عادات القادة (١)، ولا فى تدبير السادة، أن يستوى فى نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب (٢)، والناعم من كل فن (٣)، واللباب (٤) من كل شكل، التابع والمتبوع (٥)، والسيّد والمسود (٦). كما لا تستوى مواضعهم فى المجلس، ومواقع أسمائهم فى العنوانات، وما يستقبلون به من التحيات. وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر، ولا يكترثون له اكتراث العارف (٧)؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمَّن، وأعلف حماره السمسم المقشَّر (٨)!

فعبتمونى بالختم، وقد ختم بعض الأئمة على مِزود (٩) سويق (١٠). وختم على كيس فارغ، وقال: طِينة خيرٌ من ظِنّة (١١). فأمسكتم عمّن ختم على لا شىء، وعبتم من ختم على شىء.

وعبتمونى حين قلتُ للغلام: إذا زدت فى المرق فزد فى الإنضاج، لتجمع بين التأدّم (١٢) باللحم والمرق، ولتجمع مع الارتفاق (١٣) بالمرق الطيّب (١٤). وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: «إذا طبختم لحما فزيدوا فى الماء، فإن لم يصب أحدكم لحما أصاب مرقا».

(١) جمع قائد. والمراد هنا كل من يلى أمرا ويدبره ويسوسه. (٢) الخطير هنا الكريم الأصل.

(٣) من كل فن، أى من كل نوع من أنواع المأكل والمشرب والملبس. (٤) لباب الشىء: خالصه وخياره.

(٥) فاعل (يستوى). (٦) (ما) مصدرية. والكاف بمعنى مثل. (٧) وكيف الخ، هنا جملة محذوفة لدلالة المقام. والتقدير: وكيف يستوون وهم الخ. والواو للحال. و(من ذلك): من عدم المساواة هذه. والمراد بالقادر المتبوع أو السيد. ويفقدون: يحسون الفقد والنقص والغضاضة. و(لا يكترثون): لا يبالون. يقال: لا يكترث له، ولا يكترث به. ولا يستعمل هذا الفعل إلا فى النفى، كما فى اللسان. (٨) من شاء الخ، كأنه يقول: إن لم تميزوا بين السيد والمسود فافعلوا ما تشاءون — ويقال: علف الدابة وأعلفها. (٩) المزود ما يجعل فيه الزاد. وفى هامش بعض النسخ: أنه على كرم الله وجهه، زهدا فى الأكل منه. وكان صائما، لما رأى فيه من الترفه. فإذا طلب من أهله طعاما أتوه من غيره اهـ. (١٠) السويق: الناعم من دقيق الحنطة والشعير. (١١) طينة الخ، الظنة: الشبهة، أى: لأن أختم على الكيس الفارغ خير من أن أدعه بلا ختم، حتى لا يكون مثارا للظنون والشبهات. وهذا نهاية الحيطة. وفى نسخة ليدن: طينة خير من طية. وقد ضبطت (طية) بكسر الطاء، وتشديد الياء مفتوحة. وهو غير مفهوم.

(١٢) أدمت الخبز (من باب ضرب) وآدمته، إذا أصلحت إساغته بالإدام. وأتدم باللحم وغيره. أما (تأدم) فلم نجده فيا بين أيدينا من المراجع. (١٣) الارتفاق: الانتفاع. (١٤) (الطيب) مفعول تجمع. والمراد بالطيب التلذذ والمتاع. طاب الشىء يطيب طيبا: إذا كان لذيذا.

وعبتمونى بخَصْفِ(١) النِّعال ، و بتَصْـديرِ(٢) القمِيص ، وحينَ زعمتُ أنَّ المخْصُوفةَ أبقَى وأوْطَأ(٣) وأوْقَى(٤) ، وأنْفَى(٥) للكِبْر ، وأشبهُ بالنُّسُك(٦) ، وأنَّ الترقيع من الحَزْم ، وأنَّ الاجتماعَ مَعَ الحِفْظ ، وأنَّ التفرُّق مع التضييع(٧) . وقـد كان النبيُّ صلّى الله عليـه وسلّم يَخْصِفُ نعلَه ، ويُرقِّعُ ثوبه . ولقد لَفَقَتْ(٨) سُعْدَى بنتُ عَوْفٍ إزارَ طَلْحَةَ ، وهو جَوَادُ قُرَيْش ، وهو طَلْحَةُ الفَيَّاض . وكان فى ثوب عُمَرَ(٩) رِقَاعُ أَدَمٍ(١٠) . وقال : من لم يَسْتَحْيِ من الخِلال(١١) خَفَّتْ مُؤْنته(١٢) ، وقلَّ كِبْره . وقالوا : لا جَدِيد لمن لا يلبس الخَلَق(١٣) .

و بعث زِيادٌ(١٤) رَجُلًا يَرْتَادُ(١٥) له مُحَدِّثًا(١٦) ، واشترَط على الرَّائد أن يكون عاقلا مُسَدَّدا(١٧) . فأتاه به مُوَافِقًا . فقال : أكُنتَ ذا معرفة به؟ قال : لا ، ولا رأيتُه قَبْلَ ساعته . قال : أفَناقَلْتَـه

---

(١) خصف النعل (من باب ضرب) : أصلحها بالخياطة أو بالترقيع . (٢) تصدير القميص أن يجعل لصدره بطانة ، لتقويته وصيانته . (٣) وطؤ الشىء يوطؤ (كحسن يحسن) وطاءة ، بفتح الواو : صار وطيئا ، أى على حال لينة . ووطّأته توطئـة : جعلته مريحا لينا . يعنى أن النعل المخصوفة أعظم إراحة للرجل من الجديدة . (٤) أوقى : أعظم وقاية للرجل . (٥) أنفى للكبر ، أى لما تظهره من الفقر . (٦) النسك : العبادة ، أى : إن لبسها أشبه بلبس الزهاد المتعبدين الراغبين عن زخرف الحياة . (٧) وأن الاجتماع الخ ، من عطف العلة على المعلول ، أى وذلك لأن الاجتماع الخ ، أى فإن الترقيع فيه جمع المتفرق . و (مع الحفظ) خبر أن . وكذا (مع التضييع) .

(٨) لفق الثوب (من باب ضرب) : ضم شقة إلى أخرى فخاطهما . وطلحة الفياض هو طلحة بن عبيد الله التيمى . صحابى شجاع . وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة . شهد أحدا (بضم الهمزة والحاء) . وثبت مع رسول الله ، و بايعه على الموت . ولم يكن يدع أحدا من بنى تيم عائلا إلا كفاه مؤنته ومؤنة عياله ، ووفى دينه . قتل يوم الجمل ، رضى الله عنه .

(٩) عمر ، أى ابن الخطاب رضى الله عنه . (١٠) الأدم جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ . ويجمع الأديم أيضا على أدم ، ككتب . (١١) الخلال هنا ما يشدّ به الثوب إذا تمزق من بلى أو نحوه . وذلك نحو عود رفيع . وفى القاموس وشرحه : وذو الخـلال أبو بكر الصـدّيق رضى الله عنه . لقب به لأنه ... خل كساءه ، وهى عباءة كانت عليه ، بخلال اهـ . (١٢) المؤنة الحاجة من طعام وشراب وكساء وغير ذلك . و يقال أيضا : مونة ، بغير همز . ومعنى : من لم يستحى الخ ، أن الذى لا يعبأ أن يرى الناس ثوبه على هذا النحو ، لا يتأنق فى معيشته ، فيقل لذلك عبئها عليه ، كما يقل كبره وخيلاؤه . (١٣) خلق الثوب يخلق (كنصر ينصر) خلوقة ، بضم الخاء واللام ، وأخلق : بلى . والخلق للذكر والمؤنث . والجمع خلقان ، بضم الخاء وسكون اللام . (١٤) المراد زياد ابن أبيـه القائد الفاتح الخطيب المفوّه . قال الشعبى : ما رأيت أحدا أخطب من زياد . وأخباره مبسوطة فى كتب الأدب والتاريخ . توفى سنة ٥٣ هـ . (١٥) ارتاد الرجل شيئا : طلبه . وراده ريادا (بكسر الراء) مثله .

(١٦) اسم يكون يعود إلى المحدث . (١٧) من يأتى بالصواب فى قوله وفعله .

الكلامَ، وفاتَحْتَهُ الأُمُورَ(١) قبلَ أنْ تُوصِّله إليّ؟ قال: لا . قال: فَلِمَ اخترتَه على جَمِيع مَنْ رأيتَه؟ قال : يومُنَا يومٌ قائِظ(٢) ، ولم أزَلْ أتعرَّفُ عُقُولَ الناس بطعامهم ولِباسِهم فى مِثْل هذا اليوم . ورأيتُ ثيابَ الناسِ جُدُدا(٣)، وثيابَه لُبُسا(٤) ، فظننتُ به الحَزْم(٥) .

وقد عَلِمنا أنّ الخَلَقَ فى مَوْضِعه، مِثْلُ الجديد [فى مَوْضِعه](٦) . وقد جعل الله عزّ وجلّ لكلّ شىء قَدْرا، و بوّأ له مَوْضِعًا(٧)؛ كما جَعَلَ لكلّ دَهْرٍ رجالا، ولكلّ مَقام مَقالا . وقد أحْيَا بالسُّم، وأمَاتَ بالغِذَاء، وأغصَّ بالمـاء(٨)، وقَتَل بالدواء . فترقيعُ الثَّوْبِ يَجْمَعُ مع الإصلاح التواضُعَ . وخلافُ ذلك يجمع مع الإسراف التكبّر . وقد زَعَمُوا أنَّ الإصلاح أحَدُ الكَسْبَيْن، كما زَعَمُوا(٩) أنّ قِلّة العِيَال أحدُ اليَسَارتين . وقد جَبَرَ الأحْنَفُ(١٠) يَدَ عَنْزٍ . وأمر بذلك النُّعْمانُ(١١) . وقال عُمَر : مَنْ أكَلَ بيْضة فقد أكل دَجَاجة . وقال رجلٌ لبعض السَّادة : أهْدِى إليك دَجاجةً؟ فقال : إنْ كان لا بُدّ فاجْعلها بيَّاضة . وعدّ أبو الدَّرْدَاء(١٢) العُرَاقَ حُرَّ البَهِيمة .

(١) أفاقلته الخ، فى الأساس : وناقله الحديث : إذا حدّثه وحدّثك اهـ . وقوله : وفاتحته الأمور، قال فى اللسان : وتفاتح الرجلان : إذا تفاتحا كلاما بينهما وتخافتا دون الناس اهـ والمراد (بالأمور) مختلف الشؤون . (٢) قائظ : شديد الحرّ، من قاظ اليوم يقيظ قيظا . (٣) جمع جديد . (٤) (لبسا)، جمع لبيس (بوزن قميص)، وهو الثوب أكثر لبسه حتى أخلق . (٥) الحزم : إحكام الأمر و إتقانه وأخذه بالثقة . وقد حزم الرجل يحزم (ككرم يكرم)، فهو حازم . (٦) وقد علمنا الخ، يعنى أن الخلق إذا لبس فى الوقت الملائم والمكان الملائم، كان كالجديد إذا لبس فى الوقت والمكان الملائمين . فكلاهما قد استعمل حق استعماله . وفى نسخة ليدن : (أن الجدد فى موضعه دون الخلق) . وكذا نقله فى (أمراء البيان) . وهو غير مفهوم . وفى هامش نسخة ليدن : أن الخلق فى موضعه مثل الجديد . (٧) و بوأ الخ، يقال : بوأ له منزلا : أى موضعا، و بوأه منزلا أو موضعا : هيأه ومكن له فيه . وتبوأ منزلا : نزله . (٨) الغصة ما يعترض الحلق من طعام أو شراب . و يقال : غصصت بالطعام والشراب غصصا (من باب فرح)، فأنا غاص وغصان .

(٩) وقد زعموا الخ، (زعم) هنا بمعنى القول . ومعنى كون الإصلاح أحد الكسبين، أن الثوب مثلا إذا رقع طال أجله . فقام مقام ثوب جديد يشترى . فهذا كسب . وكذا يقال فى قلة العيال . لأن العيال إذا كثروا كثر الإنفاق . و إذا قلوا قل الإنفاق، فتوافر المال . وهذا كسب . واليسار واليسارة الغنى . (١٠) أى ابن قيس، حكيم العرب . (١١) أى ابن المنذر ملك الحيرة . (١٢) وعد أبو الدرداء الخ، هو عويمر بن مالك الخزرجى الصحابى . كان قبل إسلامه تاجرا، وكان شجاعا زاهدا . مات بالشام سنة ٣٢ هـ . والعراق جمع عرق (بفتح فسكون)، وهو العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم وبقى عليه لحوم رقيقة . والحرّ من كل شىء خياره . يعنى أنه كان يبالغ فى منفعة العظم القليل اللحم . وكلمة (حر) استظهرناها نحن . وفى نسخة ليدن : (جزر) . وهو ما لا معنى له . وفى نسخة الساسى : جزء، كما فى (أمراء البيان) . وهو تلك الأرومة التى تؤكل .

وعِبْتُمونى حين قُلْتُ : لا يَغْـتَرَّنَّ أحدٌ بطول عُمُره، وتقوُّس ظَهْـره، ورِقَّة عَظْمه، وَوَهَنِ قُوَّته، أن يُرِىَ أُكْرُومَتَـه (١)، ولا يُحْرِجْه (٢) ذلك إلى إخراج ماله مِنْ يدَيْه، وتحويله إلى مِلْك غَيْره، وإلى تحكيم السَّرَف فيـه، وتسْليط الشَّهَوات عليه ؛ فلعلّه أن يكون مُعَمَّرًا (٣) وهو لا يَدْرى، ومَمْدُوداً له فى السِّن وهو لا يَشْعُر. ولعلّه أن يُرْزَقَ الولدَ على اليأس (٤)، أو يَحْدُثَ عليه بعضُ مُخَبَّآت الدُّهور (٥)، مما لا يَخْطُر على البال، ولا تُدْرِكُه العقول، فيَسْتَرِدَّه مَن لا يرُدُّه، ويُظْهِرَ الشَّكْوَى إلى مَنْ لا يَرْحَمُه (٦)، أضْعَفَ ما كان عن الطلب (٧)، وأقبحَ ما يكونُ (٨) به الكسبُ.

فعِبْتُمونى بذلك. وقد قال عَمْرُو بنُ العاص : اعْمَلْ لدنياك عملَ مَنْ يَعِيشُ أبدًا، واعمـل لآخرتك عملَ مَنْ يموتُ غدًا.

وعبتمونى حين زعمتُ أنَّ التبـذير إلى مال القِمار، ومال المِيراث، وإلى مال الالتِقاط، وحِباءِ الملوك، أسْرَعُ (٩)، وأنّ الحفْظ إلى المـال المُكْتَسَب، والغِنَى المُجْتَلَب، وإلى ما يَعْرِض

(١) لا يغترن الخ، رقة العظم كناية عن الشيخوخة. والوهن : الضعف. وقد تفتح الهاء. و(أن يرى)، أى بأن يظهر، فالمصدر من (أن) والفعل مجرور بباء محذوفة. وهى للتصوير، أى لتصوير الاغترار. والأكرومة فعل الكرم، كما فى القاموس.

(٢) (يحرجه) : يلجئه ويدفعه.

(٣) من عمر الرجل، (بالبناء للمفعول) إذا مدّ له فى العمر. يقال عمره الله، وعمره (من باب نصر).

(٤) ولعله الخ، (لعل) هنا، كلعل السابقة، للتوقع والرجاء. و(الولد) يطلق على الذكر والأنثى والمثنى والمجموع. وقوله : (على اليأس)، أى فى سن اليأس من الولد. فعلى بمعنى (فى).

(٥) أو يحدث الخ، أى يطرأ عليه بعض نوازل الدهر وحوادثه المخبأة فى الغيب. ويقال : خبأه، من باب منع : ستره، كخبأه (بالتشديد) واختبأه.

(٦) فيسترده الخ، الضمير المفعول فى (يسترده) يعود إلى المال. ومن لا يرد، ومن لا يرحم هو من حوّل المال إليه.

(٧) أضعف الخ، (أضعف) حال من فاعل (يسترده) و(عن الطلب) متعلق بأضعف. والمراد بالطلب طلب القوت والسعى على الرزق.

(٨) وأقبح الخ، (أقبح) معطوف على (أضعف).

(٩) أن التبذير الخ، (مال الالتقاط) : ما يلتقط من الأرض فى السبل وفى الطرق ونحو ذلك. وقوله : (وحباء الملوك)، الحباء ما يحبو به الرجل غيره ويكرمه به. و(أسرع) خبر (أن). و(إلى مال) متعلق بأسرع، أى أسرع إلى هذه الأموال منه إلى غيرها، لأنها جاءت من طرق هينة، فلا يحرص المرء عليها حرصه على ما كدّ فيه وتعب.

فيه لذَهاب الدِّين، واهتِضامِ العِرْض، ونَصَب البَدَن، واهتمام القلب أسرَعُ[١]؛ وأنّ مَن لم يَحْسُب ذهاب نفقته، لم يَحْسُبْ دَخْلَه[٢]، ومن لم يَحْسُب الدَّخْل فقد أضاعَ الأصل؛ وأنّ مَن لم يَعرِف للغِنَى قَدْرَه، فقد أَذِنَ بالفقر[٣]، وطابَ نَفْسا بالذُّل .

وزعمتُ أنّ كَسْبَ الحَلال مُضَمَّنٌ[٤] بالإنفاق فى الحلال؛ وأن الخبيثَ يَنزِع إلى الخبيث[٥]؛ وأنَّ الطَّيِّب يَدْعُو إلى الطيِّب[٦]، وأنّ الإنفاقَ فى الهَوَى حِجابٌ دُونَ الحُقُوق[٧]؛ وأنّ الإنفاقَ فى الحقوق حِجازٌ دُونَ الهوى[٨] . فعِبتم عَلَيَّ هذا القولَ . وقد قال مُعَاوِيةُ : لم أَرَ تَبْذيرا قطُّ إلّا و إلى جانبه حقٌّ مضيَّعٌ . وقد قال الحَسَنُ[٩] : إذا أردتُمْ أن تَعْرِفُوا مِنْ أينَ أصابَ مالَه[١٠]، فانظُروا فى أيِّ شيء يُنْفِقُه؟ فإنَّ الخبيثَ[١١] يُنْفَقُ فى السَّرَف .

وقُلْتُ لكم بالشَّفقة منّى عليكم[١٢]، وبِحُسْن النَّظَرِ لكم[١٣]، وبِحِفْظِكم لآبائكم[١٤]، ولِما

---

(١) وأن الحفظ الخ، (الغنى المجتلب) : المجلوب بالكد والسعى . و(ما يعرض فيه الخ) : ما يتعرّض فيه الخ، و(اهتضام العرض) : إلحاق الأذى به . و(اهتمام القلب) : قلقه واشتغاله . (٢) (وأن من لم الخ) : حسبه : عدّه وأحصاه، (من باب نصر)، حسبة (بكسر فسكون) وحسبانا (بضم فسكون) . والمراد بالذهاب هنا الذاهب . وأطلق المصدر وأراد به الذات . والدخل ما يدخل على الإنسان من عقاره وتجارته، كما فى المصباح .

(٣) (أذن بالفقر)، يقال : أذن بالشيء إذنا : علم به . والمراد : رضى، على المجاز .

(٤) مضمن الخ، يقال : ضمّنته الشيء تضمينا فتضمنه، مثل غرّمته . والمعنى : أن كسب الحلال ملزم إلزاما أن ينفق فى وجوه الحل . (٥) وأن الخبيث الخ، نزع إلى الشيء ينزع نزاعا (بكسر النون) : ذهب ومال . يعنى أن الخبيث من المال يذهب إلى الخبيث من الأعمال . (٦) وأن الطيب الخ، هذا فى معنى قوله السابق : (أن كسب الحلال الخ) . (٧) وأن الإنفاق الخ، يعنى أن إنفاق المال فى ميول النفس الفاسدة يحجبها عن أن تؤدى حقوق الناس . (٨) وأن الانفاق الخ، هذا عكس الحكم السابق . و(حجاز) : حجاب . (٩) المراد به الحسن البصرى، رضى الله عنه . (١٠) فاعل (أصاب) مفهوم من سياق المقام، أى (الإنسان) . (١١) الخبيث صفة لموصوف محذوف، أى المال الخبيث .

(١٢) وقلت لكم الخ، الباء فى (بالشفقة) للسببية، أى بسبب شفقتى عليكم . (١٣) وبحسن الخ، أى وبسبب حسن نظرى لكم، أى بحبّى وإشفاق عليكم . (١٤) (وبحفظكم لآبائكم) : بوجوب رعايتكم حقوقهم ومحافظتكم على أموالهم .

يجبُ فى جِوَارِكم(١)، وفى مُمَالحتكم(٢) ومُلابَستِكم(٣) : أنتم فى دار الآفات(٤)، والجوائحُ غيرُ مأمُونات(٥) . فإنْ أحاطتْ بمـال أحدِكم آفةٌ لم يَرْجِـعْ إلى بَقِيَّة(٦)؛ فأحْرِزُوا النِّعمةَ باختلاف الأمكنة؛ فإنَّ البَلِيَّةَ لا تَجْرى فى الجميع إلا مَعَ مَوْت الجميع(٧) . وقد قال عُمَرُ رضى الله عنه فى العَبْد والأمة، وفى مِلْكِ الشَّاةِ والبعير، وفى الشىء الحقير اليسير : فَرِّقُوا بين المنايا(٨) . وقال ابنُ سِيرِينَ(٩) لبعض البَحْرِيِّين(١٠) : كيف تصنعون بأموالكم؟ قال : نُفَرِّقها فى السُّفُن، فإنْ عَطِبَ بَعْضٌ سلِم بعض . ولولا أنّ السلامة أكثرُ لمـا حَمَلْنا خزائنَنا فى البحر . قال ابنُ سِيرِينَ : تَحْسَبُها خَرْقاءَ وهى صَنَاع(١١) .

وقلتُ لكم عِنْـدَ إشْفَاقى عليكم : إنّ للغِنَى سُكْرًا، وإنّ للـمـال لَنَزْوَةً(١٢) . فمن لم يحفظ الغِنَى مِنْ سُكْرِ الغِنَى فقد أضاعه، ومَنْ لم يَرْتَبِطِ(١٣) المـالَ بخَوْفِ الفَقْرِ فقد أهْمَله . فَعِبْتُمُونى بذلك . وقال زَيْدُ بنُ جَبَلَةَ(١٤) : ليس أحدٌ أفقرَ من غَنِيّ أمِنَ الفَقْرَ . وسُكْرُ الغنى أشدُّ من سكر الخمر .

---

(١) ولمـا يجب الخ، أى وبحفظكم لمـا يجب الخ . والمراد بالحفظ هنا الرعاية أيضا، أى وبرعايتكم لمـا يجب عليكم فى مجاورتكم ومساكنتكم للناس . (٢) (فى ممالحتكم)، الممالحة المؤاكلة، كما فى الأساس، أى وبرعايتكم لمـا يجب عليكم فى مؤاكلتكم للناس . (٣) (وملابستكم)، يقال : لابس الرجل الأمر : خالطه، أى وبرعايتكم لمـا يجب عليكم فى مخالطتكم للناس . (٤) (أنتم الخ)، مقول القول . وفى نسخة ليدن : وأنتم . وفى تخريج الكلام عليه صعوبة . و(دار الآفات) : الدنيا . والآفة : العاهة . أى دار المصائب والمحن . (٥) جمع جائحة، وهى الآفة التى تجتاح المـال . يقال : جاحتهم الجائحة تجوحهم، واجتاحتهم . (٦) فإن أحاطت الخ، يعنى : إن اشتملت الآفة على مال أحدكم كله لم يجد ما يرجع إليه . وقوله : فأحرزوا الخ، أحرز الشىء : جعله فى حرز، أى مكان مانع . أى : اجعلوا النعمة فى حرز بتصريفها فى أمكنة مختلفة . والفـاء فى قوله : (فأحرزوا) للتفريع .

(٧) فإن البلية الخ، الفاء للتعليل، وهو تعليل لقوله، (فأحرزوا الخ) . (٨) (فرقوا بين المنايا)، المنايا جمع منية . والمراد بها هنا ما يعرض له الموت أو التلف، مجازا . والتلف كالسرقة والحريق والغرق، وغير ذلك من أنواع الآفات .

(٩) هو أبو بكر محمد بن سيرين . كان من أفاضل التابعين . مات سنة ١١٠ هـ . (١٠) البحريون : الملاحون . ويسمون أيضا البحارة . المفرد بحار . (١١) تحسبها الخ، امرأة صناع : ماهرة فيما تؤديه من عمل بيديها . والخرقاء ضدها . وهو مثل يضرب لمن تظن به الجهل وهو فطن يقظ . (١٢) إن للغنى الخ، يعنى أن الغنى قد يطيش بالمرء ويذهله عن تدبر العاقبة، فيبذر ويسرف . والنزوة مرة من نزا ينزو : إذا وثب . والمراد الطيش والخفة . (١٣) ومن لم الخ، (يرتبط) : يربط . وربط المـال بخوف الفقر : تذكر الفقر دائما فى حال اليسار .

(١٤) من زعماء الوفود عند عمر بن الخطاب . وهو فصيح حكيم . وله كلام فى (البيان والتبيين) .

وقلتم : قد لزم الحثَّ على الحقوق (١) ، والتزهيدَ فى الفُضُول (٢) ، حتى صار يَستعمِلُ ذلك فى أشعاره بعد رَسَائِله ، وفى خُطَبِه بعد سائر (٣) كلامه . فمنْ ذلك قوله فى يحيى بن خالد :

عَدُوُّ تِلَادِ المَالِ فيما يَنُوبُهُ (٤)   مَنُوعٌ إذا ما منعُه كان أحْزَمَا

ومنْ ذلك قولُه فى محمدِ بنِ زياد :

وخَلِيقَتانِ تُقًى وفضْلُ تحرُّم (٥)   وإهانةٌ فى حَقِّه للمال

وعِبْتمونى حين زَعمتُ أنِّى أقدِّم المالَ على العِلْم ، لأنَّ المالَ به يُغَاثُ العالِمُ (٦) ، وبه تَقُوم النُّفوس قَبْلَ أنْ تُعْرَفَ فَضِيلةُ العلم ، وأنَّ الأصل (٧) أحقُّ بالتفضيل من الفَرْع ، وأنِّى قلت : وإنْ كُنَّا نستبينُ الأمورَ بالنُّفُوس (٨) ، فإنَّا بالكِفَاية نَسْتَبِين ، وبالخَلَّة نَعْمَى (٩) .

وقلتم : وكيف تقول هذا ؟ وقد قِيلَ لرئيس الحكماء ، ومُقَدَّم الأُدَباء : آلعلماءُ أفضلُ أمِ الأغنياء ؟ قال : بل العلماءُ . قيل : فما بَالُ العلماء يأتون أبوابَ الأغْنِياء ، أكثَرَ (١٠) ممَّا (١١) يأتى الأغنِياءُ أبوابَ العلماء ؟ قال : لمعرفة العلماء بِفَضْلِ الغِنَى ، ولجهل الأغنِياء بفضل العلم .

---

(١) (على الحقوق) : على أدائها لأصحابها . (٢) (الفضول) : جمع فضل . وهو هنا ما زاد على الحاجات وضرورات العيش . (٣) (سائر) : هنا بمعنى بقية . (٤) عدو الخ ، التالد والتليد والتلاد : كل مال قديم . وخلافه الطارف والطريف . و (ينوبه) : ينزل به من المهمات والحوادث . أى إنه عند ذلك يعمد الى ماله فيهلكه كأنه عدوه . و (منوع) : كثير المنع لماله والضن به . وقوله : (إذا ما منعه الخ) ، أى إذا كان المنع والبخل أكيس وأعقل . (٥) الخليقة : السجية والطبيعة . و (التحرم) : الاحتماء والتمنع ، أى تمنع وتباعد عن الدنايا . والضمير فى (حقه) يرجع إلى المال . وإهانة المال فى حقه : فيما يجب فيه إنفاقه . (والإهانة) هنا مستعملة فى كثرة الإنفاق مجازا . (٦) (به يغاث العالم) ، أى فيحيا ويقوم أوده ، وبه يحصل العلم . (٧) (وأن الأصل) ، أى : ولأن الأصل ، فهو معطوف على (لأن المال) . (٨) وإن كنا الخ ، (نستبين الأمور) : نعقلها ونفهمها . والباء بالنفوس للاستعانة . و (الكفاية) : ما يكفى من المال للعيش . يعنى أنكم عبتم على أنى قلت : إن وسيلة الفهم إنما هى بالكفاية من العيش ، وإن كان الفهم يحصل بالنفوس ، أى العقول . (٩) (وبالخلة نعمى) ، (الخلة) : الفقر والحاجة . و (نعمى) : نجهل ، على المجاز . (١٠) (أكثر) ، صفة مفعول مطلق محذوف ، أى إتيانا أكثر . (١١) (ما) مصدرية ، أى من إتيان .

فقلت[(١)] : حالُها هي القاضيةُ بينهما . وكيف يَسْتوِى[(٢)] شيء تُرَى حاجةُ الجميع إليـه ، وشيء يُغْنِى بعضُهم فيه عن بَعْض ؟

وعِبْتموني حين قلتُ : إنّ فَضْلَ الغِنَى على القُوت ، إنّما هو كفضل الآلة تكون في الدار ، إن احْتِيجَ إليهـا استُعملت ، وإن استُغْنِيَ عنها كانت عُدّة[(٣)] . وقــد قال الحُضَيْن بنُ المُنْذِر[(٤)] : وَدِدْتُ أنّ لي مِثْلَ أُحُدٍ[(٥)] ذَهباً ، لا أنتفعُ[(٦)] منــه بشيء . قيل : فمـا ينفعُك مِنْ ذلك ؟ قال : لكثرة[(٧)] مَنْ يَخْدُمني عليـه . وقال أيضا : عليك بطلب الغِنَى ، فلو لم يكن لك فيه إلا أنّه عِزٌّ في قلبك[(٨)] ، وذُلٌّ في[(٩)] قلب غيرك ، لكان الحَظُّ فيه[(١٠)] جَسِيما ، والنفعُ فيه عظيما .

ولسنا نَدَعُ سِـيرةَ الأنبياء ، وتعليمَ الخُلفاء ، وتأديبَ الحكماء ، لأصحابِ الأهْواء[(١١)] : كان رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم يأمُرُ الأغنياءَ باتِّخاذ الغَنَم ، والفُقَراءَ باتخاذ الدَّجاج . وقال : " درهمُك لمعاشك ، ودِينُك لِمَعَادك " .

---

(١) (فقلت) ، إجابة عن : (وقلتم) . (٢) حالها الخ ، أى حال هـذين الفريقين هى التى تظهر فضـل أحدهما على الآخر . أى فما أتيتم به إدحاضا لحقى قد أدحض حجتكم أنتم ، لأن العلماء ما طرقوا أبواب الأغنياء إلا لمعرفتهـم قدر الغنى ، لما له من عموم النفع فى العالم ، وما قعـد الأغنياء عن طرق أبواب العلماء إلا لما خفى عليهم من فضل العلم ، لعدم عموم النفع به . وقد أوضح هـذا المعنى بقوله : وكيف يستوى الخ .

(٣) إن فضـل الخ ، أسلوب آخر للدفاع عن الغنى . و(القوت) ما يؤكل ليمسك الرمق . والآلة : الأداة . والعدّة : ما أعدّ لينتفع به الناس . (٤) هو أبو ساسان حضين بن المنذر ، تابعى . (٥) جبل بقرب المدينة مما يلى الشام . (٦) (لا أنتفع) ، هـذه الجملة فى محـل نصب حال من الضمير فى (لى) .

(٧) لكثرة الخ ، (لكثرة) متعلق (بوددت) محذوفا للعلم به ، أى وددت ذلك لكثرة الخ . وعلى فى (عليـه) بمعنى التعليل ، أى من أجل أملهم الانتفاع به . (٨) (عز فى قلبك) : لذة وسرور ، من تصور القدرة به على تذليل الصعاب وقضاء الحاجات . والمراد بالقلب : النفس . (٩) وذل الخ ، أى حسـد ، من إطلاق المسبب و إرادة السبب . وقد كان بدل (ذل) : (شبهة) فى نسخة (ليدن) . ولكنا وجدنا (ذل) فى نسخة أخرى ، فآثرناها لوضوحها . (١٠) وفى نسخة : به . (١١) (لأصحاب الأهواء) ، الأهواء جمع هوى ، وهو ميل النفس وانحرافها نحو الشيء ، ثم استعمل فى الميل المذموم .

فَقَسَّمُوا الأمور كلَّها على الدِّين والدنيا . ثم جعلوا أحدَ قِسْمَي الجميع الدِّرْهَمَ[١] . وقال أبو بكر الصِّدِّيقُ، رضى الله عنه : إنِّى لأُبْغِض أهـل البيت يُنْفقون رِزْق الأيَّام فى اليوم . وكانوا[٢] يُبْغِضُون أهلَ البيت اللَّحِمِين[٣] .

وكان هِشامٌ[٤] يقول : ضـع الدِّرهم على الدِّرهم يكونُ مالاً . ونَهى أبُو الأسْـوَد الدُّؤَلىُّ[٥]، ٥ وكان حكيما أديبًا، وَداهِيًا[٦] أريبًا[٧]، عن جُودِكُمْ هذا المولَّدِ[٨]، وعن كَرَمِكُمْ هـذا المُسْتَحْدَث . فقال لابنه : إذا بَسَطَ الله لكَ الرِّزْقَ فابْسُط، و إذا قَبَضَ فاقْبِضْ[٩] . ولا تُجَاوِدِ[١٠] الله، فإنّ الله أجْوَد منك . وقال : دِرْهَمٌ من حِلٍّ يَخْرُج فى حَقٍّ خيرٌ من عَشَرَة آلافٍ قَبْضا[١١] .

وتلقَّط عُرُنْدًا مِنْ بَزِيم[١٢]، فقال : تُضيعُون مِثْلَ هذا، وهو قُوتُ آمْرِئٍ مُسْـلِم يوما إلى الليل! وتلقَّط أبُو الدَّرْداءِ حبَّاتِ حِنْطة، فَنَهاه بعْضُ المُسْرفين . فقال : لِيَهِنِ ابنُ العَبْسِيَّة![١٣] ١٠ إنَّ مِرْفَقَةَ المَرْءِ رِفْقُه فى مَعِيشته[١٤] .

(١) ثم جعلوا الخ، المراد بالدرهم المال . والمعنى أن للمال شأنا كبيرا فى كلا القسمين، فهو نافع للدنيا وللآخرة .

(٢) اسم كان يعود إلى الأنبياء والخلفاء والحكماء . (٣) (اللحمين) : المكثرين من أكل اللحم، أى لما فى ذلك من التبذير والإسراف . (٤) هشام بن عبد الملك بن مروان، من ملوك الدولة الأموية فى الشام . توفى سنة ١٢٥ هـ . (٥) هو ظالم بن عمرو، أبو الأسـود الدؤلى . وهو أول من وضع علم النحو بأمر ١٥ على بن أبى طالب . شهد صفين مع على . وولاه ابن عباس البصرة . ومات بها سنة ٦٩ هـ . (٦) الدهاء : الحزم وجودة الرأى . ورجل داه، وده، وداهية . (٧) الأريب : الداهى البصير بالأمور . (٨) المولد : المستحدث الذى يأتى على غير مثال سبق . والمراد أنكم استحدثتم شيئا ظننتموه كرما، وما هو بكرم . (٩) إذا بسط الخ، (بسط) : وسع . (وقبض) : ضيق . ومفعول (ابسط واقبض) محذوف، أى يدك . (١٠) (تجاود)، مفاعلة من الجود . أى لا تبار الله تعالى ولا تنافسه فى الجود . (١١) (قبضا) منصوب على الحال، أى مقبوضة . يعنى أن ٢٠ هذا الدرهم بماله من أجر وثواب، أفضل من عشرة آلاف تقبضها . (١٢) العرند : الشديد الغليظ . والبزيم، ما يبقى من المرق فى أسفل القـدر . أى إنه استخرج من بقايا المرق عصبا غليظا كان قد ترك لصلابته . (فعرندا) صفة موصوف محذوف . وفى نسخة ليدن : بريم . وهو غير مفهوم . فرجحنا أن تكون بالزاى، وأن يكون التوجيه على ما ذكرنا .

(١٣) (ليهن)، دعاء عليه بالذل والهوان، من هان يهـون . (والعبسية) نسـبة إلى قبيلة عبس المشهورة . وأبوها عبس بن بغيض بن ريث . وفى نسخة ليـدن : أيهن . وفى (أمراء البيان) : إيه ابن العبسـية .

٢٥ (١٤) إن الخ . المرفقـة والمرفق : المتكأ . وفى الأساس : وبت مرتفقا والرمل مرفقتى اهـ . يقول : إن معتمد المرء فى الحياة ومستنده هو أن يكون رفيقا فى معيشته، لا عنيفا بالإسراف .

فلستمْ على تَرَدُّدون ، ولا رأيي تفنّـدُون (١) . فقدِّموا النظرَ (٢) قبلَ العَزْم . وتذكّروا ما عليكمْ ، قبلَ أنْ تذكُروا مالكم . والسلام .

⁂

نبدأ بأهْل خُراسانَ ، لإكثار النـاس (٣) فى أهْل خُرَاسَان (٤) . ونَخُصُّ بذلك أهْلَ مَرْوَ (٥) بقَدْر ما خُصُّوا به (٦) .

قال أصحابنا : يقول المَرْوَزِىُّ (٧) للزائرِ إذا أتاه ، ولجَلِيس إذا طال جُلُوسُه : تغدّيتَ اليومَ؟ فإنْ قال : نعم ، قال : لولا أنَّك تغـدّيتَ لغدّيتك بِغَـدَاءٍ طيِّب (٨) . وإن قال : لا ، قال : لوكُنْتَ تَغدّيتَ لَسقيتُك خمسةَ أقْدَاح (٩) . فلا يَصيرُ فى يده على الوَجْهين قليلٌ ولا كثير (١٠) .

وكنت فى مَنْزِل ابنِ أبى كَرِيمةَ ، وأصلُه من مَرْوَ . فرآنى أتوضأ مِنْ كُوزِخَزَفٍ ، فقال : سبحان الله ، تتوضأ بالعَذْب والبئرُ لك مُعْرِضَة (١١) ! قلتُ : ليس بِعَذْب ، إنَّما هو مِنْ ماء البئْر . قال : فتُفْسِدُ علينا كُوزَنا بالمُلُوحة ! فلم أدْرِكيف أتخلَّص منه (١٢) ؟

وحدّثنى عَمْرُو بن نَهْيوِىَ (١٣) ، قال : تَغَـدّيتُ يوما عند الكِنْدِىّ (١٤) . فدخلَ عليه رجلٌ كان له جارًا ، وكان لى صديقا . فلم يَعْرِض عليه الطعامَ ونحن نأكُلُ . وكان أبخلَ مَنْ خَلَقَ الله (١٥) . قال : فاستَحْييتُ منه (١٦) ، فقلتُ : سبحانَ الله ، لو دَنَوْتَ فأصَبْتَ معنا ممّـا نأكل (١٧) ! قال : قد والله

(١) تفندون : تخطئون (بتشديد الطاء مكسورة) ، أى إنما تخطئون السلف الصالح . (٢) المراد بالنظر هنا التفكر والتدبر . (٣) إقليم من بلاد فارس . (٤) (لإكثار الناس) ، المفعول محذوف ، أى الكلام . والمراد الكلام فى نوادر بخلهم . (٥) مرو : بلد من إقليم خراسان . (٦) بقدر ما خصهم الناس به فى هذا الباب .

(٧) نسبة إلى مرو . و يقال أيضا : مروى (بسكون الراء) ، ومروى (بفتح الراء) . (٨) الغداء . طعام الغداة . والغداة الضحوة . (٩) جمع قدح : إناء للشرب ، اختلف فى مقداره . و يريد النبيذ . (١٠) فلا يصير الخ . الضمير فى (يده) يعود إلى الزائر أو الجليس . والمعنى : لا ينال منه شيئا . (١١) ظاهرة . قال فى المصباح : عرضت الشيء ، عرضا ، من باب (ضرب) ، فأعرض هو بالألف ، أى أظهرته وأبرزته ، فظهـر هو وبرز اه .

(١٢) لم أدر الخ ، أى لم أجد جوابا أرد به عليه ، فيخلصنى من هذا المأزق . (١٣) لم نعثر على ترجمة لهذا الرجل ، ولعله منسوب الى نهيا (بكسر النون وسكون الهاء) . وهى علم على مواضع شتى . (١٤) الكندى . (١٥) عمرو بن نهيوى . (١٦) (منه) : من الرجل . (١٧) لو دنوت الخ ، (لو) إما للتمنى ، أى وددت الخ . و إما للشرط ، و يكون جواب الشرط محذوفا ، أى : لكان ذلك حسنا مثلا . و (أصبت) : نلت .

فعلتُ[1] . فقال الكِنْدِىّ : ما بَعْدَ الله شيء ! قال عمرو[2] : فَكَتَفه والله كَتْفًا[3] لا يستطيعُ معه قَبْضًا ولا بَسْطا ، وتَركه . ولو مَدّ يده لكان كافرا ، أو لكان قد جَعَلَ مع الله — جلَّ ذِكْرُه — شيئًا[4] !

وليس هذا الحديثُ لأهل مَرْوَ[5] ، ولكنّه من شَكْل الحديث الأوّل[6] .

وقال ثُمَامَةُ[7] : لم أَرَ الديكَ فى بلدة قطُّ إلّا وهو لاقِطٌ[8] ، يأخذ الحبَّة بمنقاره ، ثم يَلفِظُها قُدّامَ الدَّجاجة ، إلّا دِيَكَةَ مرو ، فإنّى رأيت دِيَكةَ مَرْوَ تَسْلُبُ الدَّجاجَ ما فى مناقيرها من الحَبِّ !

٥ قال : فعلمتُ أنَّ بُخْلَهم[9] شىء فى طَبْع البلاد[10] ، وفى جَواهر الماء . فَمِنْ ثَمَّ[11] عمّ جميعَ حيوانِهم .

فحدّثتُ بهذا الحديث أحمدَ بنَ رَشيد ، فقال : كنتُ عند شَيْخ مِنْ أهل مَرْوَ ، وصَبِىٌّ[12] له صغيرٌ يلعب بين يَدَيْه ، فقلت له إمّا عابِثًا و إمّا مُمْتَحِنا[13] : أَطْعِمْنى من خُبزكم ، قال : لا تُرِيده ، هو مُرٌّ[14] ! فقلت : فأسقنى[15] من مائكم ، قال : لا تريده ، هو مالح[16] ! قلت : هات من كذا وكذا ، قال : لا تُرِيده ، هو كذا وكذا ! إلى أن عَدَدْتُ[17] أصْنافا كثيرة . كلُّ ذلك يَمْنعُنِيه ويُبغِّضه

١٠

(١) أى إنى قد تغدّيت . (٢) أى إن الرجل قد حلف بالله إنه تغدّى . وليس هناك ما يؤكد غداءه بعد هذه اليمين التى هى بالله تعالى . (٣) كتفه (من باب ضرب) : شدّ يديه إلى خلف بالكِتاف . والمراد أنه كبّله بهذه اليمين تكبيلا شديدا لا يستطيع الفكاك منه . والكلام على المجاز . (٤) ولو مدّ يده الخ ، أى ولو أنه مدّها للأكل بعد هذه اليمين . وقوله : لكان كافرا ، أى فى نظر الكندى ، لشدّة هذه اليمين وتأكيدها . و(شيئا) : شريكا . (٥) وليس الخ ، أى لأن الكندى ليس مروزيا ، بل أصله من اليمن ، كما مر فى ترجمته .

١٥

(٦) (الحديث الأول) ، أى الذى بدأه بقوله : (يقول المروزى) . (٧) هو ثمامة بن أشرس النميرى . كان من زعماء المعتزلة ورؤسائهم . وكان فصيحا لسنا . مات سنة ٢١٣ هـ . (٨) (وهو) : الواو للحال .

(٩) (بخلهم) : بخل أهل مرو . (١٠) فى طبع الخ ، أى فى خلقتها وأصل تكوينها . والجواهر : جمع جوهر . ومعناه هنا أصل الشئ وما كانت عليه طبيعته . (١١) (فمن ثم) ، (ثم) بمعنى هناك ظرف غير متصرف ، للمكان البعيد . وقد خرج التركيب إلى التعليل ، أى : فلذلك . (١٢) وصبى ، الواو للحال . (١٣) إما الخ ، (عابثا) حال من التاء فى (قلت) . و(ممتحنا) معطوف على (عابثا) . و(عابثا) : لاعبا . و(ممتحنا) : مختبرا لطبيعة البخل فى نفسه وقدرته على الجواب . (١٤) (هو مر) ، فصل هذه الجملة ، لأنها فى مقام التعليل لما قبلها .

٢٠

(١٥) يقال : سقاه ، وأسقاه . (١٦) الفصيح : ملح . ولا يقال : مالح ، إلا فى لغة رديئة ، على أحد الأقوال . (١٧) (إلى أن عددت) ، أى وما زلت معه هكذا إلى أن عددت الخ .

إلىّ ! فضَحِك أبوه ، وقال : ما ذنبُنا ؟ هذا مِنْ عِلْمه ما تَسْمَع[1] ! يَعْنى أنّ البُخْل طَبْعٌ فيهم ، وفى أعْراقهم[2] وطِينَتِهِمْ .

وزَعَمَ أصحابُنا أنّ خُراسانِيّةً[3] ترافَقُوا فى منزل ، وصَبَرُوا عنِ الارتفاق[4] بالمصباح ، ما أمكنَ الصبرُ[5] ، ثم إنّهم تناهدوا[6] وتخارجُوا . وأبَى واحدٌ منهم أنْ يُعينهم ، وأنْ يَدْخل فى الغُرْم معهم . فكانوا إذا جاء المصباحُ شَـدُّوا عَيْنَيه بمنـديل ! ولا يَزَالُ ولا يزالون كذلك إلى أن ينَامُوا ، ويُطفئُوا المِصْباح . فإذا أطْفَئُوا أطْلَقُوا عينيه[7] !

ورأيت أنا حَمّارةً[8] منهم[9] ، زُهاءَ خمْسين رجلا[10] ، يتغدّوْن على مَبَاقِل[11] بحَضْرَة قرْية الأعراب[12] ، فى طريق الكُوفَة ، وهم حُجّاج . فلم أرَ مِنْ جَمِيع الخمسين رَجُلين يأكُلان مَعًا ، وهم فى ذلك[13] متقارِبُون ، يُحدِّث بعضُهم بعضا . وهذا الذى رأيتُه منهم مِنْ غريب ما يتّفق للنّاس .

حدّثنى مُوَيْس بنُ عِمْران ، قال : قال رجل منهـم[14] لصاحبه ، وكانا إمّا مُترامِلَيْن ، وإمّا مترافقين[15] : لِمَ لانتَطاعم[16] ، فإنّ يد الله مَعَ الجماعة[17] ؟ وفى الاجتماع البركةُ . وما زالوا[18] يقولون :

(١) هذا الخ . (هذا) مبتدأ . و (من علمه) خبره . (وما) اسم موصول بدل من (ذا) ، أى هذا الذى تسمعه ناشئ من علمه ، أى لم يعلمه ولم يلقنه . بل هو فى سجيته . (٢) جمع عرق (بكسر فسكون) وهو الأصـل . (٣) (خراسانية) : جماعة خراسانية . (٤) (الارتفاق) : الانتفاع . (٥) (ما أمكن) ، أى مدة إمكان الصبر وتأتيه . (٦) (تناهدوا) : دفعوا ثمن زيت المصباح فيما بينهم على التساوى . ومثله (تخارجوا) . (٧) (أطلقوا عينيه) : رفعوا المنديل عنهما ، على المجاز . (٨) الحمارة أصحاب الحمير فى السفر . و يقال لأصحاب الجمال : جمالة ، ولأصحاب البغال : بغالة . (٩) (منهم) : من أهل خراسان . (١٠) (زهاء خمسين) : قدر خمسين . (١١) جمع مبقلة ، وهى منبت البقل . والبقل ما نبت فى بذره . (١٢) رجعنا إلى ياقوت وغيره ، فلم نعثر على تعريف لهذا المكان . (١٣) (فى ذلك) : فى أكلهم . (١٤) (منهم) : من أهل خراسان . (١٥) وكانا الخ ، الواو للحال . والزميل المعادل لآخر فى المحمل على البعير ، أو الذى يركب خلفه . قال فى القاموس : و إذا عمل الرجلان على بعيرهما فهما زميلان . فإذا كانا بلا عمل فهما رفيقان اهـ فقوله : إما مترامِلين و إما مترافقين ، معناه أنهما متلازمان فى عمل أو فى غير عمل . (١٦) (لم لا نتطاعم) ، المراد من هذا التفاعل أن يجعلا طعامهما بينهما و يأكلا معا . وقد خرج الاستفهام إلى التعجب . (١٧) فإن الخ ، المراد باليد هنا البركة — وقد جاء هذا الحديث فى اللسان هكذا : (يد الله على الجماعة) . والفاء للتعليل . (١٨) (وما زالوا) ، أى الناس .

طَعامُ الاثْنَيْن يكفِي الثلاثةَ، وطَعَامُ الثلاثةِ يكفى الأربعةَ . فقال له صاحبه : لولا أنّى أعلم أنّكَ آكَلُ مِنّى لأدخلتُ لك هذا الكلامَ فى باب النَّصِيحة .

فلمّا كان الغَدُ(1) وأعادَ عليه القولَ، قال له : ياعبدَ الله، مَعك رغيفٌ ومعى رغيف . ولولا أنّك تريد أكثَرَ(2)، ما كان(3) حِرْصُك على مُؤَاكلتى! تريد الحديثَ والمُؤَانسة؟ اجْعَل الطَّبقَ(4) واحدًا، ويكونُ رغيف كلٍّ مِنّا قُدّامَ صاحبه . وما أشكُّ أنك إذا أكَلْتَ رغيفَك ونصفَ ٥ رغيفِى ستجده مباركا(5) ! إنّما كان يَنْبغِى(6) أنْ أكونَ أجدُه أنا لا أنت .

وقال خاقَانُ بن صُبَيْح : دخلتُ على رجل مِنْ أهْلِ خُراسَانَ ليلا ، وإذا هُوَ قد أتانا بِمِسْرَجة فيها فَتِيلةٌ فى غاية الدِّقّة، وإذا هو قد أَلْقَى فى دُهْن المِسْرَجَة شيئا من مِلْح(7) ، وقد علَّقَ على عَمُود المَنَارة(8) عُودًا بخَيْط، وقد حَزَّ فيه(9)، حتى صَارَ فيه مكانٌ للرِّباط . فكان المصباحُ إذا ١٠ كَادَ ينطفئُ(10) أَشْخَصَ رأس الفَتِيلة بذلك . قال(11) : فقلت له : ما بالُ العُودِ(12) مَرْبوطا ؟ قال :

(١) كان تامة . (٢) (أكثر)، أى طعاما أكثر مما عندك . (٣) كان تامة .
(٤) الطبق ما يؤكل عليه أو فيه . (٥) (ستجده مباركا)، الضمير المفعول عائد إلى (رغيفك) أى : قد بورك فيه بإضافة نصف رغيفى . (٦) إنما الخ، اسم كان ضمير الشأن . وجملة ينبغى الخ خبرها . و(أجده) : أجد رغيفى . ومفعوله الثانى محذوف ، أى مباركا ، بابتعادك عن مؤاكلتى ، ١٥ حتى لا تمتد يدك إليه . وفى التعبير غرابة . ولعل الجاحظ قد نقل هذه المحاورة كما رويت له من غير تصرف .
(٧) وإذا هو الخ، وضع الملح فى الزيت إما لظنهم أنه يحفظ الزيت ويطيل عمره، وإما لظنهم أنه يقوى من ضوء المصباح . (٨) المنارة : هنا ماتوضع عليه المسرجة . وعمودها ما تثبت عليه . و(عودا بخيط) : عودا ربط فيه خيط . (٩) (وقد حز فيه) جعل فيه حزا . (١٠) فكان المصباح الخ ، فاعل (أشخص) يعود إلى الرجل . و(بذلك) ، أى بذلك العود . و(أشخص) : رفع . يعنى أن الفتيلة ٢٠ كانت تميل فى الدهن حتى تكاد تنطفئ . فكان الرجل يقيم الفتيلة ويرفع رأسها بهذا العود المربوط بالخيط .
(١١) (قال) ، أى خاقان بن صبيح . (١٢) ما بال العود ، أى ما حاله وما أمره . و(مربوطا) حال من العود .

هذا عودٌ قــد تَشَرَّبَ الدُّهن . فإن ضَاعَ ولم يُحْفَظ (١) ، احتجنا إلى وَاحِدٍ عَطْشانَ (٢) . فإذا كان هذا دأبَنا ودَأْبَهُ (٣) ، ضاع مِنْ دُهْنِنا فى الشهر بقدر كفاية لَيْلة .

قال : فبيْنا أنا أتعجَّب فى نفسى ، وأسألُ الله — جلَّ ذِكْرُه — العافيةَ والسَّتْرَ ، إذْ دَخَل شيخٌ من أهل مَرْوَ ، فنظَرَ إلى العُود ، فقال : يا أبا فُلان ، فَرَرْتَ مِنْ شىء ووقعتَ فى شَبِيهٍ به (٤) . أما تعلم أنّ الرِّيح والشمسَ تأخذانِ من سائر الأشياء (٥) ؟ أَوَ لَيْسَ قد كان البارحةَ عنــد إطفاءِ السِّراج أَرْوَى ، وهو عندَ إسراجك الليلةَ أَعْطَش (٦) ؟ قد كنتُ أنَا جاهلا مِثْلَك ، حتى وفَّقنى الله إلى ما هو أَرْشَدُ (٧) . ارْبِطْ — عافاك الله ! — بَدَل العُود إبرةً أو مِسَلَّةً صغيرةً . وعلى أنَّ (٨) العُود والخِلال (٩) والقَصَبة (١٠) ربما تعلَّقتْ بها الشَّعْرةُ من قُطْن الفَتيلة ، إذَا سوَّيناها بها ، فتشخَصُ معها (١١) . وربَّما كان ذلك سَبَبا لانطِفاء السِّراج . والحديدُ أَمْلَسُ . وهو مع ذلك غيرُ نَشَّاف (١٢) .

قال خاقان : ففى تلك الليــلة عَرَفْتُ فَضْلَ أهلِ خُراسانَ على سائر الناسِ ، وفَضْلَ أهلِ مرو على سائر أهلِ خراسانَ (١٣) !

(١) (ولم يحفظ) ، أى بالرباط . (٢) (عطشان) : جديد ، لم يتشرب زيتا . والكلام على المجاز .

(٣) فإذا كان الخ ، الدأب : العادة والشأن . والضمير فى دأبه يعود إلى العود . و (دأبنا) ، أى فى إحضار عود جديد فى كل مرة ، (ودأبه) ، أى فى تشرب الزيت فى كل مرة . (٤) فررت الخ ، (من شىء) ، أى من عدم ربط العود . و (فى شبيه به) ، أى فى الضرر . وقد أوضح وجه الشبه بقوله : أما تعلم الخ . (٥) (تأخذان) : تنقصان . و (سائر) هنا بمعنى جميع . (٦) أو ليس الخ ، الضمير فى (ليس) و (كان) يرجع إلى العود . و (البارحة) أقرب ليــلة مضت . منصوب على الظرفية . (وأروى) : أعظم ريا ، من روى يروى (كعلم يعلم) .

(٧) (أرشد) : أكثر توفيقا وسدادا . (٨) (وعلى أن) تركيب يراد به تقوية الدليل . ويقال أيضا بغير الواو . (٩) الخلال : عود تخلل به الأسنان ، أو تخل به الثياب : أى تجمع به أطرافها . وقد سبق شرحه .

(١٠) القصب كل نبات تكون ساقه أنابيب وكعوبا . مفرده قصبة . (١١) (فتشخص معها) : تخرج معها . والفاعل يرجع إلى الفتيلة . و (معها) : مع هــذه الأشياء من العود أو الخلال أو القصبــة .

(١٢) والحديد الخ ، علة لاتخاذ الإبرة أو المسلة ، بدل العود والخلال والقصب . و (أملس) ، أى فلا تعلق به الشعرة من قطن الفتيلة . و (غير نشاف) ، أى فلا يمتص الزيت . (ونشاف) صيغة مبالغة من نشف الثوب العرق مثلا (من باب فهم) ، إذا امتصه . (١٣) فضل الخ ، أى فى البخل .

قال مُثَنَّى بنُ بَشِير : دخلَ أبو عبد الله المَرْوَزِىُّ على شيخ من أهل خُراسانَ ، وإذا هو قد استَصْبَحَ فى مِسْرَجةِ خَزَف من هذه الخَزَفيّة الخُضْر(١) . فقال له الشيخُ : لا يجىءُ والله منك أمرٌ صالحٌ أبدًا ! عاتبتك فى مسارج الحِجارة ، فأعتبتَنِى بالخَزَف(٢) . أوَ مَا علمتَ أنَّ الخَزَفَ والحِجارةَ يَحْسُوانِ(٣) الدُّهنَ حَسْوًا ؟ قال(٤) : جُعِلتُ فِداكَ ! دفعتُها إلى صديق لى دَهَّان(٥) ، فألقاها فى المِصْفاة شهرا ، حتّى رَوِيَتْ من الدُّهن رِيًّا لا تحتاج معه أبدًا إلى شىء(٦) . قال(٧) : ليس هذا أريد ، هذا دواؤه يَسيرٌ . وقد وَقَعْتَ عليه(٨) . ولكن ماعلمتَ أنَّ مَوْضِع النَّارِ من المِسْرَجة فى طَرَف الفَتِيلة لا ينفكُّ(٩) من إحراق النّار ، وتجفيفه وتَنْشِيف مافيه؟ ومتى ابتلَّ(١٠) بالدُّهْن وتَسَقَّاه ، عادَتِ النارُ عليه(١١) فأكلته . هذا دأبُهُمَا(١٢) . فلو قِسْتَ ما يَشْرب ذلك المكان من الدُّهن(١٣) ، بما يستمِدُّه طرفُ الفَتِيلة منه ، لعلمتَ أنّ ذلك(١٤) أكثرُه .

وبَعْدَ هذا(١٥) ، فإن ذلك الموضعَ من الفَتِيلة والمِسْرَجةِ(١٦) لا يزال سائلا جاريا(١٧) . ويقال : إنّك متى وضعتَ مِسْرَجة فيها مصباحٌ(١٨) ، وأخرى لا مصباحَ فيها ، لم تلبثْ إلّا ليلةً أو لَيْلَتَيْنِ حتى

---

(١) وإذا هو الخ ، استصبح فى مسرجة : أسرجها للاستضاءة . و(فى) بمعنى الباء . و(الخزفية) ، أى المسارج الخزفية . (٢) عاتبتك الخ ، يعنى أنى لمتك لما جئتنى بالمسرجة الحجرية ، فأعتبتنى ، أى فأزلت شكواى ، بأن أتيت لى بمسرجة الخزف ، تظن أنها أصلح ، فإذا هى ليست كذلك . ثم أوضح رأيه بقوله : أوَما علمت الخ . (٣) يحسوان : يشربان ، على المجاز . (٤) (قال) : أى أبو عبد الله المروزى . (٥) (دهان) : يبيع الدهن . (٦) (إلى شىء) ، أى من الدهن ، لفرط تشربها إياه . (٧) (قال) ، أى الشيخ . (٨) (وقعت عليه) : اهتديت إليه . (٩) (لا ينفك الخ) ، (ينفك) هنا بمعنى ينتهى . ومفعول (إحراق) محذوف ، أى : إياه . (١٠) (ابتل) ، الفاعل يعود إلى موضع النار من المسرجة . (١١) (عليه) : على الدهن . (١٢) (دأبهما) : دأب النار والدهن . وقد سبق تعريف الدأب . (١٣) مايشرب الخ ، أى بسبب النار . و(من الدهن) بيان (لما) . (١٤) الإشارة إلى ما يشربه ذلك المكان . أى إنه أكثر مما يستمده طرف الفتيلة من الدهن . (١٥) (وبعد هذا) ، أى مهما يكن من شىء بعد الذى قلته لك ، فإن ذلك الموضع الخ . (١٦) (من الفتيلة والمسرجة) ، أى فى حال اشتعال الفتيلة . (١٧) إسناد السيلان والجريان إلى المكان مجاز ، كما قالوا فى نهر جار . (١٨) (مصباح) : فتيلة مشتعلة .

تَرَى السُّفْلَى ملآنةً دُهنًا (١) . واعتَبِرْ أيضا ذلك بالملح الذى يوضع تحت المِسْرجة، والنُّخَالة التى تُوضع هناك، لتسويتها وتَصْوِيبها (٢)، كيف تجدهُما ينْعَصِران دُهْنا . وهذا كلُّه خُسْرانٌ وغَبْنٌ (٣)، لا يتهاون به إلا أصحابُ الفساد (٤) . على أنّ المُفْسدين إنّمـا يُطعِمون الناسَ ويُسقون الناس، وهم على حالٍ يستخلِفُون شيئا، وإن كان رَوْثًا (٥) . وأنت إنّمـا تُطعِمُ النارَ وتُسْقِى النار . ومَنْ أطعمَ النار جَعَلَه الله يومَ القيامة طعاما للنار (٦) !

قال الشيخ : فكيف أصْنَعُ ؟ جُعِلتُ فِدَاك ! قال : تتَّخذُ قِنْديلا . فإنّ الزُّجاجَ أحْفظُ مِنْ غيره . والزُّجاجُ لا يعرف الرَّشْح (٧) ولا النَّشْف (٨)، ولا يَقْبَل الأوساخ التى لا تَزُول إلا بالدّلك الشديد، أو بإحراق النار (٩) . وأيُّهما كان (١٠)، فإنّه يُعِيد المِسْرَجة إلى العَطَش الأوّل . والزُّجاجُ أبْقَى (١١) على المـاء والترابِ من الذهب الإبْرِيز (١٢) . وهو مع ذلك مَصْنوع، والذَّهبُ مخلوق . فإنْ فضَلَت الذهبَ بالصَّلابة، فضَلَت الزجاجَ بالصَّفاء .

والزجاجُ مُجَلٍّ (١٣)، والذَّهبُ ستَّار . ولأنَّ الفتيلةَ إنّما تكونُ فى وسَطه (١٤)، فلا تَحْمَى (١٥) جوانبُه بِوَهَج (١٦)

---

(١) يقول : إنك لو وضعت مسرجة فوق أخرى فارغة من الزيت، بحيث تكون العليا مشتعلة، وتكون فتيلتها بحيث لو سقط منها شىء سقط بالسفلى، لم تلبث الخ . (٢) واعتبر الخ، الاعتبار هنا التدبر والاعتداد . والإشارة فى (ذلك) إلى الضياع الذى يحـدث للدهن من اتخاذ مسرجة خزف . ولعلهم كانوا يضعون الملح المطحون أو النخالة تحت المسرجة للغرض الذى ذكره، وهو تسوية المسرجة وتصويبها، أى إمالتها، ليصل الدهن إلى طرف الفتيلة .

(٣) الغبن : النقص والخسارة . (٤) المراد بالفساد هنا الإسراف . (٥) وهم على حال الخ، الواو للحال . وجملة (يستخلفون) صفة حال . والعائد محذوف، أى فيها . و (يستخلفون شيئا) : يتركون وراءهم بعد الأكل والشرب شيئا . وقوله : (وإن كان روثا)، الواو للحال . والروث رجيع ذى الحافر . وقد أطلقه هنا على رجيع الآدمى مجازا .

(٦) ومن أطعم الخ، هذه النتيجة من سفسطة البخلاء وتمويههم . (٧) الرشح مصدر رشح (من باب فتح)، إذا عرق، أى كما يرشح الخزف . (٨) الامتصاص . (٩) أو بإحراق النار، مفعول (إحراق) محذوف، أى إياها .

(١٠) وأيهما كان الخ، أى الدلك أو الإحراق الشديد . واستعمال العطش مجاز، كما سبق أن شرحنا مثله . و (كان) تامة .

(١١) أبق : أصبر . (١٢) الذهب الإبريز والإبريزىّ : الخالص . (١٣) (مجل) : كاشف، شفاف .

(١٤) (ولأن الفتيلة الخ)، تعليل آخر لاتخاذ القنديل . (١٥) (فى وسطه)، أى القنديل، بخلاف المسرجة، فإن الفتيلة تتكئ على طرفها . (١٦) حمى الشىء يحمى (كرضى يرضى) حميا (بفتح فسكون) : اشتدت حرارته .

المِصباح ، كما تَحْمَى[١] بموضع النار من المِسْرَجة . وإذا وقع شُعاعُ النار على جَوْهر الزُّجاج صار المِصْباح والقِنْديلُ مصْباحا واحدا[٢] ، وَردَّ الضياءَ[٣] كُلُّ واحدٍ منهما على صاحبه .

واعْتَبِرْ ذلك[٤] بالشُّعاع الذى يَسْقُط على وَجْه المِرآة ، أو على وَجْه المـاء ، أو على الزُّجاجة ، ثم انْظُرْ كيفَ يتضاعفُ نُوره . وإنْ كان سـقوطُه على عين إنسان أعْشاه[٥] ، وربمـا أعماه[٦] .

وقال جلَّ ذكره : ﴿ اللهُ نورُ[٧] السَّمواتِ والأرض . مَثَلُ نُوره[٨] كَمِشْكَاةٍ[٩] فيها مصباح[١٠] . المصباحُ فى زُجَاجة[١١] . الزُّجَاجَةُ كأنَّها كوكب دُرِّىٌّ[١٢] يُوقَدُ من شَجَرةٍ مُبارَكةٍ زَيْتُونةٍ[١٣] لا شرقيَّةٍ ولا غَرْبيَّة[١٤] . يكاد زيتُها يُضىءُ ولو لم تَمْسَسْهُ نار[١٥] . نُور على نُور[١٦] . يَهْدِى اللهُ لنُوره مَنْ يشاء[١٧] ﴾ .

---

(١) (يوهج المصباح) : يوهج الشعلة . والوهج : حر النار . (٢) وإذا وقع الخ ، سبق تعريف الجوهر . وصار المصباح الخ ، أى صارت الشـعلة والقنديل شعلة واحدة ، لشفافية الزجاج .

(٣) وردّ الضياء الخ ، (ردّ) هنا بمعنى عكس . (٤) واعتبر ذلك الخ ، سبق شرح هذا التعبير . واسم الإشارة يعـود إلى ما ذكر من قوة الزجاج فى إشعاع الضوء . (٥) عشى يعشى (كرضى يرضى) : ضعف بصره . وأعشاه : أضعف بصره . (٦) (وربمـا أعماه) ، مبالغة كبيرة . وقد يكون ذلك فى حالات خاصة . (٧) أطلق النور وأراد المنوّر (بكسر الواو مشدّدة) مجازا ، فإنه تعـالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنهـا من الأنوار . أو المراد : مدبرهما . من قولهم للرئيس الفائق فى التـدبير : نور القوم ، مجـازا ، لأنهم يهتدون به . (٨) (مثل نوره) ، أى مثـل صفة نوره . فهنا مضاف محذوف .

(٩) (كمشكاة) : كصفة مشكاة . والمشكاة الكوّة غير النافذة . (١٠) (مصباح) : سراج ضخم ثاقب . (١١) (فى زجاجة) : فى قنديل من الزجاج . (١٢) (كوكب درىّ) : مضىء يتلألأ . من الدرء (بوزن الضرب) ، لأنه يدفـع الظلام بضوئه . قلبت همـزته ياء . ويدل على ذلك قراءة حمزة وغيره : (درّىء) كشرّيب (بكسر الشين وتشديد الراء مكسورة) . (١٣) (يوقد من شجرة مبـاركة زيتونة) ، أى ابتداء ثقوب (إضاءة) المصباح من شجرة الزيتون ، بأن أرويت ذبالته (فتيلته) بزيتها .

(١٤) (لا شرقية ولا غربيـة) ، أى تقع الشمس عليها طول النهار ، كالتى تكون على قلة (رأس) جبـل ، أو فى صحراء واسعة . فإن ثمرتها تكون أنضج ، وزيتها أصفى . (١٥) (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) ، أى يكاد يضىء بنفسه من غير نار ، لتلألؤه وفرط وبيصه (لمعانه) . (١٦) (نور على نور) : نور متضاعف ، فإن نور المصباح زاد فى إنارته صفاء الزيت وضبط المشكاة لأشعته . (١٧) (يهدى الله لنوره من يشاء) ، أى يهدى الله لهـذا النور الثاقب من يشاء . فإن الأسباب دون مشيئته لا غناء فيها ، إذ بها تمامها — وقد لخصنا تفسير هذه الآيات الكريمة عن البيضاوى .

والزيتُ فى الزجاجة نورٌ على نور، وضوءٌ على ضَوْء مُضَاعَف(١). هـذا مع فَضْـل حُسْن القِنْديل على حُسْن مَسَارج الحِجارة والخَزَف.

وأبو عَبْد الله هـذا كان من أطْيَب الخَلْق وأمْلَحهم بُخْلا، وأشـدّهم أدَبا. دخلَ على ذى اليَمينَيْن(٢) طاهرِ بنِ الحسين، وقد كان يَعْرِفه بخُراسان بسبب الكلام(٣). فقال له: مُنْذُكَمْ أنت مُقيمٌ بالعراق يا أبا عبد الله؟ فقال: أنا بالعراق مُنْذُ عشرين سنةً. وأنا أصُوم الدهرَ(٤) مُنْذُ أربعين سنة. قال: فضحك طاهر وقال: سألناك يا أبا عبد الله عن مسألة، وأجبتنا عن مسألتين!

ومن أعاجيب أهْـلِ مَرْو ما سَمِعْناه من مشايخنا على وَجْه الدَّهر(٥)(٦). وذلك أنّ رجلا من أهـل مَرْو كان لا يَزال يَحُجُّ ويَتَّجِر، ويَنزل على رَجُلٍ مِنْ أهـلِ العِراق، فيكرِمُه ويَكْفيه مُؤْنَتَـه(٧). ثم كان كثيرا ما يقول(٨) لذلك العِراقىّ: ليتَ أنّى قد رأيتـك بمَرْو، حتى أُكافِئَك لقديم إحسانك، وما تُجدِّدُ لى مِن البِرّ فى كُلّ قَدْمَةٍ(٩). فأمّا ها هنا فقد أغناك الله عَنِّى.

قال(١٠): فعرضَتْ لذلك العِراقىّ بعد دَهْرٍ طويل حاجةٌ فى تلك الناحية(١١). فكان ممّا هوّن عليه مُكابَدَةَ السَّفر، ووَحْشَةَ الاغْتراب، مكانُ(١٢) المَرْوَزىّ هناك. فلما قَدِمَ مَضَى نَحْوَه فى ثياب سَفَره، وفى عِمامته وقَلَنْسُوته وكسائه، ليَحُطَّ رَحْلَه(١٣) عنده، كما يَصْنَعُ الرجلُ بثِقَتِه(١٤)، ومَوْضع أُنْسه.

---

(١) الإشارة إلى تضاعف النور فى القنديل. (٢) قال فى (وفيات الأعيان): واختلفوا فى تلقيبه بذى اليمينين، لأىّ معنى كان؟ فقيل: لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع على بن ماهان، فقدّه نصفين. وكانت الضربة بيساره. فقال فيه بعض الشعراء: (كلتا يديك يمين حيـن تضربه). فلقبـه المأمون ذا اليمينين. وقيـل غير ذلك اه.

(٣) أى بآرائه فى علم التوحيد. (٤) صوم الدهر: الاستمرار فى الصوم من غير انقطاع، كأنّ السنة كلها رمضان. وهو مخالف للسنة. (٥) سبق الكلام على هذا اللفظ. (٦) (على وجه الدهر): قديما. قال فى اللسان: وكان ذلك على وجه الدهر، أى أوّله اه. (٧) ما يحتاج إليه. (٨) (كثيرا ما يقول) (كثيرا) صفة مفعول مطلق محذوف. و(ما) زائدة. (٩) اسم مرة من قدم يقدم (كعلم يعلم) قدوما.

(١٠) (قال)، أى المتحدث. والمرجع مفهوم من المقام، وإن لم يكن قد سبق. (١١) (فى تلك الناحية)، أى مرو. (١٢) مصدر ميمى من كان، أى كون. (١٣) (رحله): أمتعة سفره. (١٤) الثقة: من يوثق به. يقال: هو وهى وهم وهنّ ثقة، لأنه مصدر أطلق على الذات مبالغة. وقد يجمع فى الذكور والإناث فيقال: ثقات.

فلمّا وجده قاعدًا فى أصحابه أكَبَّ عليه وعانَقه . فلم يَرَهُ أثْبَتَه[١] ، ولا سأل به[٢] سُؤالَ مَنْ رآه قَطُّ . قال العِراقىُّ فى نفسه : لعَلّ إنكارَه إيّاى لمكان[٣] القِناع . فرمَى بِقِناعه وابتدأ مَسْألَته[٤] . فكان له أنْكَرَ . فقال : لعلّه أن يكون إنّمـا أُتِىَ من قِبَل العامة[٥] ، فنزعها . ثم انتَسَبَ وجَدّدَ مسألته[٦] ، فوجده أشدّ ما كان[٧] إنْكارا . قال : فلَعَلّه إنّما أُتِىَ من قِبَل القَلَنْسُوة .

٥ وعَلِم المَرْوَزِىُّ[٨] أنّه لم يَبْـقَ شىءٌ يتعـلَّق به المُتغافِلُ والمُتجاهِل . قال : لو خرجتَ من جِلْدِك لم أعْرِفْك ! .

وزَعَمُوا[٩] أنّهم[١٠] رُبّمـا ترافَقُوا وتَزامَلُوا[١١] ، فتناهَدُوا وتلازَقُوا[١٢] فى شراء اللحم . وإذا اشْتَرَوُا اللحمَ قَسَموهُ قبـل الطبخ ، وأخَذَ كلُّ إنسان منهم نصيبَه ، فشَكّه بخُوصَةٍ أو بخَيْط ، ثم أرسـلَه فى خَلِّ القِدْر والتَّوابِل[١٣] . فإذا طَبَخُوا تناول كلُّ إنسان خَيْطَه وقد علَّمه بعلامة . ثم اقْتَسَمُوا ١٠ المَرَق . ثم لا يزال أحَدُهم يَسُلُّ من الخيط القِطْعة بعد القطعة ، حتى يَبْقَى الحبلُ لا شىءَ فيه . ثم يجمعون خيوطهم . فإنْ أعادُوا المُلازَقَةَ أعادُوا تلك الخيوطَ ، لأنها قد تَشرَّبتِ الدَّسَمَ وَرَوِيَتْ[١٤] .

وليس تناهُـدُهم من طَرِيق الرَّغْبـة فى المُشَارَكة ، ولكنْ لأنَّ بضاعةَ[١٥] كلِّ واحدٍ منهم لا تَبْلُغُ مقدارَ الذى يَحْتَمِل أنْ يُطْبخ وحْدَه ، ولأن المُؤْنةَ تَخِفُّ أيضا فى الحَطَب والخَلِّ

(١) (أثبته) : عرفه . (٢) (ولا سأل به) ، الباء بمعنى (عن) . وتأتى كثيرا كذلك بعد السؤال ، كما فى قوله ١٥ تعالى : "فاسأل به خبيرا" . (٣) (مكان) هنا أيضا مصدر ميمى ، أى لوجود القناع على رأس العراقى .

(٤) وابتدأ الخ ، (مسألة) من مصادر (سأل) ، أى بأن قال له مثلا : هل عرفتنى ؟ و(أنكر) أفعل تفضيل من نكره (بفتح فكسر) ، وهو كأنكره . (٥) (أتى من قبل العامة) : أتاه الجهل بى من جهة عمامتى . (٦) ثم انتسب الخ ، أى ثم ذكر نسبه وجدّد سؤاله إياه . (٧) (ما كان) ، (ما) نكرة بمعنى شىء ، و(كان) تامة . (٨) وعلم المروزى الخ ، تغافل عن الشىء : تعمد الغفلة عنه . وتجاهل : أرى من نفسه الجهل وهو ليس بجاهل . يعنى أن المروزى ٢٠ أدرك بعد أن خلع العراقى القلنسوة أنه قد نفدت جميع الوسائل التى يمكنه أن يتغافل بها عن العراقى ، ويظهر بها جهله إياه ، فقال له : لو خرجت الخ . (٩) (وزعموا) ، أى الراوون لحكايات أهل مرو . (١٠) (أنهم) ، أى أهل مرو . (١١) ترافقوا الخ ، سبق تعريف كل هذا . (١٢) (تلازقوا) : كانوا معا . والمراد المناهدة .

(١٣) جمع تابل (بفتح الباء وكسرها) . وهى الأفاويه والأبزار ، توضع فى الطعام لتقوية طعمه . وذلك كالكزبرة والكمون والفلفل الخ . (١٤) وفى نسخة ليدن : فقد رويت . (١٥) لأن بضاعة الخ ، البضاعة جزء من ٢٥ المال . والمراد هنا قطعة اللحم لو اشتراها كل وحده — يعنى أن مثل هذه القطعة على صغرها لا تستحق أن تطبخ وحدها .

والثُّومِ والتَّوَابِلِ . ولأنّ القِدْرَ الواحدةَ أَمْكَنُ من أَنْ يَقْـدِر كلُّ واحدٍ منهم على قِدْرٍ .[1]
فإنّمـا يختارون السِّكْبَاج ، لأنّه أبقى على الأيام ، وأبْعَدُ من الفَساد .[2]

حدثنى أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ سَيَّارٍ النَّظَّامُ ،[3] قال : قلتُ مرّةً لجارٍ كان لى من أهلِ خُراسان :
أَعِرْنى مِقْلاكُم ،[4] فإنّى أحتاجُ إليه . قال : قد كان لنا مِقْلًى ولكنّه سُرِق .

فاستَعرتُ من جارٍ لى آخر . فلم يلبث الخُراسانىُّ أن سَمِـعَ نَشِيشَ اللحم فى المِقْلَى ،[5] وشمَّ
الطَّباهَجَ .[6] فقال لى كالمُغْضَب : ما فى الأرض أَعْجَبُ منك : لو كنتَ خبّرتنى أنّك تريده لِلَحْمٍ
أو لشَحْمٍ لوجدتَنِى أسرعَ ! إنّمـا خَشِيتُك تريدُه للباقِلَّى .[7] وحديدُ المِقْلَى يحترقُ إذا كان الذى
يُقْلَى فيه ليس بِدَسِمٍ . وكيف لا أُعيرك إذا أردتَ الطَّباهَجَ ، والمِقْلَى بعدَ الرّدّ من الطَّباهَجِ أحْسَنُ
حالًا منه وهو فى البيت ![8]

وقال أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سَـيَّارٍ النَّظَّامُ : دعانا جارٌ لنـا ، فأطعَمَنا تَمْرًا وسَمْنا سِلاءً ،[9]
ونحن على خُوانٍ ليس عليه إلا ما ذكرتُ ، والخراسانىُّ معنا يأكل . فرأيتُه يُقْطِرُ السمنَ على
الخِوان ، حتّى أكثَرَ من ذلك . فقلتُ لرجل إلى جَنْبى : ما لأبى فلانٍ يُضَيـعِ سَمْنَ القوم ،
ويُسِيءُ المؤاكلةَ ، ويَغْرِفُ فوقَ الحَقّ ؟ قال : وماعرفتَ عِلَّته ؟ قلتُ : لا والله ! قال : الخِوانُ

---

(١) ولأن القدر الخ ، تعليل ثالث لضرورة المشاركة . و (أمكن) : أيسر . يعنى أن الحصول على قدر واحدة للجميع أيسر من حصول كل واحد منهم على قدر . (٢) السكباج : لحم يطبخ بخل ، معرب . (٣) هو أحد شيوخ المعتزلة ، وأستاذ الجاحظ فى علم الكلام . وكان بليغا لسنا . توفر على كتب الأوائل ، ولا سيما ما تعلق منها بالطبيعيات والإلهيات . ويذكره الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) كثيرا . ويروى عنه . توفى بالبصرة سنة ٢٢١ هـ .

(٤) اسم آلة من القلى . (٥) فلم يلبث الخ ، (لم يلبث) : لم يبطئ . و (أن) وما بعدها فى تأويل مصدر مجرور بعن محذوفة ، أى لم يبطئ عن سمع نشيش الخ . والنشيش صوت الماء وغيره إذا غلى . (٦) الطباهج ، بفتح الطاء والهاء . وبعضهم يقول : الطباهجة ، كما فى شرح القاموس . وهو اللحم المشرح (بتشديد الراء) ، معرب .

(٧) الباقلاء (بكسر القاف ولام غير مشددة) والباقلى (بتشديد اللام) : الفول . واحدته باقلاة وباقلاءة اهـ من اللسان . وفى نسخة : حسبتك . (٨) والمقلى الخ ، الواو للحال . يعنى أن المقلى بعد قلى الطباهج يكون عليه الدسم ، فيحفظه من الصدإ . (٩) سلأ السمن كمنع : طبخه وعالجه كاستلأه . والاسم ككتاب اهـ من القاموس . و (سلاء) صفة (سمنا) . وصح الوصف لأنه مؤول بالمشتق ، أى مسلوءا .

خُوانُه، فهو يُريد أن يُدَسِّمه(١)، ليكونَ كالدِّبغ(٢) له . ولقــد طَلَّق امرأتَه، وهي أمُّ أولاده، لأنَّه رآها غَسَلَتْ خُوانًا له بماء حارٍّ . فقال لهـا : هلَّا مَسَحْتِه(٣) !

وقال أبو نُوَاسٍ : كان معنا في السفينة ونحن نُريدُ بَغْدادَ رجلٌ مِن أهل خُراسان . وكان من عقــلائهم وفُهَمائهم . وكان يأكل وحدَه، فقلت له : لِمَ تأكُلُ وحدك ؟ قال : ليس علىّ في هذا المَوْضِــع مسألةٌ(٤) . إنمــا المسألةُ على مَنْ أكَلَ مَعَ الجمــاعة، لأنَّ ذلك هــو التكلُّف(٥) . وأكْلِي وحْدِي هو الأصلُ . وأكْلِي مَعَ غيري زِيادةٌ في الأصل .

وحدَّثني إبراهيمُ بنُ السِّنْديّ، قال : كان على رَبْع الشاذَرْوانِ(٦) شَيْخٌ لنا مِنْ أهلِ خُراسان . وكان مُصَحَّحا(٧)، بعيــدا من الفساد، ومن الرِّشَا(٨)، ومن الحُكْمِ بالهَــوَى . وكان حَفِيًّا(٩) جدًّا . وكذلك كان في إمساكه، وفي بُخْلِه وتدْنِيقه(١٠) في نفقاته . وكان لا يأكل إلا مالا بُدَّ منــه، ولا يَشْرَبُ إلَّا مالا بدّ منه .

غيرُ أنَّه كان في غَداةِ(١١) كلِّ جُمُعةٍ يحمِلُ معه منْديلا فيه جَرْدَقتان(١٢)، وقِطَعُ لحْمِ سِكْباجٍ مُبرَّدٍ، وقِطَعُ جُبْنٍ، وزَيْتوناتٌ، وصُرَّةٌ فيها مِلْحٌ، وأخرى فيها أُشْنَانٌ(١٣)، وأرْبعُ بَيْضاتٍ، ليس منها بدٌّ(١٤) . ومعه خِلالٌ .

---

(١) (يدسمه): يجعل عليه الدسم . (٢) اسم يكون يرجع إلى التدسيم المفهوم من (يدسمه) . (٣) (هلا) حرف يراد به الحث والتحضيض، أى كان يجب عليك أن تمسحيه، لا أن تغسليه . وفى نسخة ليدن : مسحتيه . وهو جائز فى لغة . (٤) ليس علىّ الخ، (الموضع): الأمر . و (مسألة): سؤال، كما سبق . (٥) تكلف الأمر: تجشمه وعمله بمشقة . والمراد بالتكلف هنا الخروج عن الوضع الطبيعى . (٦) (ربع الشاذروان)، الربع: الحى . وهذا الحى من أحياء بغداد . ومعنى كون الشيخ على الحى أنه قيمه الناظر فى مصالحه من قبل الوالى : كأمور القسم، أو العمدة مثلا لهذا العهد . (٧) (مصححا) : قويم الخلق، من صححت الشىء إذا قومته وأصلحت فاسده . (٨) جمع رشوة (بكسر الراء)، وهى مايعطيه الراشى الحاكم وغيره، ليحكم له و يقضى بما يريد . وقد تضم راؤها . (٩) قال فى اللسان : الحفى : العالم الذى يتعلم الشىء باستقصاء . يعنى أنه كان فى جميع أموره مبالغا متعمقا . (١٠) فى الأساس : لاتدنقوا فيدنق عليكم الله والتدنيق : التضييق فى المصرف، كأنه مشتق من الدانق، وهو سدس الدرهم . (١١) الغداة الضحوة، كما سبق . (١٢) الجردقة : الرغيف، معرب . وفى نسخة ليدن بالذال المعجمة . (١٣) الأشنان (بضم الهمزة وكسرها) نبات تغسل به الثياب والأيدى . (١٤) (ليس منها بد)، الضمير فى (منها) يعود إلى الأصناف المتقدمة جميعا، كما نرجح، أى إنه لا يستغنى عن واحد منها .

ويَمْضِى وَحْدَه ، حتى يَدْخل بَعْضَ بساتينِ الكَرْخ[١] . ويطلبُ مَوْضِعاً تحتَ شجرة ، وسْطَ خُضْرة ، وعلى ماء جارٍ . فإذا وَجَدَ ذلك جَلَسَ ، وبَسَطَ بين يديْه المِنْديلَ ، وأكل من هـذا مرّةً ، ومن هذا مَرّة . فإنْ وَجَد قَيِّمَ[٢] ذلك البُسْتانِ رَمَى إليه بدرهم ، ثم قال : اشْتَرِ لى بهذا ، أو أَعطِنى بهذا رُطَبا ، إنْ كان فى زَمَانِ الرُّطَبِ ، أو عِنباً ، إنْ كان فى زمان العنب . ويقول له : إيّاكَ إيّاكَ أن تُحَابِيَنى ، ولكنْ تَجَوَّدْ لى[٣] ، فإنّك إنْ فعلتَ[٤] لم آكُلْه ، ولم أَعُدْ إليك . واحْذَر الغَبْنَ ، فإنّ المغبونَ لا محمودٌ ولا مأْجُور[٥] .

فإن أتاه به أكل كلَّ شيءٍ معـه ، وكلَّ شيء أُتِىَ به . ثم تخلَّل وغسلَ يَدَيْه . ثم يَمْشِى مِقْـدَارَ مائةِ خُطْوة . ثم يضعُ جنبه ، فينامُ إلى وقتِ الجُمُعةِ . ثم يَنْتَبِه فيغتسل[٦] ، ويَمْضِى إلى المسجد . هذا كان دأْبَه كلَّ جمعة .

قال إبراهيم : فبَيْنَا هو يوما من أيّامه يأكُل فى بعضِ المواضع ، إذْ مرّ به رجل فسلَّم عليه ، فردّ السلام . ثم قال : هَلُمَّ[٧] — عافاك الله! فلما نظر إلى الرجل قد انْثَنَى راجعا[٨] ، يريد أن يَطْفِر الجَدْوَلَ ، أو يُعَدِّى النهر ، قال له : مكانَكَ[٩] ، فإنّ العجلة من عملِ الشيطان! فوقف الرجل .

---

(١) محلة ببغـداد على الشاطئ الغربى من دجلة . (٢) القيم مـن يقوم على الأمر ويتعهده .

(٣) (تجودلى) : تخـير لى الأجود من العنب ومن الرطب . والفعـل متعدّ . ففى اللسان : وفى الحديث : تجودتها لك ، أى تخيرت الأجود منها اهـ فقوله : (تجود لى) ، المفعول فيه محذوف ، أى تجود العنب أو الرطب لى .

(٤) (فإنك إن فعلت) ، الفاء للتعليـل . وهو تعليـل لتحذيره المحاباة . يعنى : إن حابيتنى لم آكله الخ .

(٥) واحذر الخ ، الغبن : الخديعة فى البيع والشراء . وقوله : فإن المغبون الخ ، يعنى أن الذى ينقص (بالبناء للفعول) حقه غير محمود عند غابنه ، وغير مأجور عند الله ، لأنه لم يأخذ حذره . (٦) المراد بالاغتسال هنا الوضوء . (٧) (هلم) : تعال لتأكل معى . وفى استعمال (هلم) لغتان : فأهل الحجاز ينادون بها بلفظ واحد للذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وفى لغة نجد تلحقها الضمائر . فيقال : هلمى وهلموا وهلممن . (٨) فلما نظر الخ ، أى فلما رأى الشـيخ الرجل راجعا مجيبا دعوته إلى الطعام ، يريد أن يطفر الخ . وطفر الجدول : وثبه من ضفة إلى أخرى . وكذا عدّاه ، وتعدّاه . (٩) (مكانك) ، اسم فعل أمر بمعنى اثبت .

فاقبل عليه الخُرَاسَانِيُّ وقال : تريدُ ماذا ؟ قال : أريد أن أتغدّى . قال : ولِمَ ذلك ؟ وكيف طَمِعْتَ فى هـذا ؟ ومَنْ أباح لك مالِى ؟ قال الرجل : أوَ ليس (١) قد دعوتَنِى ؟ قال : وَيْلَكَ (٢) ! لو ظننتُ أنّك هكذا أَحْمَقُ ما رددتُ عليك السلام . الآيِينُ (٣) فيما نحن فيـه أن نكون إذا كنتُ أنا الجالسَ وأنت المـارَّ ، تبدأُ أنت فتسلِّمُ . فأقول أنا حينئذ مُجِيبا لك : وعليكم السلام . فإنْ كنتُ لا آكُلُ شيئا سكتُّ أنا ، وسكتَّ أنت ، ومضيتَ أنت ، وقعدتُ أنا على حالى !

وإنْ كنتُ آكُلُ فهاهنا بيان آخَرُ: وهو أن أبدأ أنا، فأقولَ: هَلُمَّ، وتجيبَ أنت، فتقول: هَنيئًا . فيكونُ كلام بكلام (٤) . فأمّا كلام بفَعَال ، وقولٌ بأكْلٍ ، فهـذا ليس من الإنصاف ! وهذا يُخْرِجُ علينا فَضْلا (٥) كثيرا !

قال (٦) : فَوَرَدَ (٧) على الرجل شيء لم يكن فى حِسابه . فَشُهِر (٨) بذلك فى تلك النَّاحية ، وقيل له : قد أعْفَيناك من السلام ومن تَكَلُّف الرّدّ (٩) . قال : مابى إلى ذلك (١٠) حاجة . إنّمـا هو أنْ أعْفِىَ أنا نفسى مِن "هَلُمَّ" (١١) ، وقد استقام الأمر !

(١) اسم (ليس) ضمير الشأن . (٢) (ويلك) كلمة عذاب . منصوبة على المفعولية المطلقة بفعل محذوف . والمراد بها التعجب . (٣) الآيين بمعنى العادة أو القانون . وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة . أعجمى عربه المولدون . وقد ذكر فى (شفاء الغليل) . (٤) (كلام بكلام) : كلام متبوع بكلام . وكذا يقال فى : (كلام بفعال) و (قول بأكل) . والفعال (بفتح الفاء) : الفعل . وهو أحد مصدرى فعـل . والمراد الأكل . (٥) وهذا الخ ، الإشارة إلى الشق الأول ، وهو أن يقول : هلم ، فيقول الآخر : هنيئا . والفضل هنا الخير . أى وهذا الذى رسمته لك آنفا يخرج الخ . وقد ضمن (يخرج) معنى (يغدق) ، فعدّاه بعلى . وهو تعبير غريب ، لعله كان شائعا فى زمن الجاحظ .

(٦) (قال) ، أى إبراهيم بن السندى . (٧) فورد الخ ، أى ففجأ الرجل من كلام الخراسانى شيء غريب من المنطق والسفسطة لم يكن يتوقعه . (٨) فشهر الخ ، نائب فاعل (شهر) يعـود إلى الخراسانى . وقوله : (بذلك) ، يشير إلى ماوقع بينه وبين الرجل . والمراد بالناحية ربع الشاذروان . (٩) وقيل له الخ ، أى قال الناس له . و (من السلام) : من أن نسلم عليك . أى كأن السـلام عليك أمر يشق عليك . فلذا أعفيناك منه ، ومن أن تتكلف الرد عليه . (١٠) (ذلك) ، الإشارة إلى إعفائهم إياه من سلامهم ومن تكلف رده عليهم .

(١١) إنمـا هو الخ ، (هو) ، أى مايجب أن أعمله . و (من هلم) : من أدعو الناس إلى طعامى بقولى لهم : هلم .

***

ومِثْلُ هذا الحديثِ ماحدّثني به محمدُ بنُ يَسِيرٍ[١]، عن والٍ كان بفارِسَ، إمّا أن يكون خالدا أخا مَهْرَوَيْهِ أو غيرَه . قال : بَيْنَا هو يوما فى مجلِس ، وهو مشغول بحسابه وأمْرِه ، وقد احتجبَ جُهْدَه[٢] ، إذْ نَجَمَ[٣] شاعرٌ مِن بينِ يدَيْه ، فأنشده شِعرا مدحه فيه[٤] وقرّظه ومجّدَه . فلمّا فرغ قال : قد أحسنتَ . ثم أقبل على كاتبه فقال : أعْطِه عَشَرَةَ آلافِ دِرْهم . ففرِح الشاعرُ فرحا قد يُسْتَطَار له[٥] . فلمّا رأى حاله قال : و إنّى لأرى هذا القولَ[٦] قد وقع منك هذا المَوْقعَ ؟ اجعلْها عشرين ألفَ دِرْهم . وكاد الشاعرُ يخرج من جِلْده ! فلمّا رأى فرحه قد تَضاعَفَ قال : و إنّ فرحك لَيَتَضاعَفُ على قَدْرِ تَضاعُفِ القول ! أعطِه يافلانُ أربعين ألفا . فكاد الفرح يقتله . فلمّا رجعت إليه نَفْسُه قال له : أنت — جُعِلتُ فِداك ! — رجل كريم . وأنا أعلم أنّك كلّما رأيتَنى قد ازددتُ فرحا زِدتَنى فى الجائزة . وقَبُولُ هذا مِنك لايكون إلا من قِلّة الشكر له[٧] ! ثم دعا له وخرج .

قال[٨] : فأقبل عليه كاتبه فقال : سبحانَ الله ! هذا كان يَرْضَى منك بأربعين درهما ، تأمر له بأربعين ألفَ درهم ! قال : وَيْلَكَ ! وتريدُ أن تُعْطِيه شيئا ؟ قال : ومِن إنْفاذ أمرِك بُدٌّ ؟ قال : ياأحمق[٩] ، إنّما هذا رجل سَرَّنا بكلام ، وسَرَرْنَاه بكلام ! هو حين زَعَمَ أنّى أحسن من القمر ، وأشدُّ من الأسد ، وأنَّ لِسانى أَقْطَعُ من السيف ، وأنّ أمْرِى أَنْفَذُ من السِّنان[١٠] ،

---

(١) شاعر بصرى ، روى له القالى قصيدة فى الجزء الأول من أماليه . وفى النسخ : بشير . وهو تحريف .
(٢) (وقد احتجب جهده) : احتجب عن الناس ما أمكنه الاحتجاب . وفى نسخة ليدن : بجهده .
(٣) (نجم) : ظهر . (٤) مدحه . (٥) (يستطار له) : يذعر منه (بالبناء للفعول) . يقال منه : استطير فلان فهو مستطار . (٦) (هذا القول) ، أى قوله للكاتب : أعطه الخ . (٧) يقول الشاعر : إنى سأقوم من مجلسك ، لأنك كلما رأيتنى ضاعفت العطية . وقبول ذلك منك لا يكون من الشكر فى شىء ، لأنه يتضمن اعترافا بقلة الصلة . (٨) (قال) ، أى محمد بن يسير . (٩) الحمق : فساد العقل .
(١٠) السنان : نصل الرمح ، أى الحديدة التى يطعن بها فيه .

جَعَلَ فى يَدِى من هذا شيئا أرجعُ به إلى شيء[١]؟ ألسنا نعلم أنّه قد كذب[٢]؟ ولكنّه قد سَرّنا حين كَذَبَ لنا[٣] . فنحن أيضا نَسُرّه بالقولِ ، ونأمر له بالجوائز ، و إنْ كان كذِبًا[٤] . فيكونُ كَذِبٌ بكذب ، وقولٌ بِقَوْل[٥] . فأمّا أَنْ يكون كذِبٌ بصدق ، وقَوْلٌ بِفعل ، فهذا هو الخُسْران الذى ما سَمِعْتُ به[٦] !

٥

* * *

و يقال إنّ هذا المَثَلَ الذى قد جَرى على ألسنة العوامّ مِن قولهم : ينظر إلىّ شَزْرًا[٧] ، كأنّى أكلتُ اثنين وأطعمتُه واحدًا ، إنّما هو لأهلِ مَرْو .

قال : وقال المَرْوَزِىّ[٨] : لولا أنّنِى أبنِى مدينة لبنيتُ آريًّا لدابّتِى[٩] .

قال[١٠] : وقلتُ لأحمدَ بنِ هِشام ، وهو يبنى دارَهُ ببغدادَ : إذا أراد الله ذَهَابَ مالِ رجلٍ سلّط عليه الطّينَ والماءَ[١١] . قال : لا ، بل إذا أراد الله ذَهَابَ مالِ رجُلٍ جَعَلَه يَرجُو الخلفَ[١٢] !

١٠

والله ما أهلك النـاسَ ، ولا أَقْفَرَ بيوتَهم[١٣] ، ولا تركَ دُورهم بَلاقِعَ[١٤] إلا الإيمانُ بالخَلَف ! وما رأيت جُنّةً قطُّ أَوْقَى من اليأس[١٥] !

---

(١) جعل فى يدى الخ ، (جعل) متعلق (حين) . و (جعل فى يدى من هذا شيئا) : وضع فى يدى بكلامه شيئا ماديا . و (أرجع به إلى شىء) : أنال به شيئا ماديا . وفى نسخة ليدن : أرجع به إلى بيتى . (٢) ألسنا الخ ، الاستفهام للتقرير .

(٣) (لنا) : لأجل سرورنا . (٤) اسم كان يعود إلى مصدر (نأمر) ، أى و إن كان أمرنا له بالجوائز كذبا ، بمعنى أننا لا نريد أن يتحقق . (٥) فيكون الخ ، (يكون) تامة . (و بكذب) صفة (كذب) ، أى متبوع بكذب . وكذا يقال فى قوله : (كذب بصدق وقول بفعل) . (٦) فأما أن يكون الخ ، أى فأما أن يقع كذب منه متبوع بصدق منى ، وأن يقع قول منه (وهو المدح الكاذب) متبوع بفعل منى ، وهو إجازته على كذبه بالمال ، فهذا الخ .

(٧) ينظر الخ ، النظر الشزر هو نظر الغضبان بمؤخر (بضم الميم وسكون الهمزة) عينه . (٨) أى محمد بن يسير .

(٩) لولا أنى الخ ، هكذا فى جميع النسخ . والآرىّ محبس الدابة . والجمع الأوارىّ . و يظهر لنا أنه يريد أن يقول : لولا أن العزم على بناء آرىّ لدوابى يجرّ إلى نفقات كثيرة تشبه نفقات بناء المدن ، لبنيت ذلك الآرى . وفى العبارة غموض ومبالغة كبيرة . والمقصود استفظاع أمر البناء . (١٠) (قال) : أى محمد بن يسير . (١١) (الطين والماء) ، يعنى البناء ، لما يقتضى ذلك من النفقة الكثيرة . (١٢) (يرجو الخلف) : يطلب من الله العوض مما ذهب من ماله . لأن المرء على رأيه إذا استقرت فى نفسه عقيدة أن يخلف المال الذاهب مال آتٍ ، أكثر من الإنفاق وأتلف ماله .

(١٣) (أقفر بيوتهم) : جعلها قفرة . (١٤) دار بلقع ودار بلاقع : خالية مقفرة . (١٥) وما رأيت الخ ، الجنة الساتر . واستجنّ بجنـة : استتر بها . و (أوقى) اسم تفضيل من وقاه يقيه ، إذا حفظه . يقول : إن اليأس من خلف المال الذاهب أحفظ للمال من أى شىء كان . أى فإذا يئس الإنسان من الخلف اشتد حرصه على ما يملك .

قال: وسمِعَ رجلٌ من المَرَاوِزَةِ الحسنَ[1] وهو يَحُثُّ الناس على المعروف، ويأمر بالصَّدقة، ويقول: ما نَقَصَ مالٌ قَطُّ من زكاة[2]، ويَعِدُهُمْ سُرْعَةَ الخَلَف. فتصدَّقَ بماله كلِّه، فافتقر. فانتظرَ سنةً وسنةً. فلمَّا لم يرَ شيئا بكَّر[3] على الحسن فقال: حَسَنٌ[4] ما صنعتَ بى! ضَمِنْتَ لى الخَلَف، فأنفقتُ على عِدَتِك[5]. وأنا اليومَ مُذْ كذا وكذا سنةً أنتظرُ ما وعدتَ، لا أرى منه قليلا ولا كثيرا! هذا يَحِلّ لك؟ آللصُّ كان يصنع بى أكْثَرَ من هذا؟

والخَلَفُ يكون مُعَجَّلا ومُؤَجَّلا[6]. ومن تَصَدَّقَ وتَشَرَّطَ الشُّروطَ[7]، استحقَّ الحِرْمَانَ.

ولو كان هذا على ما تَوَهَّمه المَرْوَزِىُّ لكانتِ المِحْنَةُ فيه ساقطةً[8]، ولَتَرَكَ الناسُ التِّجارةَ[9]، ولما بَقِىَ فقير[10]، ولَذَهبتِ العبادة[11].

* * *

أصبح ثُمَامَةُ شديدَ الغمّ حين احترقتْ دارُه. وكان كلَّما دخل عليه إنسان قال: الحريقُ سريع الخلف! فلمّا كَثُرَ ذلك القولُ منهم قال: فَلْنستحرقِ الله[12]! اللهم إنّى أستحرقُك، فأحرِق كلَّ شىء لنا!.

وليس هذا الحديث من حديث المراوِزة، ولكنّا ضَمَّنْاه إلى ما يُشَاكِلُه.

(١) أى الحسن البصرى، رضى الله عنه. (٢) ما نقص الخ، يعنى أن الله تعالى يبارك فى المال المزكى، ويزيده وينميه. فقد قال تعالى: «يمحق الله الربا ويربى الصدقات». (٣) (بكر): ذهب اليه يوما مبكرا. (٤) حسن الخ، استفهام محذوف الأداة، أى: أحسن، أو خبر يقصد به التقريع. (٥) (فأنفقت على عدتك)، أى معتمدا على عدتك. والعدة والوعد مصدرا وعد. (٦) والخلف الخ، هذا من تعقيب الجاحظ. (٧) (تشرط الشروط): تكلف شروطا للخلف. (٨) ولو كان الخ، المحنة: الاختبار والامتحان. و(فيه): فى التصدق. أى: لو كان ما ظنه المروزى صحيحا لما كان لاختبار الله إيانا بفرض الزكاة قيمة، لأن أبخل البخلاء كان يسارع إلى التصدق طمعا فى الكسب. (٩) ولترك الخ، أى لأن ربح الصدقة محقق. (١٠) (ولما بقى فقير)، لأن الناس جميعا يتصدقون فيربحون. ثم يستغنى الفقراء. (١١) (ولذهبت العبادة)، أى فلم يعد لها بعد ذلك معنى، إذ هى الانقياد إلى الله، وتحمل المشاق فى سبيل رضاه. (١٢) (فلنستحرق الله)، السين والتاء للطلب، أى فلنطلب من الله أن يحرق أشياءنا، حتى يعوضنا منها خلفا سريعا. وفى نسخة ليدن: فأستحرق الله.

قال سَجّادة، وهو أبو سَعيدٍ سجّادة : إنّ أُناسا من المَرَاوِزَة إذا لَبِسوا الخِفافَ فى السنّةِ الأشهر التى لا ينزِعون فيها خِفافهم[1]، يمشون على صُدُور أقدامهم ثلاثةَ أشهر، وعلى أعْقاب أرجلهم ثلاثةَ أشهر، حتى يكونَ[2] كأنّهم لم يلبسوا خِفافهم إلا ثلاثةَ أشهر، مخافةَ أن تَجْرد[3] نِعالُ خِفافِهم أو تَنْقَب[4].

وحكى أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ سَيّارٍ النظّامُ عن جاره المروزِىّ، أنّه كان لا يلبَس خُفًّا ولا نعلا، إلى أن يذهب النَّبْقُ[5] اليابِس، لكثرة النَّوَى فى الطريق والأسواق.

قال : ورآنى مَرّةً مَصَصْتُ قَصَبَ سُكَّر، فجمعتُ ما مصصتُ ماءه لأرمىَ به. فقال : إنْ كنتَ لا تَنُّورَ[6] لك ولا عِيال، فَهَبْهُ لِمن له تَنُّورٌ وعليه عِيال[7]. وإيّاك أن تُعَوِّد نفسك هذه العادةَ فى أيّام خِفّة ظهرِك[8]، فإنّك لا تدرى ما يأتيك[9] من العيال.

قِصّة أهل البَصْرة من المَسْجِدِيّين[10]

قال أصحابنا من المسجديّين : اجتمع ناسٌ فى المسجد ممن يَنْتَحِل[11] الاقتصادَ فى النفقة، والتَّنْمِيةَ للمال، من أصحاب الجَمْع والمَنْع[12]. وقد كان هذا المذهب صار عِندهم كالنَّسَب الذى يَجْمَع على التَّحاب، وكالحَلِف[13] الذى يَجْمَع على التّناصر. وكانوا إذا التقوا فى حَلَقِهم[14] تذاكروا هذا البابَ[15]، وتطارحُوه[16] وتدارسُوه.

---

(١) إذا لبسوا الخ، (الخفاف) جمع خف. ولبسهم إياها ستة أشهر لا ينزعونها إنما هو من شدّة البرد. (٢) اسم يكون ضمير الشأن. (٣) (تجرد) : تبلى. (٤) نقب الخف، من باب تعب : رق. (٥) النبق (بسكون الباء وكسرها)، واحدته نبقة (بسكون الباء وكسرها). (٦) التنور : الفرن يخبز فيه. (٧) (وعليه عيال)، أى نفقة عيال. فهنا مضاف محذوف. (٨) (خفة ظهرك) : خلوك من الأولاد. والكلام على المجاز. (٩) (ما يأتيك)، وقعت (ما) هنا موقع (من). وهذا من لغات العرب. وقد ورد فى القرآن. وفى نسخة : من. (١٠) يظهر أنهم كانوا طائفة خاصة من البخلاء يجتمعون فى المساجد، كما يجتمع أهل الصناعة الواحدة، أو الرأى الواحد فى أنديتهم لعهدنا هذا. (١١) (ينتحل الاقتصاد) : يدعيه ويتخذه مذهبا. وقوله : والتنمية، فى نسخة ليدن : والتمييز. (١٢) جمع المال ومنعه من أن يتفلت من أيديهم و يذهب. (١٣) (الحلف) : العهد. يقال : تحالفوا : إذا تعاقدوا على أن يكون أمرهم واحدا فى النصرة والحماية. (١٤) جمع حلقة (بفتح اللام). وهناك لغة أخرى بتسكين اللام فى المفرد. (١٥) البخل. (١٦) (تطارحوه) : طرح كل منهم ما عنده من الآراء فيه على أصحابه.

فقال شيخ منهم : ماءُ بئرنا — كما قد علمتم — مِلْحٌ أُجاج (١) لا يَقْرَبه الحِمَار ، ولا تُسِيغه (٢) الإبِلُ ، وتموت عليه النخلُ . والنّهر منا بعيدٌ . و فى تكلُّف العَذْب (٣) علينا مُؤْنة . فكنّا نمزُجُ (٤) منه للحمار ، فاعتلّ عنه (٥) ، وانتقَضَ (٦) علينا من أجله . فصرنا بعـد ذلك نُسقيه العذبَ صِرْفا (٧) .

وكنتُ أنا والنعجةُ (٨) كثيرا ما نغتسِل بالعذْب ، مخافَةَ أن يعترِىَ جُلودَنا منه مثلُ ما اعترى جَوْفَ الحِمار . فكان ذلك المـاءُ العذبُ الصافِى يذهبُ باطِلا .

ثم انفتح لى فِيه بابٌ من الإصلاح ، فعَمَدْتُ إلى ذلك المتوضَّإ (٩) ، فجعلتُ فى ناحية منه حُفْرة ، وصَهْرَجْتُها (١٠) وملَّستها ، حتى صارتْ كأنّها صخرة مَنْقورة . وصوَّبتُ إليهـا المَسِيلَ (١١) .

فنحن الآن إذا اغتسلنا صار (١٢) المـاء إليها صافيا ، لم يُخَالطه شىء . والحمارُ أيضا لا تقزَّزَ له (١٣) [منه] . وليس علينا حَرَجٌ (١٤) فى سَقْيِه منه . وما علِمْنا أن كِتَابا حرَّمه (١٥) ، ولا سُنَّةً نهتْ عنه . فربِحْنا هذه (١٦) منذ أيّام ، وأسقطنا مُؤْنةً عن النفس والمـال ، مَالِ القوم . وهذا بتوفيق الله ومَنِّه (١٧) .

* * *

فأقبلَ عليهم شيخ فقال : هل شَعَرْتم بموت مريمَ الصَّنَاع (١٨) ؟ فإنّها كانت من ذَوات

---

(١) (أجاج) : ملح مر . (٢) ساغ الشراب (من باب قال) : سهل مدخله فى الحلق . وأساغه غيره .
(٣) (تكلف العذب) : تكلف جلب المـاء العذب . و (مؤنة) : مشقة وكلفة ، كما سبق . (٤) (نمزج منه) : نضيف إليه شيئا من ماء عذب . (٥) (اعتل عنه) : أضرب عنه وأحجم . ولم نجد فيما لدينا من المراجع (اعتل) متعديا بعن ؛ و إنما جاء فى اللسان : واعتله : تجنى عليه اهـ فقد ضمن (اعتل) معنى (أحجم) أو (أضرب) ، فعداه (بعن) .
(٦) (وانتقض علينا) : عصانا وخرج عن طاعتنا . (٧) غير ممزوج بماء البئر . (٨) يريد بالنعجة امرأته . قال فى اللسان : والعـرب تكنى بالنعجة والشاة عن المرأة اهـ . (٩) اسم مكان من توضأ .
(١٠) (صهرجتها) : عملتها بالصاروج ، وهو القطران . و يقال أيضا : صرّج الحوض . (١١) (وصوبت إليها المسيل) : وجهته إليها . والمسيل اسم مكان من (سال) . (١٢) (صار) هنا بمعنى اتجه وذهب . (١٣) تقزز من الشىء : تفر منه لدنسه . (١٤) (حرج) : إثم . (١٥) (حرمه) : أى حرم سق الحمار من ماء الاغتسال .
(١٦) فربحنا الخ ، الإشارة إلى (المسألة) المستفادة من الكلام السابق ، وهى المحافظة على المـاء العذب بإسالته إلى تلك الحفرة المصهرجة . وقوله : (مال القوم) ، يريد بالقوم أسرته وأهله . (١٧) (منه) : فضله ونعمته .
(١٨) امرأة صناع : ماهرة بعمل اليدين . وامرأتان صناعان . ونسوة صنع (بضم الصاد والنون) . و يظهر أن مريم هذه كانت مشهورة بهذا اللقب .

الاقتِصاد، وصاحِبَةَ إصْلاح . قالوا : فحدِّثنا عنها . قال : نوادِرُها كثيرة ، وحديثها طويل . ولكنّى أخبرُكم عن واحدة فيها كِفاية . قالوا : وما هى ؟ قال : زوّجَت ابنتها ، وهى بنتُ اثنتى عَشْرَةَ ، فحلَّتها الذهبَ والفِضَّة [١]، وكستها المَرْوِىَّ والوَشْىَ والقَزَّ والخَزَّ [٢]، وعلَّقت المُعَصْفَر [٣]، ودقَّت الطِّيبَ [٤]، وعظَّمتْ أمرها فى عين الخَتَنِ [٥]، ورفعت من قَدْرها عند الأَحْمَاء [٦].

فقال لها زوجها : أنَّى هذا يا مريم [٧]؟ قالت : هو من عند الله . قال : دَعِى عنك الجُمْلَةَ [٨]، وهاتى التفسير . والله ما كنتِ ذاتَ مالٍ قديما، ولا وَرِثْتِه [٩] حديثا . وما أنتِ بخائنة فى نفسك [١٠]، ولا فى مالِ بَعْلك . إلا أنْ تكونى قد وَقَعْتِ على كَنْز [١١]! وكيف دار الأمرُ [١٢] فقد أسقطتِ عنّى مُؤْنةً، وكَفَيْتِنِى هذه النائبة [١٣].

قالت : اعلم أنّى مُنذُ يومَ ولدتُها [١٤] إلى أنْ زوّجتُها ، كنت أرفع من دقيق كلّ عَجْنَة حَفْنَة [١٥]. وكنّا — كما قد علمتَ — نَخْبِزُ فى كلّ يوم مَرّةً . فإذا اجتمع من ذلك مَكُّوك [١٦] بِعتُه .

---

(١) حلتها : ألبستها حلى الذهب والفضة . (٢) وكستها الخ ، (المروىّ) نسبة إلى (مرو) ، كما تقدم ، أى المروىّ من الثياب . و (الوشى) : الثياب الموشية ، أى المنقوشة المنمنمة بالألوان الحسنة . و (القز) : الحرير . و (الخز) : وبر ولد الأرنب ، وهو الخزز (بضم ففتح) . والظاهر أنه نوع خاص من الأرانب كانوا يتخذون منه الثياب الغالية .
(٣) (وعلقت المعصفر) ، العصفر : نبات تصبغ به الثياب . وعصفر الثوب : صبغه به . أى واتخذت لها الستائر من الثياب المعصفرة . (٤) (ودقت الطيب) ، المراد بذلك سحقه وخلطه وتجهيزه للاستعمال ، كما كان يفعل العرب بالمسك والعنبر والزعفران وغيرها . (٥) وعظمت الخ ، الختن من كان من قبل (بكسر ففتح) المرأة . كالأب والأخ والعم والخال . يعنى أن والدتها بما جهزتها به رفعت شأنها عند الأختان . (٦) جمع حم . وفيه أربع لغات أخرى تجدها فى المعاجم . وهو من كان من قبل الزوج ، كأبيه وأخيه وعمه . (٧) (أنى) اسم استفهام بمعنى (من أين) . (٨) دعى الخ ، أى لا تجعلى إجابتك جملة ، أى محصلة غير مفصلة . (٩) فى نسخة ليدن : ورثتيه . (١٠) وما أنت الخ ، أى : لست ممن يكتسبن المال بعرضهن . (١١) (وقعت على كنز) : أصبت كنزا . (١٢) وكيف الخ ، أى : وعلى أى حال حدثت هذه الثروة فقد الخ . (١٣) وكفيتنى هذه النائبة ، فى نسخة ليدن : وكفيتينى . والنائبة هنا ، الأمر المهم . (١٤) (منذ يوم ولدتها) ، (منذ) حرف جر بمعنى من . و (يوم) مبنى على الفتح ، مضاف إلى جملة (ولدتها) . (١٥) الحفنة ملء الكفين من طعام وغيره جمعه حفن (بضم ففتح) . (١٦) المكوك مكيال اختلف فى مقداره . فقيل إنه يسع صاعا ونصفا . والصاع أربعة أمداد ، كل مد (بضم الميم) رطل وثلث . انظر القاموس .

قال زوجُها : ثبّتَ الله رأيك وأرشدكِ ! ولقد أسعدَ اللهُ مَنْ كنتِ له سَكَناً (١) ، وبارَكَ لِمن جُعِلتِ له إلْفا (٢) ! ولهذا وشِبْهِه (٣) قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مِنَ الذَّوْدِ إلى الذَّوْدِ إبِلٌ (٤) . وإنّى لأرجو أن يَخْرُجَ ولَدُكِ على عِرْقك الصالح (٥) ، وعلى مَذْهبك المحمود .

وما فَرَحى بهذا مِنْكِ بأشدَّ مِن فرحى بما يُثَبِّتُ الله بِكِ فى عَقِبى مِنْ هذه الطريقة المَرْضيّة .

فنهضَ القوم بأجْمعِهم إلى جَنازتها ، وصلَّوْا عليهـا . ثم انْكَفَـئُوا (٦) إلى زوجها ، فعزَّوْه على مصيبته ، وشاركوه فى حُزْنه .

⁂

ثم اندفع شيخ منهم فقال : يا قَوْمُ ، لا تَحْقِروا صِغارَ الأمور ، فإنّ أوّل كلّ كبير صغيرٌ . ومتى شاء الله أن يُعَظِّم صغيرا عظَّمه ، وأن يُكَثِّر قليلا كثَّره . وهل بُيُوت الأموال إلا دِرهمٌ إلى دِرهم (٧) ؟ وهل الذَّهبُ إلا قِيراطٌ إلى جَنْبِ قِيراط (٨) ؟ أوَليس كذلك رَمْلُ عالِج وماءُ البحر (٩) ؟ وهل اجتمعتْ أموالُ بيوت الأموال إلا بدرهم مِنْ ها هنا ودرهمٍ من ها هنا ؟

(١) السكن ما يسكن إليه من أهل ومال وغير ذلك . وهو أيضا مصدر سكنت إلى الشىء أسكن . (٢) الإلف من تألفه . والجمع آلاف . (٣) (ولهذا وشبهه) : وبعملك هذا وما أشبهه من أعمال الاقتصاد فى المال . (٤) من الذود الخ ، لم نقف فيما لدينا من المراجع على أنّ هذا حديث شريف . وإنما هو مثل كما يأتى وفى النهاية لابن الأثير : قوله صلى الله عليه وسلم : ليس فيما دون خمس ذود صدقة اه . واختلف فى الذود على أقوال كثيرة . وفى المختار : الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر . وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها . والكثير أذواد . وفى المثل : الذود إلى الذود إبل . أى إذا جمعت القليل مع القليـل صار كثيرا . فإلى بمعنى مع اه (٥) وإنى لأرجو الخ ، الولد يكون مفردا وجمعا . والمراد هنا الجمع . وعرق كل شىء أصله . والجمع أعراق وعروق . فهو يطلب من الله أن ينبت أولادها على أصلها وسيرتها الصالحة من الحرص على المال والاقتصاد فيه . (٦) (انكفئوا) : رجعوا . (٧) وهل بيوت الأموال الخ ، أى ما تحويه هذه البيوت . فقد أطلق المحل وأراد الحال . وبيوت المـال فى تلك العصور كخزانة المـالية فى عصرنا هـذا . وقوله : (إلى درهم) ، (إلى) إما أن تكون بمعنى (مع) ، أى درهم مصحوب بدرهم ، وإما أن تكون (إلى) على معناها الحقيق . ويكون الجـار متعلقا بمشتق ملائم للمعنى ، أى (منضم) مثـلا . وكيف كان الأمر فالجار والمجرور صفة (درهم) . (٨) وهل الذهب الخ ، قال فى القاموس : والقيراط والقراط بكسرهما ، يختلف وزنه بحسب البـلاد . فبمكة ربع سدس دينار ، وبالعراق نصف عشره اه . (٩) وليس كذلك الخ ، استفهام تقريرى محذوف الأداة ، أى : أوليس الخ و(عالج) : موضع ببادية العرب مشهور بكثرة رمله .

فقد رأيتُ صاحبَ سَفَطٍ قد اعْتَقَدَ[١] مائةَ جَرِيبٍ فى أرض العرب . ولَرُبَّما رأيتُه يبيع الفُلْفُل بقيراط ، والحِمَّصَ بقيراط ، فأَعْلَمُ أنه لم يربح فى ذلك الفلفل إلا الحبَّةَ والحبتين من خشب الفُلْفُل . فلم يزل يجمع من الصِّغار الكِبارَ[٢][٣] حتى اجتمع ما اشترى به مائةَ جَرِيب ! .

ثم قال : اشتكيتُ أيَّاما صَدْرِى من سُعال كان أصابنى ، فأمرنى قَوْمٌ بالفَانِيذ السُّكَّرِى[٤] . وأشار علىَّ آخرون بالحَرِيرة تُتَّخذ من النَّشاسْتَج[٥] والسكَّر ودُهن اللَّوْز ، وأشباهِ ذلك . فاستثقلتُ المُؤْنة ، وكَرِهتُ الكُلْفة ، ورجوتُ العافية . فبينا أنا أدافع الأيام ، إذْ قال لى بعضُ المُوَفَّقين : عليك بماء النُّخالة[٦] فاحْسُهُ[٧] حارًّا . فحسوتُه ، فإذا هو طيِّب جِدًّا ، وإذا هو يَعْصِم[٨] : فما جُعْتُ ولا اشتهيتُ الغداء فى ذلك اليوم إلى الظهر . ثم ما فرغتُ من غَدَائى وغَسْلِ يدىَّ حتى قاربتُ العصر . فلما قَرُبَ وقتُ غدائى من وَقْتِ عَشَائى طويتُ العشاء ، وعرفتُ قَصْدِى[٩] .

فقلتُ للعجوز[١٠] : لم لا تَطْبُخِين[١١] لعيالنا فى كُلِّ غَدَاةٍ نُخالة ؟ فإنَّ ماءها جلاءٌ للصدر ، وقُوتها غِذاء وعِصْمة ، ثم تُجَفِّفِين بَعْدُ[١٢] النخالةَ ، فتعود كما كانت . فتبيعين إذًا الجميعَ[١٣] بمثلِ الثمنِ الأول ،

---

(١) فقد رأيت الخ ، (صاحب سفط) ، الظاهر أنه يريد بائعا من هؤلاء الجوّالين الذين يحملون بضاعتهم فى أسفاط . (اعتقد) ، فى القاموس : واعتقد ضيعة ومالا : اقتناهما . أما (الجريب) فقد جاء فى المصباح أنه القطعة المتميزة من الأرض . قال : ويختلف مقدارها بحسب اصطلاح أهل الإقليم ، كاختلافهم فى مقدار الرطل والكيل والذراع اهـ .

(٢) الحبة : جزء صغير من الدرهم . (٣) (من الصغار الكبار) : من الأشياء الصغار ، أى الحقيرة ، الأرباح الكبار . (٤) الفانيذ ضرب من الحلواء ، معرّب ، كما فى القاموس . (٥) قال فى القاموس : والنشا ، وقد يمد ، النشاستج ، معرّب ، حذف شطره اهـ وفى نسخة (ليدن) : النشاشتج . (٦) النخالة هى غير اللباب مما نخل . (٧) حسا المرق (من باب نصر) : شربه شيئا بعد شىء ، كتحساه . (٨) يقال : هذا طعام يعصم ، أى يمنع من الجوع ، من باب ضرب . (٩) طويت الخ ، (طويت العشاء) : لم أتعش . والقصد : استقامة الطريق . وقصد الطريق (من باب ضرب) فهو قاصد : استقام . يعنى أنى عرفت طريق المستقيمة فى طعامى على هذا النحو . (١٠) يريد امرأته . (١١) فى نسخة ليدن : (تطحنين) . وتخريجه صعب ، فهو تحريف .

(١٢) (بعد) ، أى بعد الطبخ ، وبعد أن أتقوت أنا وأنت والعيال بماء النخالة . (١٣) (الجميع) ، أى دقيق القمح ونخالته . أما الدقيق فلأنه باق على حاله . وأما النخالة فلأنها عادت بالجفاف كما كانت .

ونكونُ قد ربِحْنا فَضْلَ ما بين الحالين[(١)] ! قالتْ : أرجو أنْ يكون الله قد جَمعَ بهذا السُّعالِ مصالحَ كثيرةً، لِمَا فتح اللهُ لك بهذه النُّخالةِ التى فيها صَلاحُ بدنِك، وصلاحُ معاشك !

وما أَشُكُّ أنَّ تلك المَشُورةَ كانت من التوفيق[(٢)] !

قال القوم : صدقتَ، مِثْلُ هذا لا يُكْتَسَبُ بالرأى، ولا يكونُ إلا سَماوِيًّا !

ثم أقبل عليهم شيخ فقال : كُنّا نَلْقَى من الحُراقِ والقَدّاحَةِ جَهْـدًا[(٣)]، لأنّ الحجارة كانتْ إذا انكسرت حُرُوفها واستدارتْ[(٤)]، كلَّتْ ولم تَقْدَحْ قَدْحَ خَيْرٍ، وأَصْلَدَتْ فلم تُورِ[(٥)] . وربّما أَعْجَلَنا المطرُ والوَكْفُ[(٦)] . وقد كان الحجـر أيضا يأخُذُ من حُروف القدّاحةِ، حتى يَدَعَها كالقَوْس[(٧)] . فكنتُ أشْتَرِى المَرْقَشِيثا[(٨)] بالغلاء، والقدّاحَةَ الغليظةَ بالثمن المُوجع .

وكان علينا أيضا فى صَنْعةِ الحُراقِ وفى مُعالجة القُطْنةِ مُؤْنة، وله رِيح كَرِيهة . والحُراقُ لا يجيء من الخِرَق المصبوغة، ولا من الخِـرَقِ الوَسِخة، ولا من الكَتّان، ولا من الخُلْقان[(٩)] .

---

(١) (فضل ما بين الحالين) : ما تحلب من النخالة فى الماء . (٢) وما أشك الخ، هذا من كلام الشيخ، لا من كلام امرأته . (٣) كنا نلق الخ، الحراق ما تقع فيـه النار عند القدح، كعود أو قطعـة من خشب أو خرقة مثلا . والقداحة والقداح : الحجر الذى تقدح به النار . والقدح : ضربك بالقداح لتخرج النار . و(جهدا) : عناء ومشقة . (٤) (استدارت) : صارت غير حادة الحروف . (٥) وأصلدت الخ، (أصلدت) : صوّتت . و(لم تور) : لم تخرج نارا . يقال : أورى الزند يورى إيراء . (٦) وربما أعجلنا الخ، (أعجلنا) : حملنا على العجلة . و (الوكف) نزول المطر . وكف المطر (من باب وعد)، ووكيفا . أى وقد يعجلنا نزول المطر ونحن نقدح النار، بما يتساقط من مائه فيبل الحراق . فيكون ذلك أيضا من أسباب عدم الإيراء . (٧) المراد بالحجـر ذلك الذى تضرب به القداحة . (٨) المرقشيثا بالإنجليزية (Marcacite) . وتدل على نوع من الحديد المبلر (بتشديد اللام مفتوحة)، أى الذى تحولت أجزاؤه إلى ما يشبه البلور . وفى قاموس أكسفرد .. مرقشيثا أو مرقشيتا . وفى معجم (Steingass) الفارسى الإنجليزى : مرقشيشا . وتقول المعجمات الإنجليزية : إن الكلمة ذات أصل عربى . ولكنا لم نقف لهـا على أثر فى المراجع العربية التى عنـدنا . فهذه القطعة من الحديد كانت تقدح عليها النار فلا تأتكل ولا تفتت . (٩) الخلقان جمع خلق (بفتح اللام)، وهو البالى من الثياب .

فكنَّا نشتريه بأغلى الثمن . فتذاكرنا مُنْذُ أيامٍ أهلَ البَدْوِ والأعرابَ، وقَدْحَهُمُ النارَ بالمَرْخِ والعَفَار[1] . فزعم لنا صديقُنا الثَّوْرِىُّ[2] وهو — ما علمتُ — أحدُ المُرْشِدين ، أنَّ عراجين الأَعْذاق[3] تَنُوب عن ذلك أَجْمَع . وعلَّمنى كيفَ تُعالَج . ونحن نُؤْتَى بها من أرضنا بلا كُلْفة . فالخادم اليوم لا تَقْدَحُ ولا تُورِى إلا بالعُرْجُون .

قال القوم : قد مَرَّتْ بنا اليومَ فوائدُ كثيرة . ولهذا قال الأوّلُ[4] : مُذاكَرةُ الرِّجال تُلْقِحُ الألباب[5] .

ثم اندفع شيخ منهم فقال : لم أرَ فى وَضْعِ الأمور مواضعَها، وفى تَوْفيتها غايةَ حُقُوقها، كمُعاذةَ العَنْبَرِيَّة[6] . قالوا : وما شأنُ مُعاذةَ هذه ؟ قال : أَهْدَى إليها العامَ ابنُ عمٍّ لها أُضْحِيَّةً . فرأيتُها كئيبةً حزينة ، مُفكِّرة مُطْرِقة . فقلتُ لها : مالكِ يا مُعاذة ؟ قالت : أنا امرأة أرْمَلةٌ ، وليس لى قَيِّمٌ[7] . ولا عَهْدَ لى بتدبيرِ لحمِ الأضاحِى[8] . وقد ذهب الذين كانوا يُدَبِّرونه ويَقُومون بحقِّه[9] . وقد خِفْتُ أن يَضيع بعضُ هذه الشاة . ولستُ أعرِفُ وَضْعَ جميع أجزائها فى أماكنها . وقد علمتُ أنَّ الله لم يَخْلُق فيها ولا فى غيرها شيئا لا منفعةَ فيه . ولكنَّ المرء يَعْجِز لا مَحالَةَ[10] . ولستُ أخاف مِن تَضْييع القليل، إلا أنّه[11] يَجُرُّ تضييعَ الكثير .

---

(١) المرخ شجر سريع الورى (بفتح فسكون) ، أى إخراج النار . والعفار شجر يتخذ منه الزناد (جمع زند) . والزند (بفتح فسكون) ما تقدح به النار . (٢) فزعم الخ ، (زعم) هنا بمعنى قال . والثورى هو أبو عبد الرحمن الثورى . وستمر بك أخباره فى هذا الكتاب . (٣) (عراجين الأعذاق) ، العرجون : العذق إذا يبس واعوج . والأعذاق جمع عذق (بكسر فسكون) ، وهو الكباسة (بكسر الكاف) أو عنقود النخلة . ويريد بالعرجون هنا الفرع من فروع العذق اليابس . (٤) (الأول) : سابق من الحكماء . (٥) مذاكرة الخ ، (مذاكرة الرجال) : مطارحتهم الحديث . و (تلقح الألباب) : تجعلها مثمرة منتجة . (٦) الأضحية : الشاة التى تذبح ضحوة ، جمعها أضاحى (بتشديد الياء) . ثم جعلت الكلمة للشاة التى تذبح يوم الأضحى . وتسمى أيضا ضحية . والجمع ضحايا . (٧) (قيم) : من يقوم بأمرى ويتعهد شؤونى . (٨) بتدبير الخ ، تريد بتدبير لحمها ، استعمال كل جزء منه الاستعمال اللائق به . (٩) وقد ذهب الخ ، أى مات الذين كانوا يعرفون هذا الفن من أهل . (١٠) ولكن الخ ، هذا مثل ، كما فى (الميدانى) . قال : أى لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز . والمحالة : الحيلة اهـ . ويروى : لا المحالة ، كما فى اللسان . (١١) (إلا أنه) : إلا لأنه .

أمّا القَرْنُ فالوَجْهُ فيــه معروف، وهو أن يُجْعَل كالخُطّاف(١)، ويُسَمَّرَ فى جِذْع من جُذُوع السَّقْف، فَيُعَلَّقَ عليه الزُّبل(٢) والكِيرانُ(٣)، وكلُّ ما خِيفَ عليه من الفَأْر والنَّمل والسَّنانير، وبناتِ وَرْدانَ(٤) والحيَّات، وغير ذلك. وأمّا المُصْرانُ(٥) فإنّه لأوْتار المِنْدَفَة(٦). وبنا(٧) إلى ذلك أعظمُ الحاجة. وأمّا قِحْفُ(٨) الرأس واللَّحْيانِ(٩) وسائرُ العظام(١٠)، فسبيله(١١) أن يُكَسَّر بعد أن يُعْرَق(١٢)، ثم يُطْبَخ. فما ارتفع(١٣) من الدَّسِم كان للمِصباح وللإدام وللعَصيدة، ولغير ذلك. ثم تؤخذ تلك العظامُ فيُوقَدُ بهـا. فلم يَرَ الناسُ وَقُودا قطُّ أصْفَى ولا أحْسَنَ لَهَبًا منها. وإذا كانت كذلك فهى أسْرَعُ فى القِدْر(١٤)، لقِلّة ما يُخالطها من الدُّخَان. وأمّا الإهابُ(١٥) فالجِلْدُ نَفْسُه جِرابٌ. وللصُّوف وُجُوه لاتُدْفع(١٦). وأمّا الفَرْثُ والبَعْرُ(١٧) فحَطَبٌ إذا جُفِّفَ عَجِيب.

ثم قالت: بَقِيَ الآنَ علينا الانتفاعُ بالدّم. وقــد علمتُ أنّ الله عزّ وجلّ لم يُحَـرِّم مِن

(١) الخطاف حديدة معطوفة، أى ملوية. (٢) الزبل جمع زبيل (بفتح فكسر)، وهو القفة أو الجراب أو الوعاء. (٣) الكيران هنا جمع كور (بضم الكاف)، وهو الرحل، كما فى اللسان. والرحل: كل شىء يعدّ للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وغير ذلك. وجمعه أرحل ورحال. وفى نسخة: والكيزان، جمع كوز. (٤) بنات وردان: الصراصير. (٥) فى القاموس: المصير كأمير: المعى (بكسر ففتح). جمعه أمصرة ومصران. وجمع الجمع مصارين اهـ. (٦) فإنه الخ، (لأوتار المندفة): لاتخاذها وصنعها. والمندفة آلة الندف. وهى ما يضرب به القطن ليرق. والفعل من باب ضرب. (٧) وبنا الخ، أى أهل هذا المنزل. (٨) القحف بكسر القاف: أعلى الدماغ من العظم. والجمع أقحاف. (٩) اللحيان تثنية لحى (بفتح فسكون)، وهو عظم الحنك الذى عليه الأسنان. وهو من الإنسان حيث ينبت الشعر. وهو أعلى وأسفل. (١٠) (سائر العظام): باقى العظام. (١١) (فسبيله): سبيل الانتفاع به. وكان مقتضى الظاهر أن يقول: فسبيلها. ولكنه ذكر الضمير باعتبار هذا الذى ذكرت. ومثل ذلك كثير فى كلام الفصحاء. (١٢) عرق العظمة (من باب نصر): أكل ما عليها من اللحم. (١٣) فما ارتفع الخ، (ارتفع)، أى علا على وجه المرق فى القدر. و (كان للمصباح): لأن يوضع فى القنديل للاستصباح. والإدام: ما يؤتدم به. وجمعه أدم (بضم الهمزة والدال). والعصيدة طعام كان يتخذ من الدقيق والسمن والسكر. (١٤) (أسرع فى القدر): أسرع فى إحمائها وإنضاج ما فيها. فالكلام على حذف مضاف. (١٥) الإهاب: الجلد قبل الدبغ، أو هو الجلد مطلقا. (١٦) (وجوه لاتدفع): طرق من النفع لاتنكر. (١٧) الفرث ما فى الكرش من الزبل. والبعر (وقد تفتح العين) جمع بعرة.

الدمِ المَسْفُوح[١] إلا أكلَه وشُرْبَه ، وأنّ له مواضِعَ[٢] يجوز فيها ولا يُمْنع منها . و إنْ أنا لم أَقَعْ على عِلْمِ ذلك ، حتى يُوضَع مَوْضِعَ الانتفاع به[٣] ، صار كَيَّةً[٤] في قلبى ، وقَذًى[٥] فى عَيْنِى ، وهَمًّا لا يزال يُعاوِدُنى[٦] .

فلم أَلْبَثْ[٧] أَنْ رأيتها قد تَطَلَّقَتْ وتبسّمت . فقلت : ينبغى أن يكون قد انفتح لكِ بابُ الرأى فى الدم[٨] . قالت : أَجَلْ[٩] ، ذكرتُ أنّ عندى قُدُورًا شامِيَّةً جُدُدًا[١٠] . وقد زعموا أنّه ليس شيءٌ أَدْبَغَ[١١] ولا أَزْيَدَ فى قُوَّتِها ، من التلطيخ بالدم الحارّ الدَّسِم . وقد استرحتُ الآن ، إذْ وقع كُلُّ شيءٍ مَوْقِعَهُ !

قال[١٢] : ثم لقيتُها بعدَ ستّة أشهر ، فقلت لها : كيف كان قَدِيدُ[١٣] تلكِ الشّاةِ ؟ قالت : بأَبى أنت[١٤] ! لم يجئْ وقتُ القَدِيد بَعْدُ ! لنا فى الشَّحْمِ والأَلْيةِ والجُنُوبِ والعَظْمِ المَعْرُوق وغيرِ ذلك مَعَاشٌ ! ولكلّ شيءٍ إبّانٌ !.

فقبضَ[١٥] صاحبُ الحمار والماءِ العَذْبِ قَبْضَةً من حَصًى ، ثم ضرب بها الأرض . ثم قال : لا تعلم[١٦] أنّك من المُسْرفين ، حتى تسمع بأخبار الصالحين ! .

---

(١) سفح الدم يسفحه (كمنع يمنع) : أساله . والدم المسفوح مما حرمه الله تعالى فى القرآن . (٢) وأنّ له الخ : معطوف على (أن الله الخ) أى وعلمت أنّ له مواضع الخ . (٣) حتى يوضع الخ ، أى فى حالة وقوعى على علمه . فهو غاية لقولها : (أقع الخ) . (٤) اسم مرة من كواه يكويه كيّا . (٥) القذى ما يقع فى العين من تراب ونحوه .

(٦) (يعاودنى) : يأتى إلى مرة بعد أخرى . (٧) فلم ألبث الخ ، أى فلم أبطئ فى رؤيتى إياها قد الخ . و (تطلقت) : انشرحت وانبسطت . وفى اللسان : تطلق الشيء : سر به ، فبدا ذلك فى وجهه . فالفعل على هذا متعدّ . واستعمال الجاحظ له يشعر بلزومه . (٨) ينبغى أن يكون الخ ، اسم يكون ضمير الشأن . و (فى الدم) : فى كيفية الانتفاع به .

(٩) (أجل) كنعم وزنا ومعنى . (١٠) جمع جديد ، كسرير وسرر . (١١) أدبغ ، أى لها .

(١٢) (قال) أى الشيخ . (١٣) القديد اللحم المملوح المجفف فى الشمس ، فعيل بمعنى مفعول .

(١٤) (بأبى أنت) مبتدأ وخبر ، أى أنت مفدىّ بأبى . وهى جملة تقال غالبا مقدّمة للكلام يأتى بعدها . وهى هنا للتعجب . (١٥) فقبض الخ ، ضرب من التعبير عن فرط إعجابه بحكمة معاذة واقتصادها . وقد مضت قصة هذا الرجل فى ص ٦٣ . (١٦) لا تعلم الخ ، يعنى أن الإنسان يعلم حال نفسه من طريق الموازنة . فهذا الشيخ لم يكن يعرف أنه مسرف ، فى زعمه ، حتى استمع إلى خبر معاذة .

قِصَّـــةُ زُبَيْـــدَةَ بْنِ حُمَيْـــدٍ

وأما زُبَيْدَةُ بْنُ حُمَيْدٍ الصَّيرفيُّ (١)، فإنَّه استلف مِن بَقَّالٍ كان على باب داره دِرْهمين وقيراطا. فلمَّا قضاه بعد سِتَّة أشهر، قضاه درهمين وثلاثَ حبَّاتِ شَعِيرٍ (٢). فاغتاظ البقَّالُ، فقال: سبحان الله! أنت ربُّ مائةِ ألفِ دينـار (٣)، وأنا بقَّال لا أملِك مائة فَلْسٍ (٤)، وإنَّما أعيش بكَدِّى، وباسْتِفْضال الحبَّة والحبَّتين (٥). صاح على بابك حَمَّالٌ، والمـال لم يَحْضُرك، وغاب وكيلُك، فَنَقَدتُ عنك دِرهمين وأربعَ شعيرات (٦). فقضيتَنى بعدَ سِـتَّة أشهر درهمين وثلاثَ شـعيرات. فقال زُبَيدةُ: يا مجنون! أسلفتنِى فى الصيف، فقضيتُك فى الشتاء. وثلاثُ شَعيرات شَتْوِيَّةٌ (٧) نَدِيَةٌ، أرْزَنُ (٨) من أربع شعيرات يابسة صَيْفِيَّة. وما أشكُّ أنّ معك فَضْلا!

وحدَّثنى أبو الأصْبَغ، بن رِبْعِىّ، قال: دخلتُ عليــه (٩) بعد أن ضرب غِلْمـانه بيوم، فقلت له: ما هذا الضرب المُبَرِّح (١٠)؟ وهــذا الخُلُق السَّيِّئُ؟ هؤلاء غِلمان (١١)، ولهم حُرْمة وكِفاية وتربية. وإنما هم وَلَد (١٢). هؤلاء كانوا إلى غير هــذا أَحْوَجَ. قال: إنك لست تَدْرِى أنَّهـم أكلوا كل جُوَارِشْنٍ (١٣) كان عندى!

---

(١) الصيرفى: الصراف، والصيرف أيضا. (٢) وثلاث حبات شعير، أى مقدار وزنها فضة. فالكلام على حذف مضاف. (٣) سبق الإشارة إلى معنى الدرهم والقيراط والدينار. (٤) الفلس ما كانوا يتعاملون به، وكان من نحاس، دنىء القيمة، إذ هو جزء من ٩٦ جزءا من الدرهم. وقال فى اللسان: وأفلس الرجل: صار ذا فلوس، بعد أن كان ذا دراهم اهـ (٥) أفضل من الشىء شيئا، واستفضل من الشىء شيئا بمعنى. ويقصد باستفضال الحبة والحبتين أنه يدخر ذلك. وقد سبقت الإشارة إلى معنى الحبة. (٦) فنقدت الخ، مفعول (نقدت) الأول محذوف، أى الحمال. (٧) (شتويه) نسبة إلى مفرد شتاء، على رأى من قال: إن الشتاء جمع شتوة (بفتح فسكون). وقيل إن شتاء مفرد، فينسب إليه على لفظه، فيقال: شتائى وشتاوى. (٨) (أرزن): أثقل.

(٩) على زبيدة بن حميد. (١٠) (المبرح): الجاهد الشديد. يقال: برح به الأمر تبريحا، أى جهده.

(١١) هؤلاء الخ، (غلمان): خدم. و(حرمة): كرامة ومنزلة. و(كفاية): يكفون سيدهم أمره ويقومون بخدمته. ولذا سمى الخدم الكفاة، جمع كاف. (١٢) (وإنما هم ولد)، أى بمنزلة أولادك فى الرعاية وعدم الإهانة.

(١٣) قال فى اللسان: والهضام، على صيغة المبالغة، والهضوم والهاضوم: كل دواء هضم طعاما كالجوارشن اهـ وفى هامشه ما نصه: قوله: كالجوارشن، ضبط فى بعض نسخ النهاية بضم الجيم، وفى بعض آخر بالفتح، وكذا فى المحكم اهـ مصححه.

قال أبو الأصبغ : خرجتُ إلى رئيس غلمانه ، فقلتُ : وَيْلك (١) ! مالكَ وللجُوَارِشْنِ ؟ وما رَغبَتُك فيه ؟ قال : جُعلتُ فِداك ! ما أقدر أن أكلّمك من الجوع إلا وأنا متّكئ ! الجُوَارِشْنُ ! ما أصنعُ به ؟ هو نَفْسُه ليس يُشْبِع ، ولا نحتاج إلى الجُوَارِشْنِ ، ونحن الذين إنّما نسمع بالشِّبَع سماعا مِن أفواه الناس ! ما نَصْنَعُ بالجُوَارِشْن ؟

٥ واشتدَّ على غلمانه في تَصْفِية الماء ، وفي تَبْرِيده وتزميله (٢) لأصحابه وزُوّاره . فقال له غازي أبو مُجاهد : جُعلتُ فِداك ! مُرْ بتزميل الخبز وتكثيره (٣) ، فإنّ الطعام قبلَ الشراب .

وقال مَرّةً : ياغلام ، هاتِ خُوان (٤) النَّرْد ، وهو يريد تَخْتَ النَّرْد . فقال له غازي : نحن إلى خوان الخبز أحْوَجُ .

وسَكِرَ زُبيدةُ ليلةً فكسا صديقا له قميصا . فلما صار القميصُ على النديم (٥) خاف البَدَوَات (٦) ، ١٠ وعلم أن ذلك مِن هَفَوَاتِ السُّكر (٧) . فمضى مِن ساعته إلى منزله ، فجعله بَرْنَكَانًا (٨) لامرأته .

---

(١) (ويل) كلمة عذاب كما تقدم . وخرجت إلى التعجب . (٢) (تزميله) : لف إنائه بغطاء مبلول ليبرد ، كما يظهر لنا . (٣) مر الخ ، أي قبل أن تأمر بتصفية الماء وتبريده . و(تكثيره) ، في نسخة : (تكبيره) . (٤) الخوان (بضم الخاء وكسرها) الذي يؤكل عليه ، معرب . والجمع أخونه وخون (بضم الخاء) اه من اللسان . والتخت وعاء تصان فيه الثياب ، معرب أيضا . ثم أطلق على السرير الذي يجلس ١٥ عليه . ومن التوسع إطلاقه على صندوق النرد . و(والنرد) أيضا فارسي معرب . ويسمى أيضا النردشير . (٥) النديم : الشريب (بوزن كريم) : الذي ينادمه . وهو ندمانه (بفتح فسكون) أيضا . وجمع النديم ندام (ككريم وكرام) . وجمع الندام ندامى اه من اللسان . (٦) (خاف البدوات) ، فاعل (خاف) يرجع إلى النديم . والبدوات : الآراء التي تبدو ، أي تظهر . والمفرد بداة (بفتح الباء) . يعني أن النديم خاف ما يعرض لزبيدة بعد ذلك من رأي مخالف . (٧) (هفوات السكر) : ما يقع فيه السكران من الزلات والغلطات . ٢٠ (٨) قال في اللسان : البرنكان ضرب من الثياب ... ويقال بركان (بفتح الباء وتشديد الراء مفتوحة) أيضا اه وفي نسخة (ليدن) : برشكابا .

فلما أصبحَ سأل عن القميص وتَفَقَّده (١)، فقيل له : إنَّك قد كَسَوْته فُلانا (٢) . فبعث إليه ، ثم أقبـل عليه، فقال : ماعلمتَ أنَّ هِبَـة السَّكرانِ وشِراءَه وبَيْعَهُ وصدقته وطَلاَقه لا يجوز؟ (٣) و بعدُ، فإنّى أكره ألاّ يكون لى حَمْدٌ، وأن يُوَجِّه الناس هذا مِنّى على السكر . فَرُدَّه علىّ، حتى أَهَبَهُ لك صاحِيًا عن طِيب نفس ؛ فإنّى أكره أن يَذْهب شىء من مالى باطِلا .

فلما رآه قد صَمَّم (٤)، أقبل عليه فقال : يا هَنَاه (٥) ! إنّ الناس يَمْزَحُون و يلعبون، ولا يُؤَاخَذُون بشىء من ذلك . فَرُدَّ القميص، عافاك الله ! قال له الرجل : إنّى والله قد خِفتُ هذا بعينه ؛ فلم أَضَعْ جَنْبى إلى الأرض حتى جَيَّبْته (٦) لامرأتى . وقد زدتُ فى الكُمَّين، وحذفتُ المَقَادِيم (٧) . فإن أردتَ بعد هذا كلِّه أن تأخذه فخذه . فقال : نعم آخذُه ، لأنَّه يصلُح لامرأتى كما يصلُح لامرأتك . قال : فإنّه عند الصَّبّاغ . قال : فَهَاتِه . قال : ليس أنا أسلمتُه إليه (٨) .

فلما علم (٩) أنّه قد وقع قال : بأبى وأمّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، حيث يقول : جُمِـع الشَّرُّ كلّه فى بيتٍ وأُغلِقَ عليه، فكان مفْتاحه السكر .

---

(١) (أصـبح) : دخل فى الصباح والفاعل يعود إلى زبيدة . (٢) تفقـد الشىء : طلبـه عند غيبته . (٣) ما علمت الخ ، استفهام حذفت فيه الأداة ، أى أما علمت الخ . وهو كثير فى هذا الكتاب . (٤) الفاعل يعود إلى زبيـدة ، والمفعول إلى النـديم . (٥) (يا هناه) : يا رجل . قال فى اللسان : فتقول : يا هناة أقبل . وهـذه اللفظة تختص بالنداء خاصة . والهاء فى آخره تصير تاء فى الوصل . معناه : يافلان ... ولك أن تقول : ياهناه أقبل ، بهاء مضمومة اهـ (٦) جيب القميص ما يفتح على النحر . وجيبه بالتشديد : جعـل له جيبا اهـ مصباح . (٧) مقاديم القميص : ما استقبلت منـه . ويستأنس لذلك بمـا فى المصباح ، قال : وقوادم الطير : مقاديم الريش اهـ و بمـا جاء فى اللسان ، قال : ومقاديم وجهه : ما استقبلت منه ، واحدها مقـدم (بضم فسكون فكسر) ومقدّم (بتشديد الدال مكسورة) اهـ (٨) اسم ليس ضمير الشأن . وجـلة : (أنا أسلمته) خبر ليس . وهو تعبير غريب . و يظهر أن الجاحظ حكاه كما روى له . (٩) (علم) ، أى زبيدة .

قِصَّـةُ لَيْـلَى الناعِطيّـةِ (١)

وأمّا ليلَى الناعِطيّة، صاحبةُ الغالِيَة من الشِّيعة (٢)، فإنّها مازالت تُرَقِّع قميصا لها وتَلْبَسُه، حتى صار القميصُ الرِّقَاعَ، وذهب القميص الأوّلُ. ورَفَتْ (٣) كِساءها ولَبِسته، حتى صارت لاتلبَس إلا الرَّفْوَ (٤)، وذهب جميعُ الكِساء. وسمِعتْ قول الشاعر:

٥ الْبَس قَمِيصك ما اهتديتَ لِجَيْبِهِ … فإذا أَضَـلَّكَ جَيْبُـهُ فاسْـتَبْدِلِ (٥)

فقالت: إنِّى إذًا لخرقاء (٦)! أنا والله أَحُوصُ الفَتْقَ وفتق الفَتْقِ، وأَرَقِّع الخَرْقَ وخرقَ الخرق (٧)!

✥ ✥ ✥

ومضيْتُ أنا وأبو إسحـاقَ النَّظّامُ وعَمْرُو بن نَهْيَوِيّ، نريد الحديث فى الجَبَّان (٨)، ولِنتناظَرَ فى شيءٍ من الكلام (٩). فمررنا بمجلس وَلِيدٍ القُرَشِيّ، وكان على طريقنا. فلما رآنا تمشَّى معنا.

١٠ (١) ذكرها صفوان الأنصارى فى قصيدة يهجو بها بشار بن برد، قال:

أتجعل ليلى الناعطية نحـلة … وكل عريق فى التناسخ والردّ

يعنى: أتزعم يا بشار أن ليلى تحمل روح نحله، من طريق تناسخ الأرواح، لما عرفت فيها من التدبير والعقل. والتناسخ: انتقال الروح من جسم إلى جسم. وهو مذهب براهمة الهنـد. وقد انتحله طائفة من الموالى فى الإسلام اهـ من حاشية للسندوبى على (البيان والتبيين). (٢) الغالية من الشيعة، أى الفرقة الغالية منهم. و(الغالية): المتشدّدة فى تشيعها

١٥ لعلىّ وآله، رضى الله عنهم، من غلا يغلو غلوّا. ومعنى أنها صاحبتهم أنها كانت تذهب مذهبهم وتحضر مجالسهم.

(٣) رفا الثوب (من باب نصر). وهو فى لغة يائى. (٤) أطلق المصدر وأراد الخيوط التى يرفى بها مبالغة.

(٥) (أضلك): أوقعك فى الحـيرة. والكلام على المجاز. ومعنى إضلال الجيب للابس أن اللابس لا يهتدى إلى الجيب، إذا أراد أن يدخل رأسه فيه، لكثرة الخروق حواليه. وقوله: (فاستبدل)، أى فاستبدل به غيره.

(٦) خرق الرجل (من باب فرح): لم يوفق فى عمله، فهو أخرق، وهى خرقاء. (٧) أنا والله الخ، توضيح

٢٠ لخرقها وعدم توفيقها فى أعمالها. فإنها استصوبت ماذهب إليه الشاعر من ترك الثوب بلا رفو ولا ترقيع، حتى لا يذهب الخيط فيه سدى، كما يظهر لنا. أو أن يكون المعنى أنها تقصد السخرية من الشاعر، وأنه لم يصل فى البخل إلى الدرجة الكاملة. فهى تقول، فى استهزاء: إنى أيها الشاعر إذا خرقاء، لأنى لا أترك قيصى حين يضل رأسى جيبه، بل أرقع الخرق وخرق الخرق. وحاص الثوب (من باب قال)، وحياصة (بكسر الحاء): خاطه. (٨) الجبان والجبانة الصحراء. وتسمى بها المقابر لأنها تكون فى الصحراء. والجبان: ما استوى من الأرض، ويكون كريم المنبت اهـ من اللسان.

٢٥ والمراد أنهم مضوا إلى الصحراء أو المزارع للنزهة، وليكونوا فى مناظرتهم أهدأ وأبعد من الضوضاء.

(٩) المراد بالكلام هنا «علم التوحيد».

فلما جاوزنا الخَنْدَق[1] جلسنا فى فِناء حائطه. وله ظِلّ[2] شديد السّواد، باردٌ ناعمٌ. وذلك لِثِخَنِ الساتر[3]، واكْتِناز الأجزاء[4]، ولِبُعْدِ[5] مَسقِط الشمس من أصل حائطه. فطال بنا الحديثُ، فجرينَا فى ضُرُوب من الكلام. فما شَعَرْنَا إلا والنّهار قد انْتَصَف، ونحن فى يوم قائِظ.

فلمـا صِرْنا فى الرجوع[6]، ووجدتُ مَسَّ الشمسِ ووَقْعَها على الرأس، ايقنتُ بالبِرْسام[7].

فقلت لأبى إسحـاقَ، والوليدُ إلى جَنْبى يسمعُ كلامى: البَاطِنَةُ[8] مِنَّا بعيدة، وهـذا يوم مُنْكَرٌ، ونحن فى ساعة تُذِيب كلَّ شىء. والرأىُ أن نَمِيـلَ إلى منزِل الوليد، فَنَقِيلَ[9] فيــه، ونأ كلَ ما حَضَرَ، فإنّه يوم تَخْفِيف[10]. فإذا أَبْرَدْنا[11] تفرقنا، وإلا[12] فهو الموت ليس دُونَه شىء.

قال الوليد رافعا صوته: أمّا على هذا الوجه[13] فلا يكون والله أبدا. فَضَعْه[14] فى سُوَيْداءِ قلبك[15]!

فقلتُ له: [ما] هذا الوجه الذى أنكرتَه علينا[16] ــ رحِمك الله؟ هل ها هنا إلا الحاجةُ والضرورة؟

---

(١) فلما جاوزنا الخ، الخنــدق حفير حول أسوار المدن، معرّب كنــده. قاموس. و(فناء حائطه): ما امتــد أمام حائطه من الأرض. (٢) وله ظل الخ، (له): هـذا الحائط. و(شديد السواد): لا يخلله ضوء الشمس أو انعكاس لضوئها. و(ناعم): لين لذيذ. (٣) المراد بالساتر هنـا الحائط.

(٤) (اكتناز الأجزاء): اجتماع أجزاء الحائط وشدة امتلائها. (٥) ولبعد الخ، يتضح من هذا الوصف أنهم جلسوا فى الجهة الغربية من الحائط. (٦) (فلما صرنا فى الرجوع)، أى فلما كنا راجعين. وهذا الاستعمال غريب جدا. (٧) اختلف اللغويون فى تعريف هذه العلة. ونأتى هنا بمـا فى القاموس وشرحه. قال: البرسام بالكسر علة يهـذى فيها. وهو ورم حارّ يعـرض للحجاب الذى بين الكبـد والأمعاء. وهو يتصــل إلى الدماغ اهـ ولكنا نظن أن المراد هنا (الرعن، بفتح الراء والعين)، كما هو ظاهر من سياق الكلام. ففى القاموس: رعته الشمس: آلمت دماغه، فاسترخى لذلك وغشى عليه اهـ (٨) الباطنة من البصرة والكوفة: مجتمع الدور والاسواق، كما فى القاموس. وفى فهرس نسخة ليــدن أنها هنا فى بغداد. (٩) قال (من باب باع)، قيلا وقائلة وقيلولة: نام نصف النهار. (١٠) (تخفيف)، أى للأكل، لشدة الحرّ.

(١١) (أبردنا): دخلنا فى البرد. والمراد فتور الحرّ. (١٢) (وإلا)، أى وإن لم نمــل إلى منزل الوليد فنقل، فهو الموت الخ. (١٣) أى من السخرية والهزء بدعواه، كما يأتى. (١٤) (فضعه)، الضــمير المفعول يرجع إلى مفهوم من السياق، أى: جوابى هذا. (١٥) سويداء القلب حبتــه، يزعم العرب أنهـا مركز الروح. وقــوله: فضعه الخ، أى فافهم كلامى هذا حق الفهم. (١٦) وجدت هــذه الجملة فى جميع النسخ بدون (ما) الاستفهامية. فزدناها بين قوسين، لأن المعنى عليها.

قال : إنّك أخرجتَه مُخْرَجَ الهُزْء (١) . وقلتُ : وكيف أُخرجه مُخْرَجَ الهُزْءِ وحياتى فى يدك ، مع معرفتى بك (٢)؟ فغضب ، ونَتَرَ (٣) يده من أيدينا ، وفارقَنا . ولا والله ما اعتذرَ إلينا مما رَكِبَنا به (٤) إلى الساعة . ولم أرَ مَنْ يجعل الأَسَى حُجَّـةً فى المنع إلا هو (٥) ، وإلا ما كان من أبى مازنٍ إلى جَبَلٍ الغَمْرِ .

٥

* * *

وكان جَبَلٌ خرج ليلا من مَوْضع كان فيه ، نخاف الطائفَ (٦) ، ولم يَأْمَنِ المُسْتَقْفِيَ (٧) ، فقال : لو دَقَقْتُ الباب على أبى مازنٍ ، فبِتُّ عنده فى أَدْنَى بيتٍ (٨) ، أو فى دِهْلِيزه ، ولم أُلزِمه من مُؤْنتى شيئا . حتى إذا انْصَدَعَ عمود الصُّبح ، خرجتُ فى أوائل المُدْلِجين (٩) . فدقَّ عليه الباب دقَّ واثِق (١٠) ، ودقَّ مُدِلٍّ (١١) ، ودقَّ مَنْ يخاف أن يُدْرِكه الطائفُ ، أو يَقْفُوَهُ المُستقفِى ، وفى قلبه عِزُّ الكِفاية (١٢) ، والثِّقَةُ بإسقاط المُؤْنة (١٣) .

١٠

---

(١) أخرجته الخ ، المفعول يعود إلى الكلام المفهوم من السياق . و (الهزء) : السخرية . و يقال أيضا : هزؤ ، وهزو (بضمتين ، بالهمزة و بتسهيلها) ، أى إنك قصدت به السخرية منى . (٢) (مع معرفتى بك) : مع شعورى بأنك لا تأبى أن تنقذ حياتى . (٣) (نتر) : جذب فى جفوة ، (من باب نصر) . (٤) ولا والله الخ ، (لا) زائدة لتقـوية الكلام . و (ركبنا به) : أساء إلينا به . ففى الأسـاس : وركبه بالمكروه وارتكبـه اه .

١٥

(٥) ولم أر الخ ، (الأسى) الحزن . وقد أطلق الأسى وأراد المصيبة ، من إطلاق المسبب و إرادة السبب ، على المجاز . يعنى أن هذا الرجل جعل مصيبتنا بالمشى فى تلك الشمس المهلكة حجة لمنعنا من القيلولة عنده . وهو عجيب . وربما كانت كلمة الأسى محـرفة عن (لا شىء) . والصـحيح المعروف أن يقـول : إلا إياه ، لا : إلا هـو . (٦) (الطائف) : الذى يطوف بأحياء المدينة من قبل (بكسر ففتح) الحاكم ليـلا ليتفقد أحوالها . وهو العاس ، (جمعـه عسس) ، بفتحتين . (٧) (استقفاه) : قفا أثره ليسلبه . (٨) (فى أدنى بيت) : فى أقرب حجرة من باب منزله .

٢٠

(٩) حتى إذا الخ ، عمود الصبح ما تبلج من ضوئه . والمراد بانصداعه انتشار ضـوء الصبح . وفى الأساس : ومن المجاز... وجئته وعمود الصـبح منصدع اه والمدلج : السائر من آخر الليل . (١٠) (واثق) ، أى بترحيب صاحبـه به . (١١) (ودق مدل) ، عطف إطناب . ففى المختار : وفـلان يدل بفلان ، أى يثق به اه . أو هى الثقـة فى جراءة على من لك عنـده منزلة ، كما فى اللسان . (١٢) وفى قلبـه الخ ، الواو للحال . و (عز الكفاية) ، أى عز الاستغناء عن غيره ، أى الشعور بذلك .

٢٥

(١٣) والثقة الخ ، أى وفى قلبه الثقة بأن لا كلفة بينه و بين صديقه .

فلم يَشُكَّ أبو مازنٍ أنه دَقُّ[١] صاحب هديّة . فنزل سريعا . فلمّا فتح البابَ وبَصُرَ بجبلٍ، بَصُرَ بملك الموت ! فلما رآه جبلٌ واجما[٢]، لا يُحِيرُ كلمةً[٣]، قال له : إنى خفتُ مَعَرَّةَ الطائف[٤]، وعَجَلَةَ المُستقفِي، فمِلتُ إليك لأبيت عندك . فتساكَرَ[٥] أبو مازنٍ، وأراه أنّ وُجُومَه إنّما كان بسبب السُّكر . نخلَعَ جوارِحَه[٦]، وخَبَلَ لِسانَه[٧]، وقال : سكرانُ والله، أنا والله سكران !

قال له جبلٌ : كُنْ كيفَ شِئتَ . نحن فى أيّام الفَصْلِ[٨]، لا شتاءَ ولا صيفَ . ولستُ أَحتاج إلى سَطْح، فأُغِمَّ عيالَكَ بالحَرِّ[٩]، ولستُ أحتاج إلى لِحاف، فأُكَلِّفَكَ أنْ تُؤْثِرَنى بالدِّثار[١٠] . وأنا كما ترى ثَمِلٌ من الشراب، شَبْعانُ من الطَّعام[١١] . ومِنْ منزِلِ فُلانٍ خرجتُ، وهو أَخْصبُ الناس دَخْلا[١٢] . وإنّما أريد أن تَدَعَنِى أُغْفِى[١٣] فى دِهْلِيزك إغْفاءَةً واحدةً، ثم أقومُ فى أوائل المبكّرين .

قال أبو مازنٍ، وأَرْخَى عينيه وفكّيه ولِسانَه، ثم قال[١٤] : سَكْرانُ واللهِ! أنا سكران ! لا والله ما أعقِلُ أينَ أنا ! والله إنْ أَفْهَمُ[١٥] ما تقول ! ثم أغلقَ البابَ فى وجهه، ودخل لا يَشُكُّ أن عُذْرَه قد وَضَحَ، وأنّه قد أَلْطَفَ النظرَ[١٦]، حتى وَقَع على هذه الحِيلة !

---

(١) (أنه) : الدق . (٢) الواجم : الذى اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام . (٣) لا يحير كلمة، أو بكلمة : ما يرد . (٤) (معرّة الطائف) : مساءته . يقال : عره يعرّه (كنصر ينصر)، إذا ساءه . أى ما يلحقه من مساءة الطائف إذا رآه يمشى فى الظلام . (٥) (تساكر) : أرى أنه سكران وليس به . (٦) (نخلع جوارحه)، خلع الشىء : أحدث فيه تفككا . والجوارح أعضاء الإنسان كاليدين والرجلين . يعنى أنه تظاهر بأن فيه تفككا من السكر . (٧) (وخبل لسانه)، خبله يخبله (بكسر الباء)، وخبله تخبيلا، وأخبله : إذا أفسد عقله أو عضوه اهـ مختار . والمراد أنه تظاهر بأنّ فى لسانه فسادا . (٨) (أيام الفصل) : أيام تفصل بين الصيف والخريف، أو بين الشتاء والربيع . وهى معتدلة . (٩) فأغم الخ، أى بأن يناموا فى حجر المنزل الحارة، إذا أنا نمت على السطح . (١٠) الدثار ما يتدثر به . وتدثر بالدثار : تلفف به، فهو متدثر ومدّثر . (١١) وأنا الخ، الثمل من أخذت منه الخمر . أى فأنا غير محتاج إلى شرابك . وكذا يقال فى قوله : شبعان من الطعام . (١٢) وهو أخصب الخ، أى أوسعهم ثروة . (١٣) (أغفى) : أنام نومة خفيفة . والإغفاءة مرة منه . (١٤) كان يمكن أن يستغنى عن (قال) هذه . (١٥) (إن أفهم)، إن نافية . (١٦) (ألطف النظر) : أنعم الفكر .

*
* *

وإنْ وجدتُم فى هـذا الكتاب لَحْنًا[1]، أو كلاما غيرَ مُعْرَب[2]، ولفظا مَعْدولا عن جهتـه، فاعلموا أنّا إنّمـا تركنا ذلك[3]، لأنّ الإعراب يُبَغِّضُ هذا الباب، ويُخرِجه من حَدِّه[4]. إلا أنْ أَحكِىَ كلاما مِن كلام مُتَعاقِلى البخلاء[5]، وأشِحَّاء العلماء، كَسَهْلِ بنِ هارونَ وأشباهه.

قِصّـــة أحمــد بن خَلَف[6]

ومن طِيابِ البُخلاء[7] أحمدُ بنُ خَلَفٍ اليَزِيدىّ.

ترك أبوه فى منزله يومَ مات أَلْفَىْ ألفِ درهم، وسِتَّمائة ألفِ دِرهم، وأربعين ومِائَةَ ألفِ دينارٍ. فاقتسمها هو وأخوه حاتِمٌ قبل دَفْنه. وأخذ أحمـدُ وحدَه ألفَ ألفٍ وثَلَثَمائةِ ألفِ دِرهم، وسبعين ألْفَ دينار، ذهبا عَيْنًا[8]، مَثاقِيلَ وازِنةً[9] جِيادًا، سِوَى العُرُوض[10].

فقلتُ له وقد وَرِثَ هذا المـال كلّه: ما أبطأَ بك الليلةَ[11]؟ قال لا والله، إلا أَنّى تعشيتُ البارحةَ فى البيت! فقلتُ لأصحابنا: لولا أنّه بعيد العَهْد بالأكل فى بيته[12]، وأنّ ذلك غريب منـه، لمـا احتاج إلى هذا الاستِثناء، وإلى هذه الشَّرِيطة[13]. وأيـن يتعشّى الناس إلا

(١) (أو كلاما غير معرب)، يظهر أنه يريد بغير المعرب هنا ما لا يجرى على أساليب الفصحاء. وهو قليل فى هذا الكتاب.
(٢) موضوعا فى غير موضعه. (٣) الإشارة إلى اللحن وما بعده. (٤) لأن الإعراب الخ، أى إن السمو فى البلاغة يذهب بروح القصة وينقلها من الجو الذى قيلت فيه، ويأتى على جمالها. (٥) فى اللسان: تعاقل: أظهـر أنه عاقل فهم، (بفتح فكسر) وليس بذاك اهـ (٦) رجعنا إلى ما لدينا من كتب التراجم، ومنها (تاريخ بغداد)، فلم نظفر لهذا الرجل بترجمة أو خبر. فرجحنا أن يكون من ظرفاء حلبة الجاحظ الذين لم تتناقل أخبارهم.
(٧) جمع طيب. (٨) يراد بالعين هنا المنقود، أى المقبوض. يقال: اشتريت بالدين أو بالعين؟
(٩) المثقال وزنه درهم وثلاثة أسـباع درهم. ووزن (بفتحتين) الشىء: ثقل. ومعنى كون المثاقيل وازنة، أنها بالغة حدّها من الوزن، فلا نقص فيها. (١٠) قال فى المصباح: العروض الأمتعة التى لا يدخلها كيل ولا وزن، ولا تكون حيوانا ولا عقارا اهـ. والمفرد عرض (بفتح فسكون). (١١) لعل هنا كلمة محذوفة. والمراد: ما أبطأ بك الليلة البارحة؟ (١٢) لا والله الخ، أى لم أكن لأبطئ والله، إلا لأنى الخ.
(١٣) الشريطة: الشرط. والشريطة هنا فى معنى الاستثناء، فهو عطف مرادف.

فى منازلهم ؟ وإنّما يقول الرجل عند مثلِ هــذه المسألة : لا والله ، إلا أنّ فلانا حَبَسَنِى ، ولا والله ، إلا أنّ فلانا عَزَمَ علىّ . فأمّا ما يُسْتَثْنَى ويُشْترط ، فهــذا ما لا يكون إلا على ما ذكرناه قبْلُ .

وقال لى مُبْتَدِئا مرّة عن غير مَشُورة ، وعن غير سببٍ جَرَى : أُنظر أَنْ تتخذ إِمِيــائك فى الشّتاء من هذه المُثلَّثة ، فإنّها عظيمة البركة ، كثيرة النّزَل . وهى تَنُوب عن الغَدَاء . ولها نَفْخَة تُغنِى عن العَشاء . وكلُّ شيءٍ من الأحساء ، فهو يغنى عن طَلَب النّبِيذ وشُرْب المــاء . ومن تَحَسَّى الحارّ عَرِق . والعــرَق يُبيِّض الجلْد ، ويَخْرُجُ من الجَوْف . وهى تملأُ النَّفْسَ ، وتمنع من التّشهّى . وهى أيضا تُدْفِئُ ، فتقومُ لك فى أَجْوافهم مَقام فَحْمِ الكانُونِ من خارج . وحَشْوٌ طارٍ يغنى عن الوَقُود ، وعن لُبْس الحَشْو .

والوَقُود يُسَوِّد كلّ شيءٍ ويُيبِّســه . وهو سريع فى الهَضْم ، وصاحبــه مُعَرَّض للحَرِيق ، ويذهب فى ثمنه المــالُ العظيم . وشرّ شيءٍ فيه أنّ من تعوّده لم يُدْفئه شيء سِواه .

(١) استفهام إنكارى . (٢) أى أبقانى عنده للأكل . (٣) (عن غير مشورة) : من غير أن أستشيره . (٤) شراب خاص . قال فى اللسان : والمثلث من الشراب الذى طبخ حتى ذهب ثلثاه اهـ . فلعله يقال بالتأنيث أيضا . وربما كانت المثلثة هنا نوعا آخر من الحساء غير هذا . (٥) قال فى المصباح : وطعام كثير النزل ، وزان سبب ، أى البركة اهـ . (٦) نفخة : امتلاء . (٧) جمع حساء (بفتح الحاء) : لما نسميه نحن الآن (الشوربة) ، بشيء من التوسع . وتعريفه ، كما فى اللسان : طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن . وقد يحلى . ويكون رقيقا يحسى اهـ . وكان أحمد بن خلف يقول : إن المثلثة ما هى إلا حساء . وكل شيء من الأحساء الخ . (٨) التحسى الشرب فى مهلة . (٩) هكذا فى النسخ . وربما كان (يبيض) محرفا عن يبض ، مضارع أبض ، أى يجعل الجلد ناعما رخصا ، بدليل قوله فيما يلى : (وييبسه) . (١٠) أى فهو من الفضلات الضارة ، فخروجه مفيد للجسم . (١١) الضمير عائد إلى المثلثة . ومعنى ملئها للنفس أنها تشبعها ، فتصدّها عن طلب الأكل . والكلام على المجاز . والمراد بالنفس هنا البدن . وهو أحد معانيها اللغوية . (١٢) الضمير يعود إلى العيال . (١٣) (طار) : متجدّد ، كما فى اللسان . (١٤) المراد بالحشو الأكسية المحشوّة بالقطن ونحوه . سميت بذلك على لفظ المصدر ، كما فى اللسان عن ابن سيده . (١٥) سوّد الشيء : جعله أسود . ويبسه : جففه . (١٦) (وهو) ، أى الوقود ، سريع فى الهضم ، أى التفتت والانحلال ، كما يهضم الطعام . فالكلام على المجاز .

فعليك يا أبا عثمانَ بالمَنَّة ! واعلم أنّها لا تكون إلا فى منازل المَشْيَخَة (١) وأصحابِ التَّجرِبة . فخذها من حكيم مُجَرَّب ، ومن ناصح مُشْفِق .

وكان لا يُفارِق منازلَ إخوانه . و إخوانُه مخاصيبُ (٢) مناويبُ (٣) ، أصحابُ نَفْح (٤) وتَرَف (٥) . وكانوا يُتْحِفُونه ويُدَلِّلونه ، ويُفَكِّهونه ويُحَكِّمونه . ولم يَشُكُّوا (٦) أنّه سيدعوهم مرّةً ، وأن يجعلوا بيتَه نُزْهة ونَشْوة (٧) . فلمّا طال تَغافُلُه ، وطالت مُدافعتُه (٨) ، وعَرَّضوا (٩) له بذلك فتغافلَ ، صَرَّحوا له .

فلمّا امتنع قالوا : اجعلها دعوةً ليس لها أُخت .

فلمّا بَلَغَ منه ومنهم المَجْهُودُ (١٠) ، اتّخذ لهم طُعَيِّمًا خَفِيفا ، شَهِيًّا مَلِيحا ، لا ثَمَنَ له ولا مُؤْنةَ فيه . فلمّا أكلوا وغسلوا أَيْدِيَهم ، أقبلَ عليهم فقال : أسألكم بالله الذى لا شىءَ أعظم منه (١١) ، أنا الساعةَ أَيْسَرُ وأغنى ، أو قبل أن تأكلوا طعامى ؟ قالوا : ما نَشُكُّ (١٢) أنّك حينَ كنتَ والطعامُ فى مِلْكِك ، أغنى وأَيْسَرُ . قال : فأنا الساعةَ أَقْرب إلى الفقر ، أم تلك الساعةَ ؟ قالوا : بل أنت الساعةَ أقربُ

---

(١) من جموع الشيخ . (٢) قال فى الأساس : فلان خصيب الرحل : كثير خير المنزل . وعن الحسن : كانوا فى الرحال مخاصيب اه (٣) يريد : يتناوبون و يتطاعمون ، أى يكون على كل واحد منهم نوبة ، أى طعام يوم اه المعنى ملخصا من اللسان . أما مفرد مخاصيب ومناويب فلم نقع عليهما .

(٤) يقال : نفحه بالمال نفحا : أعطاه . كذا فى المصباح . (٥) تنعم .

(٦) وكانوا يتحفونه الخ ، التحفة ما أتحفت به من البر ، أى كانوا يكرمونه بالعطايا . و(يدللونه) : يفسحون له فى الانبساط والإيناس ، حتى يحس فى نفسه أنه ذو منزلة عندهم ومكانة فى نفوسهم — و (يفكهونه) ، قال فى اللسان : وفكههم بملح (بضم الميم وفتح اللام ، جمع ملحة ، بضم فسكون) الكلام : أطرفهم اه . يعنى أنهم كانوا يؤنسونه بملح الحديث وطيب الكلام . و(يحكمونه) : يجعلون له الحكم فيما يشتهى منهم .

(٧) مصدر نشى (بفتح فكسر) الرجل من الشراب ، أى سكر . ونون (نشوة) مثلثة . ومعنى أن يجعلوا بيته نزهة ونشوة ، أن يكون محل نزهتهم وأنسهم . (٨) مما طله . (٩) التعريض ضد التصريح .

(١٠) الوسع والطاقة . (١١) أسألكم بالله الخ ، أى أستحلفكم به . وقوله : (أنا الساعة الخ) ، استفهام محذوف الأداة . وكذا قوله : فأنا الساعة الخ . (١٢) ما نشك الخ ، (كنت) تامة . والواو للحال .

إلى الفقر . قال : فَمَنْ يلومني على ترك دَعْوَةِ قوم قَرَّبونى من الفقر ، وباعَدُونى مِن الغِنى ، وكلَّما دعوتُهم (١) أكثرَ كنتُ من الفقرِ أقربَ ، ومن الغِنى أبعدَ ؟

وفى قِياســه (٢) هذا أنّ مِن رأيه أن يَهْجُرَ كلَّ من استسقاه شَرْبَةَ ماء، أو تناول من حائطه لَبِنَةً، ومن خليط (٣) دابّته عودا .

ومَرَّ بأصحاب الجِــداء (٤) ، وذلك فى زمان التّوليد (٥) . فأطعمه الزّمانُ فى الرُّخص (٦)، وتحرّكت شهوتُه (٧) على قَدْرِ إمكانه عِنده. فبعث غلاما له يقال له تَقِف؛ وهو معروف (٨)، ليشترىَ له جَدْيا . فوقف (٩) غيرَ بعيد . فلم يلبثْ أَنْ رجع الغلامُ يُحْضِرُ (١٠)، وهو يُشير (١١) بيده، و يومِئُ برأسه : أَنِ (١٢) اذهبْ ولا تقِف . فلم يَبْرح (١٣) . فلمّا دنا منه قال : وَيْلَكَ، تهزأ بِي كأنّى مطلوب (١٤) ! قال (١٥) : هذا أَطْرَفُه (١٦) ! الجَدْىُ بعَشَرة ! أنت مِن ذِي البَـابَةِ (١٧) ؟ مُرَّ الآن ، مُرَّ مُرَّ !

فإذا غلامُه يرى أنّ مِن المُنْكَرِ أَنْ يُشْتَرى جَدْىٌ بعَشَرةِ دراهِم ! والجَــدْىُ بعشرةٍ

(١) الشرط والجواب فى موضع الصفة ، عطفا على الصفة الأولى ، وهى جملة (قربونى الخ) ، أى : وفى ترك دعوة قوم كلما دعوتهم الخ . (٢) أى قياس أحمد بن خلف . والمراد بقياسه عقليته واتجاه تفكيره .

(٣) علف دابته . وسمى خليطا لأنه يخلط من صنفين أو صنوف . وفى نسخة : (تبنة) بدل (عودا) .

(٤) جمع جدى . ويجمع أيضا على أجد (بفتح فسكون)، للقلة . (٥) أى توليد المواعز (جمع ماعزة).

(٦) أطمعه الخ ، أى لصغر الجداء، وكثرتها . (٧) الضمير فى (شهوته) عائد إلى الرخص . أى إنه اشتهى هذا الرخص على قدر أنه ممكن عنده . أما الرخص غير الممكن فلا تحرك نفسه له . فكأن الرخص عنده درجات .

(٨) يظهر أنه كان معروفا بالبخل ، أو بالحرص ، أو بالتدنيق فى الشراء . (٩) الضمير فى (وقف) يرجع إلى أحمد بن خلف . (١٠) أحضر : أسرع فى سيره . (١١) يشير . (١٢) أن تفسيرية ، وهى ما سبقها معنى القول دون حروفه . (١٣) الضمير فى (يبرح) يعود إلى أحمد بن خلف ، أى لم يترك مكانه . والضمير فى (دنا) يعود إلى الغلام . والضمير فى (قال) يعود إلى أحمد بن خلف . (١٤) أى كأن الحاكم يطلبنى لذنب اقترفته . (١٥) أى الغلام . (١٦) طرف (بفتح فضم) الشىء، فهو طريف : جديد مستملح . أى إن الغلام يتعجب من عدم فهم سيده لإشارته . كأنه يقول له : إن عدم فهمك لهــذه الإشارة أملح ما فى الموضوع .

(١٧) (أنت من ذى البابة) ، استفهام يراد منه التعجب . والبابة : الوجه . يقال : هذا شىء من بابتك ، أى يصلح لك ، كما فى اللسان . كأنه يقول له : لست ممن يشترون الجدى بعشرة دراهم . فمرّ الآن ، واترك الشراء .

إنّما يُنْكَرُ عندنا بالبَصْرة، لكثرة الخيْر[١]، ورُخْص السِّعر. فأمّا في العساكر، فإن أنكر ذلك مُنكِر، فإنّما يُنْكِره مِنْ طريق رُخصه، وقلّة ثمنه[٢]، لا لغيرِ ذلك.

* * *

ولا تقولوا الآن: قد والله أساء أبو عثمانَ إلى صديقه[٣]، بل ما تناوله بالسُّوء حتّى بدأ بنفسه[٤]. ومَنْ كانت هذه صِفَته، وهذا مَذهبه[٥]، فغيرُ مأمونٍ على جَلِيسه. وأيُّ الرجال المُهَذَّبُ؟[٦] هذا والله الشَّيُوعُ والتَّبوع، والبَذَاء وقِلّة الوفاء[٧].

اعلموا أنّى لم ألتمس بهذه الأحاديث عنه إلا موافقَتَه[٨]، وطلبَ رِضاه ومحبّته. ولقد خفتُ أن أكونَ عند كثيرٍ من الناس دَسِيسًا من قِبَله، وكَمِينًا من كُمَنائه[٩]. وذلك أنّ أحبّ

(١) (لكثرة الخير)، أي فإذا كثر الخير وعم الخصب رخصت الأسعار، فيستغرب أن يباع الجدى بعشرة دراهم، لأنه في مثل البصرة يكون بالعشرة غاليا. (٢) فأما في العساكر الخ، العساكر جمع عسكر، وهو الكثير من كل شيء. يقال: عسكر من رجال وخيل الخ. والعسكر أيضا مجتمع الجيش. ويظهر أنه يريد (بالعساكر) البلاد الكبيرة المزدحمة بالسكان كبغداد، لارتفاع الأثمان فيها. فقد جاء في شرح القاموس: يقولون: شهدت العسكرين. قالوا: العسكران عرفة ومنى، كأنه لتجمع الناس فيهما اهـ فإذا بيع في بغداد جدى بعشرة دراهم عدّ رخيصا. فإنكار غلام أحمد ابن خلف ثمن الجدى إنما هو من قبيل البخل، لا من أن ثمن الجدى غال في الواقع. (٣) أحمد بن خلف.

(٤) بل ما تناوله الخ، أي إن الإنسان مرآة صديقه، ينطبع فيه ما في صديقه من صفات. فإذا ذمّ المرء صديقه فإنما هو في الحقيقة يذم نفسه. (٥) ومن كانت الخ، أي ومن كان دأبه ذمّ الأصدقاء فغير الخ.

(٦) (وأيّ الرجال المهذب)، من الأقوال الحكيمة الجارية مجرى المثل. يعني أن الانسان معرض لأن يزل ويخطئ. وليس في الوجود رجل كامل التهذيب، إلا من عصمهم الله. أي فأحمد بن خلف من البشر وهو عرضة لأن يزل. (٧) هذا والله الخ، الإشارة إلى ما صدر عن أبي عثمان الجاحظ من الكلام في حق صديقه أحمد بن خلف. وقوله: هذا الخ، من تتمة مقول القول. و(الشيوع) ما أوقدت به النار، كما في اللسان. وفيه: شيع (بتشديد الياء مفتوحة) الرجل بالنار: أحرقه اهـ. أي كأن هذه الأحاديث تحرق المتحدث عنه. و(التبوع) مصدر تبعت الشيء تبوعا: سرت في أثره. والمراد استقصاء حال الشخص والبحث عن أسراره ثم إفشاؤها. و(البذاء): الفحش. ويجوز أن يكون (الشيوع) محرفا عن الشنوع، بضم الشين، وهو القبح. (٨) اعلموا الخ، هذا دفاع الجاحظ عن نفسه. يعني أني لم أبغ من وراء هذه الأحاديث إلا كونها موافقة لهواه، لأنه يحب أن تشاع عنه. وهو يرضى عمن يشيعونها ويحبهم. (٩) ولقد خفت الخ، الدسيس: من تدسه ليأتيك بالأخبار. وهو الجاسوس. والكمين: الداخل في الأمر لا يفطن (بالبناء للمفعول) له. يقول: لقد خشيت أن يظنني كثير من الناس مرسلا من قبله لأستطلع ما يقال عنه، وأروي نوادره في البخل، (وذلك أن أحب الخ).

الأصحـاب إليه أَبْلَغُهُمْ قولا فى إياس الناس مِمَّـا قِبَلَه (١) ، وأَجْوَدُهم حَسْماً لأسـبابِ الطمع فى ماله .

على أنّى إن أحسنتُ بِجُهْدِى، فسيجعلِ شُكْرِى مَوْقُوفا (٢) . و إنْ جَاوَزَ كتابى هذا حُدُود العِراق شَكَرَ ، و إلا أَمْسَكَ . لأنّ شُهْرَتَه بالقبيح عنـد نفسه فى هـذا الإقليم، قد أَغْنَتْه عن التَّنويه والتَّنْبِيه على مَذْهبه (٣) . وكيف (٤) وهو يرى أن سَهْلَ بنَ هارونَ و إسماعيلَ بنَ غَزْوانَ كانا من المُسْرِفين، وأن الثَّوْرِىَّ والكِنْدِىَّ يستوجبان الحَجْرَ (٥) .

وبلغنى أنّه قال : لو لم تَعرِفُوا مِن كَرامة الملائكة على الله إلا أنَّه لم يَبْتَلِهِمْ بالنَّفقة ، ولا بِقَوْلِ العِيال : هاتِ، لعرفتم حالَهم ومنزلتهم (٦) .

* * *

وحدَّثنى صاحبٌ لى قال : دخلتُ على فلانِ بنِ فلانٍ، و إذا المـائدةُ موضوعة بَعْدُ (٧) ، و إذا القومُ قد أكلوا ورفعوا أيديَهم . فمددتُ يدى لآكُل، فقال : أَجْهِز على الجَرْحَى (٨) ، ولا تتعرّض للأَصِحّاء! يقول : اِعْرِضْ للدَّجاجة التى قد نِيلَ منها، وللفَرْخ المنزوع الفَخِذِ . فأمّا الصحيحُ فلا تتعرّض له . وكذلك الرغيفُ الذى قد نِيلَ منه (٩) ، وأصابه بعضُ المَرَق .

---

(١) الإياس مصـدر أيس (بفتح فكسر) منه ، أى قنط . و (قبله) : عنده . وهو ظرف مكان صلة الموصول . فقوله : (فى إياس الناس) ، أى فى أن يكون الناس يائسين قانطين من ماله . (٢) على أنى الخ ، سبق الكلام فى (على أن) فى مثل هـذا الموطن . ويجوز أن تكون (على) هنا بمعنى (مع) . و(أحسنت بجهدى) : أجدت فى بث نوادره فى البخل بما فىّ من طاقة . و(موقوفا) : محبوسا ممنوعا ، أى لا يبوح لى بشكر .

(٣) لأن شهرته الخ ، (القبيح) : البخل . و(عند نفسه) : فى نظره هو وفى رأيه . و(عند) متعلق (بشهرته) ، لا (بالقبيح) . وقوله : (قد أغنتـه الخ)، أى فهو غير محتاج إلى تنويه وتنبيه فى إقليم العـراق . والمراد التعريف والإذاعة . (٤) (وكيف)، أى وكيف لا يكون ذائع الصيت فى العراق وهو يرى الخ . (٥) حجر عليه يحجر (كنصر ينصر) : منعه التصرف فى ماله . (٦) (حالهم ومنزلتهم)، أى عند الله من الكرامة . (٧) (بعد)، أى بعد الفراغ من الأكل، لم ترفع . (٨) قال فى المصباح : وجهزت على الجـريح (من باب نفع) ، وأجهزت إجهازا ، إذا أتممت عليه وأسرعت قتله اهـ والكلام على المجاز . (٩) شىء من مرق الطعام السابق .

وقال لى هذا الرجلُ[١] : أكلنا عنده يوما، وأبُوه حاضر، وبُنَىٌّ له[٢] يجىء ويذهب . فاختلف مِرارا . كلُّ ذلك يرانا نأكل[٣] . فقال الصبىُّ : كَمْ تأكلون؟ لا أطعم الله بطونكم! فقال أبوه، وهو جَدُّ الصبىّ : ابنى وربِّ الكَعْبة !

* * *

وحدّثنى صاحبُ مَسْلَحَةِ بابِ الكَرْخِ[٤]، قال: قال لى صاحب الحَمّام : ألا أُعْجِبُك من صالح ابن عفّان[٥] ؟ كان يجىء كلَّ سَحَرٍ[٦]، فيدخل الحَمّام . فإذا غبتُ عن إجّانة النُّورةِ[٧] مسح أرْفَاغَه[٨] . ثم يتستَّر بالمئْزر . ثم يقوم فيغسله فى غمار الناس . ثم يجىء بَعْدُ فى مِثل تلك الساعةِ، فيَطّلِى ساقيه و بعضَ فَخِذَيْه . ثم يجلس و يتّزِر بالمئْزَر . فإذا وجدَ غَفْلَةً[٩] غسله . ثم يعود فى مِثل ذلك الوقتِ، فيمسح قِطعة أخرى من جَسَدِه . فلا يزال يَطَّلِى فى كل سَحَرٍ[١٠]، حتى ذهب مِنِّى بِطَلْيَة .

قال : ولقد رأيتُه و إنَّ فى زِيق سَراوِيله نُورَةً[١١] .

وكان لا يرى الطبخَ فى القُدُورِ الشامِيّة، ولا تبريدَ الماءِ فى الجِرار المَذَارِيّة[١٢]؛ لأن هذه تَرْشَح، وتلك تَنْشَف[١٣] .

---

(١) هو الذى عبر عنه من قيل بقوله : (صاحب لى) . (٢) الضمير (فى أبوه) يرجع إلى (فلان بن فلان) . وكذا الضمير فى (له) وفى (أبوه) فيما يلى . (٣) فاختلف الخ، (فاختلف)، أى الصبى . والاختلاف إلى الشىء : الذهاب إليه مرة بعد مرة . وقوله : (كل ذلك يرانا نأكل)، هكذا فى النسخ . أى : كل ذلك حاصل والصبىّ يرانا نأكل . و يظهر لنا أن العبارة كانت هكذا : كل ذلك وهو يرانا نأكل . فسقط من النسخ : (وهو) . (٤) (مسلحة باب الكرخ)، فى الأساس : وفى موضع كذا مسلحة ومسالح . وهم قوم وكلوا برصد، معهم السلاح اهـ . وهو (كنقطة البوليس)، لعهدنا فى مصر . والكرخ محلة ببغداد . ونرجح أن (باب الكرخ) حىّ فى هذه المحلة . (٥) (أعجبك من صالح بن عفان) : أجعلك تعجب من أمره . (٦) السحر : الوقت قبل الصبح . (٧) إجانة النورة : وعاؤها . والنورة ذلك الذى يوضع على الشعر فينتزعه . (٨) مسح أرفاغه، أى بالنورة . والرفغ (بفتح فسكون) — وتضم الراء أيضا — أصل الفخذ من باطن، وأصل الإبط . (٩) غفلة، أى منى . (١٠) فلا يزال الخ، (يطلى)، أى بما فى تلك الإجانة من النورة . وقوله : (حتى ذهب منى بطلية)، أى حتى استوفى من النورة مقدار طلية كاملة بلا ثمن . (١١) و إن الخ، الواو للحال . وزيق السراويل ما أحاط به من أعلاه . والسراويل مفرد جاء على صيغة الجمع، على الأرجح . (١٢) المذارية، نسبة إلى المذار (بفتحتين) : بلد بين واسط والبصرة . (١٣) مفعول تنشف محذوف، أى تشرب ما يكون فيها من دسم، أى وفى هذا خسارة .

حدثنى أبو الجَهْجاه النُّوشَرْوانِىّ[1]، قال: حدثنى أبو الأحْوَص الشاعر، قال: كنّا نُفْطِر عند الباسِيانىّ[2]. فكان يرفع يديه قبلنا، ويستلقِى على فِراشه، ويقول: « إنّما نُطْعِمكم لوجهِ الله لا نُريد مِنكم جَزَاءً ولا شُكُورا »[3].

حديث خالد بن يزيد[4]

٥

وهذا خالدُ بنُ يزيدَ مَوْلَى المَهَالِبة[5]. هو خَالَوَيْهِ المُكْدِى[6]. وكان قد بلَغ فى البخل والتَّكْدِية[7]، وفى كَثْرة المال، المَبالِغَ التى لم يَبْلُغها أحد.

وكان ينزل فى شِقّ بنى تَمِيم[8] فلم يَعْرِفُوه. فوقف عليه ذاتَ يوم سائلٌ، وهو فى مجْلس من مجالسهم. فأدخلَ يده فى الكِيس لِيُخرِج فَلْسًا، وفُلُوس البَصْرةِ كِبار. فغلِطَ بِدِرهم بَغْلىّ. فلم يَفْطَنْ[9]، حتى وضَعَه فى يد السائل. فلما فَطِنَ استردّه وأعطاه الفَلْس. فقيل له: هذا لا نظنّه يَحِلّ[10]. وهو بَعْدُ قبيح[11]! قال: قبيحٌ عند مَنْ؟ إنى لم أجمع هذا المالَ بعقولكم،

١٠

(١) هو أبو الأحوص الرياحىّ. روى له الجاحظ فى (البيان والتبيين). (٢) نسبة إلى باسيان (بكسر السين)، بلد بخوزستان (بضم الخاء وكسر الذال). قاموس. (٣) اقتبس الآية الكريمة من (سورة الدهر). (٤) لم نجد لهذا الرجل ذكرا فى مراجعنا، على غرابة ما رواه له الجاحظ فى هذا الباب. فرجل كهذا حرى أن يتداوله أهل عصره بالتعريف والبيان والنقد. (٥) (مولى المهالبة): المنتسب إلى قبيلتهم بالولاء. والمهالبة بنو المهلب بن أبى صفرة الأزدىّ الفارس الشاعر الأمير اهـ من القاموس وشرحه.

١٥

(٦) قال فى القاموس: وأكدى: بخل أو قل خيره أو قلل عطاءه، ككدى كرمى اهـ. والمراد هنا الذى يطوف بالأغنياء والعظماء فيستجديهم. فقد جاء فى شرح القاموس: وأكدى ألحّ فى المسألة اهـ. وفيه أيضا: والكدية بالضم حرفة السائل الملح اهـ. (٧) لم نقف على (كدّى) بالمعنى السابق فيما لدينا من المراجع.

(٨) (فى شق بنى تميم): فى ناحيتهم أو فى جانبهم. (٩) فطن للأمر يفطن (كعلم يعلم)، وفطن يفطن (كنصر ينصر)، فطنا (مثلثة الفاء)، وفطانة (بفتح الفاء)، فهو فطن. والجمع فطن (بضمتين). أما الدرهم البغلى، فقد ذكر الدميرى ضربا من النقود يقال لها البغلية. قال: إن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسكة كسروية. (١٠) الإشارة إلى إعطاء الدرهم ثم استرداده. (١١) أى بعد الحكم بحرمته.

٢٠

فأُفَرِّقه بعقولكم ! ليس هذا من مساكين الدّراهم . هذا من مساكين الفُلُوس ! والله ما أعرفه إلا بالفِراسَة[١] .

قالوا : وإنّك لَتَعْرف المُكْدِين ؟ قال : وكيف لا أعرفهم ! لم يبق فى الأرض مخطرانىٌّ[٢] ، ولا مُسْتَعرِض الأَقْفِية[٣] ، ولا شَحّاذ[٤] ولا كاغانىّ[٥] ، ولا بانوان[٦] ، ولا قَرسِىّ[٧] ولا عَوّاء[٨] ، ولا مُشَعِّب[٩] ، ولا مَزِيدِىّ[١٠] ، ولا إسْطِيل ، إلا وقد كان تحت يَدِى . ولقد أكلتُ الزَّكورىّ[١١] ثلاثين سنة . ولم يبق فى الأرض كَعْبِىّ[١٢] ولا مُكْدٍ[١٣] إلا وقد أخذتُ العِرافةَ[١٤] عليه .

وإنّما أراد بهذا أن يُؤْيِسهم[١٥] مِن ماله ، حينَ عَرَف حِرْصَهم وجَشَعَهم وسُوءَ جِوارهم .

---

(١) الفراسة تعرف الشىء بالظن الصائب . وهو يتفرّس : يتثبت وينظر . تقول منه : رجل فارس النظر .

(٢) (مخطرانى) ، إلى قوله : (العرافة عليه) ، قد فسر الجاحظ ما اشتملت عليه هذه القطعة من الألفاظ فيما بعد . فلا نتعرّض نحن لتفسيرها . وإنما نتعرّض لها من حيث اللفظ ، ومن حيث وروده فى الفصيح ، أو عدم وروده . وهذه ألفاظ كانت شائعة فى العصر العباسى . فنها العربى ومنها الدخيل . ولم نجد لفظ (المخطرانى) هذا فيما لدينا من المراجع ، ولم نقف له على ضبط . فلذا آثرنا أن نتركه غير مضبوط .

(٣) مستعرض الأقفية ، الأقفية جمع قفا . وفى التاج : واستعرضته : قلت له : اعرض علىّ ما عندك اه . فكأن هذا الرجل ينظر إلى أقفية الناس ، والمراد ظهورهم ، وهم ماشون ، ليتعرّف حالهم من ملبسهم وزيهم . ثم يفعل ما شرحه الجاحظ فيما يلى .

(٤) كلمة فارسية ، كما يظهر لنا .

(٥) كلمة فارسية ، كما يأتى . ولم نقف فى مراجعنا على ضبط لها . وفى (اليتيمة) : (والبابوان) .

(٦) يظهر أنه منسوب إلى (القرس بفتحتين) مصدر قرست (بفتح فكسر) أصابعه من البرد : أى يبست ، كما فى الأساس . فيكون فى الكلام شىء من التجوز ، لأن الذى (يعصب ساقه وذراعه عصبا شديدا) ، كما قال الجاحظ فى تفسيره ، ييبسهما ، على نحو ما يفعل البرد .

(٧) العوّاء صيغة مبالغة من عوى يعوى ، لأنه يرفع صوته بالسؤال ، كما يأتى فى تفسير الجاحظ . وشبه صوته بعواء الكلب لكراهة سماعه .

(٨) مشعب ، من شعبه يشعبه : أفسده ، كما فى اللسان . وهذا مطابق لتعريف الجاحظ له .

(٩) مزيدى ، نسبة إلى المزيد ، وهو الزيادة . والتسمية مطابقة لما شرحه الجاحظ .

(١٠) نرجح أن هذا اللفظ على وزن إفعيل ، لكثرة ما عرب على هذا الوزن . وهو غير عربى قطعا . ويظهر أنه رومى .

(١١) الزكورىّ ، هكذا فى النسخ . ولم نجده فى المراجع التى بين أيدينا بالمعنى الذى ذكره الجاحظ . فلعل اللفظ كان شائعا بهذا المعنى على ألسنة العامة فى العصر العباسى ، أو لعله منقول من الفارسية أو غيرها . وقد أبقيناه بلا ضبط ، حتى يحقق .

(١٢) نسبة ، كما ستراه فى تفسير الجاحظ .

(١٣) سبق تعريف المكدى . والمراد هنا السابق فى هذا الباب .

(١٤) قال فى المصباح : وعرفت على القوم أعرف ، من باب قتل ، عرافة بالكسر ، فأنا عارف ، أى مدبر أمرهم اه . والمراد بالعرافة هنا الرياسة فى الصنعة .

(١٥) (يؤيس) مضارع آيس ، على وزن أفعل .

وكان قاصًّا[1] متكلِّما، بليغا دَاهِيا[2] . وكان أبُو سليمان الأعور[3] وأبو سَـعِيد المدائنِيّ القاصّان من غِلمـــانه .

وهو الذى قال لابنه عِنـد موته : إنّى قد تركتُ لك ما تأكله إن حَفِظْتَه ، ومالا تأكله إن ضيّعته . ولَمَـا وَرَّثْتُك[4] من العُرْف الصالح ، وأَشْهَدْتُك[5] من صَوَاب التدبير ، وعوّدتك من عَيْش المُقْتَصِدِين، خيرٌ لك مِن هذا المـال . وقد دفعتُ إليـك آلة[6] لحفظ المـال عليك بكلّ حِيلة . ثم إنْ لم يكن لك مُعِين من نَفْسك، ما انتفعتَ بشىء من ذلك[7] . بل يعود ذلك النَّهيُ كلُّه إغراءً لك[8]، وذلك المنعُ تَهْجِينا[9] لِطَاعتك .

قـد بلغتُ فى البَرِّ مُنْقَطع التراب ، وفى البحر أَقْصَى مَبْلَغ السُّفنِ . فلا عليـك ألّا ترى ذَا القرنينِ[10] .

---

(١) القاص الذى يقص أخبار السابقين ويروى حوادثهم، للوعظ والإرشاد . وقـد يتضمن معنى الإكداء والاستجداء . (٢) سبق تعريفه . (٣) لم نقف لأبى سليمان الأعور على ذكر فى كتبنا . وأما أبو سعيد المدائنى فقد كان بخيلا، كما سيأتى فى هذا الكتاب . (٤) (ولمـا ورثتك) الخ، العرف : الرفق والإحسان . والصالح : العادل . و(ورثتك)، أى : إياه . (٥) أشهدتك : أريتك وأطلعتك . (٦) المراد بالآلة هنا ما عوّده إياه من الدهاء . (٧) ثم إن لم يكن الخ، يريد أن المعول عليه فى اجتناء هذه الثمرات إنمـا هو رغبة النفس وميلها . وهو كقول المتنبي :

إنمـا تنجـــح المقـالة فى المر * ء إذا صادفت هوى فى الفؤاد

(٨) بل يعود الخ ، يعنى أن نفسك إذا لم تقبل على ما وجهتك إليه ، صار النهى لها بمنزلة الإغراء والحض على ارتكاب المنهىّ عنه . وفى نسخة ليدن : (اعتزالا) بدل (إغراء) . (٩) وذلك المنع الخ، (تهجينا) : تقبيحا . يعنى أنك لو أطعت فى حال انصراف نفسك ، كان ذلك قبيحا بطاعتك . لأنهـا تكون إذا مغتصبة ، غير صريحة .

(١٠) فلا عليك الخ . أى فلا لوم عليك فى ألا ترى الخ . فأن وما بعـــدها فى تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف . ويشـــير بقوله : ألا ترى الخ ، إلى قصـــة ذى القرنين المذكورة فى القرآن الكريم . يعنى : أنا كاف عنه .

وَدَعْ عنك مذاهب ابنِ شرية [١]، فإنّه لا يعرف إلا ظاهرَ الخَبَر . ولو رآنى تميمٌ الدَّارِىّ [٢] لأخذ عنّى صِفَة الروم [٣] .

ولأَنا أَهْدَى من القطَا [٤]، ومن دُعَيْمِيص [٥]، ومِن رَافِعِ المِخَشّ [٦] .

إنّى قد بِتُّ بالقَفْر مع الغُول [٧]، وتزوجتُ السِّعْلاةَ [٨]، وجاوَبْتُ الهاتِف [٩]، ورُغْتُ عَنِ الجنّ إلى الجِنّ [١٠]، واصطدتُ الشِّقّ [١١]، وجاوبتُ النِّسْناس [١٢]، وصَحِبَنِى الرَّئِىّ [١٣] . وعرفتُ خُدَع [١٤] الكاهِن [١٥]،

(١) لم نقف لهذا الرجل على خبر فى كتبنا . ولم نفهم ما يقصد من مذاهبه . وفى نسخة : شربة .

(٢) أبو رقية، تميم بن أوس بن خارجة الدارى، صحابى. أسلم سنة ٩ هـ . وهو أول من أسرج السراج بالمسجد . وكان يسكن المدينة . ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان . وأقطعه النبى صلى الله عليه وسلم قرية عينون، من فلسطين .

(٣) (لأخذ عنى صفة الروم)، يقصد (بصفتهم) حالهم وما كانوا عليه من العلم . وذلك أن تميما فلسطينى . وقد ملك الروم فلسطين، وتركوا بها آثارا رائعة، كالتى فى بعلبك . فلا بدّ أنه تأمل فى هذه الآثار ودرسها، وعرف ما كانوا عليه من تمدين وعلم . يعنى أن تميما دونه علما بحال الروم . (٤) القطا ضرب من الحمام . الواحدة قطاة . وتجمع أيضا على قطوات وقطيات (بفتحتين فيهما) . وقوله : ولأنا أهدى من القطا، قال فى اللسان : ويقال فى المثل : إنه لأدل من قطاة، لأنها ترد الماء ليلا من الفلاة البعيدة اهـ . أى فتهدى الناس إلى مكان الماء . (٥) قال فى اللسان : ودعيميص الرمل اسم رجل كان داهيا، يضرب به المثل . يقال : هو دعيميص هذا الأمر . أى عالم به اهـ .

(٦) رافع بن عمير (بضم ففتح) . والمخش الماضى الجرىء . وخش الرجل : مضى ونفذ . وقد نعت بالمخش لجراءته . (٧) المراد بالغول هنا الحيوان الخرافى . وقد زعم بعض العرب أنهم رأوها . والجمع أغوال وغيلان . وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول . (٨) ضرب من الغيلان . وقيل : هى أخبث الغيلان . وقيل : هى الأنثى من الغيلان . والجمع السعالى (بفتح اللام)، والسعالى (بكسر اللام)، والسعليات (بكسر فسكون ففتح) .

(٩) فى اللسان : وسمعت هاتفا يهتف، إذا كنت تسمع الصوت ولا تبصر أحدا . يدّعى هذا الرجل أن صوتا لشىء غير منظور كلمه فأجابه . (١٠) ورغت الخ، راغ إلى كذا : مال إليه سرا وحاد . والجنّ بالكسر حى من الجن، (بزعمهم) . وقيل خلق بين الجن والإنس . مختار . (١١) حيوان خرافى كنصف الإنسان . (١٢) بفتح النون وكسرها . واختلفوا فى ماهيته . ومن الأقوال أنه دابة فى عداد الوحش . وقيل : خلق على صورة بنى آدم، أشبههم فى شىء، وخالفهم فى شىء . وقيل غير ذلك . ولا يبعد أنه نوع من القرود كالذى يعرف بالنسناس الآن . (١٣) الرئى جنى يتعرض للرجل يريه كهانة وطبا . يقال : مع فلان رئى . كذا فى اللسان . وهذا من الخرافات أيضا . (١٤) جمع خدعة (بضم فسكون)، لما يخدع به، كاللعبة، لما يلعب به . كذا فى المصباح . (١٥) هو عند العرب من يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان، و يدعى معرفة الأسرار .

وتدسيسَ العَرَّاف[1]، وإلامَ يذهبُ الخَطَّاطُ[2] والعَيَّاف[3]، وما يقول أصحابُ الأكْتَاف[4] . وعرفتُ التَّنْجيم[5]، والزَّجْر[6]، والطَّرْق[7]، والفِكْر[8] .

إنّ هذا المـال لم أجمعه من القَصَص[9] والتَّكْدِية[10]، ومن احتيال النَّهار، ومُكَابَدة الليل[11] .

ولا يُجمع مِثْلُه أبدًا إلا مِنْ مُعاناة رُكُوبِ البحر، ومن عمل السُّلْطان[12]، أو من كِيمياء[13] الذهب والفِضَّة .

قد عرفتُ الرأسَ[14] حق مَعْرفته، وفهمتُ كَسْرَ الإكْسير[15] على حقيقته . ٥

(١) قال فى اللسان : ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدّمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله . وهذا يخصونه باسم العراف ، كالذى يدعى معرفة الشئ المسروق ومكان الضالة ونحوهما اهـ . وتدسيس العراف : ما يأتيه من حيل ومكر . وهو مصدر دسس ، أى أخفى .

(٢) من يخط على أرض رخوة أو على الرمل ، لاستطلاع الغيب بزعمهم ، كما يفعل بعض جهـلة « المنجمين » عندنا الآن . (٣) العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها ، وهو من عادة العرب . وزجر الطير أن يرى طائرا أو غرابا فيتطير . وإن لم ير شيئا فقال بالحدس كان عيافة ، وقد عاف الطير يعيفه (كباع يبيع) اهـ من اللسان . ١٠

(٤) قال فى اللسان : والكتّاف الذى ينظر فى الأكتاف فيكهن (بتشـديد الهاء مكسورة) فيها اهـ . وعلى ذلك يكون أصحاب الأكتاف هم الكتّافين . وهم الذين ينظرون فى كتف الإنسان ، كما ينظرون الآن فى الكف ؟ . ومعـنى قوله : « وعرفت خدع الكاهن الخ » : عرفت أسرار هؤلاء وما يخـدعون به الناس من تضليلهم .

(٥) المنجم والمتنجم : الذى ينظر فى النجوم ، فيحسب سيرها ومواقيتها . (٦) الزجر أن تزجر طائرا أو ظبيا سانحا أو بارحا ، فتتطير منه ... وهو ضرب من التكهن ، كما سبق . تقول : زجرت أن يكون كذا وكذا اهـ من اللسان . (٧) الطرق : الضرب بالحصى . وهو ضرب من التكهن . والطرّاق : المتكهنون ، والطوارق : المتكهنات . وهو نحو ما يفعله بعض النسوة من « الغجر » الآن من الضرب بالودع . (٨) يحتمل أنه يريد بالفكر هنا طرق التفكير والنظر فى الأمور وكيفية الاستنباط والفراسة . (٩) من القصص : من التكسب به . والقصص : قص أخبار السالفين ، كما سبق . وهذه كانت سنة قديمة لكثيرين من جلة العلماء ، يجلسون فى المساجد للقصص ، فيعظون بأخبار الأمم السالفة وبالملح (بضم ففتح) والشعر . (١٠) سبق الكلام على هذه الكلمة . ١٥ ٢٠

(١١) (احتيال النهار)، الاحتيال فى النهار لطلب الرزق . و (مكابدة الليل) : مقاساة شدائده وأهواله بالسير والركوب فيه والتعرّض للأخطار . يقول : إن مالى الذى جمعته لم أجمعه بهذه الوسائل الهينة بالقياس إلى ما أقدمت عليه فى جمعه . وقد أوضح ذلك فيما بعد . (١٢) ومن عمل السلطان ، أى من ولاية عمل من أعمال السلطان .

(١٣) الكيمياء : الصـنعة التى كانوا يزعمون أنهم يحصلون بها على الذهب أو الفضة — وقال ابن سـيده : لا أدرى أهى فعلياء (بكسر فسكون) ، أم فيعلاء (بكسر الفاء والعين) ، كذا فى اللسان . (١٤) الرأس ، هو فى اصطلاح المشتغلين بالكيمياء القديمة : جزء يبرز من المعادن عند ذوبانها . ويظهر أن له عندهم ميزة وصفة خاصة . ٢٥

(١٥) الإكسير : الكيمياء . كذا فى القاموس . والمراد بكسره غلبته . يقال : كسرت خصمى ، أى غلبته . يعنى أنه عرف كيف يغلب هذا العلم الصعب . وقال فى شفاء الغليل : أهل الصناعة تسميه الحجر المكرم اهـ .

ولولا علمي بِضيق صَدْرك ، ولولا أنْ أكون سببا لِتَلَف نفسك ، لعلَّمْتُك الساعةَ الشيءَ الذي بَلَغَ بِقارُونَ[1] ، وبه تَبَنَّكَتْ خَاتونُ[2] .

واللهِ ما يَتَّسع صـدرُك عِندى لِسِرِّ صَـدِيق[3] ، فكيف مالا يَحْتَمِـله عَزْمٌ[4] ، ولا يَتَّسع له صَدْر ؟ وحَرْزُ سِرِّ الحديث ، وحَبْسُ كُنوزِ الجواهر ، أهْوَنُ من خَزْنِ العلم[5] .

ولو كنتَ عِندى مأمونا على نفسك لأجريتُ الأرواح فى الأجساد ، وأنت تُبْصِر ما كنت لا تفهمه بالوَصْف ، ولا تُحقِّقُـه بالذِّكْر[6] . ولكنِّى سألْقِي عليك عِلم الإدراك[7] ، وسَـبْكَ الرُّخام[8] ، وصنعةَ الفُسَيْفِساء[9] ، وأسرار السُّـيوف القَلَعِيَّة[10] ، وعقاقيرَ السيوفِ اليمَـانية[11] ، وعمل الفِرْعَوْنِى[12] ، وصَنْعَةَ التَّلطيف على وجهه[13] ، إن أقامنى الله مِنْ صَرْعَتِى[14] هذه .

---

(١) رجل كان من قوم موسى عليه السلام . وقد ذكرت قصته فى القرآن الكريم . و يضرب به المثل فى الغنى . و (بلغ بقارون) : أوصله إلى تلك الثروة العظيمة . (٢) تبنك فى عزه : تمكن . والخاتون العظيمة من نساء الترك أو الروم . .وقد يكون المراد بخاتون هنا ملكة بخارى . وقد حار بها زياد ابن أبيه . واستولى منها على هذه المدينة . والمراد بتلف نفسه هنا ما قد ينشأ بتعلم هـذا العلم من طغيانها وتمردها ، كما يظهر . (٣) ما يتسع الخ ، أى إن صدرك أضيق فى رأيى من أن يتسع لسر صديق . (٤) فكيف مالا الخ ، أى فكيف حال مالا الخ . والعزم هنا القوة . (٥) وحرز الخ ، الفعل أحرز ، لاحرز . وفى اللسان : قال ابن الأثير : ولعله لغة اهـ . أى وحفظ سر الحديث ... أهون من خزن العلم ، أى الاحتفاظ بأسراره . أى فإنى أخشى ألا تصون ما أستودعك من أسرار العلوم . أى فلذا أضن عليك بها . (٦) ولو كنت الخ ، غلو ممقوت . وكل كلام هذا الرجل لابنه (إن صح أنه قاله) ، يدل على خبل عقله فى مرض موته . وحق الأمر يحقه : تحققه وصار منه على يقين . (٧) لاندرى ماذا يقصد به . ولعله يريد « علم المنطق » الذى يعصم الفكر عن الخطأ . (٨) سبك الفضة وغيرها : أذابها وأفرغها فى قالب . ويحتمل أن يكون المراد بسبك الرخام هنا إذابة فتاته و إعادتها رخاما . كما يمكن أن يفهم منه تكوين رخام صناعى يستغنى به عن الطبيعى . (٩) قال فى اللسان : والفسيفساء ألوان تؤلف من الخرز توضع فى الحيطان ، يؤلف بعضه على بعض ، وتركب فى حيطان البيوت من داخل ، كأنه نقش مصور اهـ . (١٠) فى الحديث : سيوفنا قلعية . قال ابن الأثير : منسوبة إلى القلعـة ، بفتح القاف واللام ، وهى موضع بالبادية ، تنسب السيوف إليه اهـ من اللسان .

(١١) العقاقير : أصول الأدوية . واحدها عقار (بفتح العين وتشديد القاف) . والسيوف اليمانية مشهورة بالمضاء وكرامة المعدن . ونظن أن المراد بعقاقير السيوف اليمانية ما يضاف إلى معدنها ليكسبه تلك الخاصـة التى امتاز بها .

(١٢) ليس لدينا مانرجع إليه فى تفسير المراد من (الفرعونى) . وفى اللسان : (من الدروع الفرعونية) اهـ أى الجيدة ، فيما يظهر . وقد يكون المراد كل مادق صنعه . (١٣) يظهر أن المراد (بصنعة) التلطيف ، صنعة النقش والتزيين . والغالب أن كلمة « التلطيف » كانت شائعة بهذا المعنى فى الصناعة فى عصر الجاحظ . وقوله : (على وجهه) ، أى على وجهه الدقيق الصحيح . والضمير يعود للتلطيف . وفى مقدمة طبعة ليدن ما يفيد أن صنعة التلطيف عملية كيميائية . وفيها أيضا : أن الجاحظ ذكرها فى كتاب (الحيوان) من غير تفسير . (١٤) صرعتى : مرضى . وسمى المرض صرعة ، لأنه يطرح المريض على الأرض .

ولستُ أَرْضَاك (١) و إن كنتَ فوقَ البَنِين، ولا أثِق بك و إنْ كنت لاحِقًا بالآباء، لأنّى لم أبالِغ فى مَحبَّتك (٢).

إنّى قد لابَسْتُ (٣) السّلاطِين والمساكين، وخدمتُ الخُلَفاء والمُكْدِين، وخالطتُ النُّسَّاك والفُتَّاك، وعَمرْتُ (٤) السُّجون، كما عَمرْتُ مَجَالِس الذِّكْر (٥)، وحَلَبْتُ الدهْرَ أشْطُرَه (٦)، وصادفتُ دَهْرًا كثير الأعاجيب.

فلولا أنّى دخلتُ من كُلِّ باب، وجَرَيْتُ مع كلِّ رِيح، وعرفتُ السَّرَّاء والضَّرَّاء، حتى مَثّلتْ (٧) لى التّجاربُ عواقِبَ الأُمور، وقَرَّبَتْنِي (٨) من غَوامِض التّدْبير، لمـا أمْكنَنى جَمْعُ ما أُخَلِّفُه لك، ولا حِفْظُ ماحَبَسْتُه عليك. ولم أَحْمَدْ نفسى على جَمْعِـه، كما حَمِدْتُهـا على حِفْظه، لأنّ بعض هذا المـال لم أنله بالحَزْم والكَيْس (٩).

قد حفظتُه عليك من فِتْنَة الأبناء (١٠)، ومن فِتْنة النِّساء، ومن فِتْنة الثَّناء، ومن فِتْنة الرِّياء، ومن أَيْدِى الوُكَلاء، فإنّهُمُ الدَّاء العَيَاء (١١).

(١) (ولست أرضاك)، أى لسرى وثقتى. (و إن كنت فوق البنين)، أى فـوق أبنائى منزلة. و (لاحقا بالآباء)، أى لأنك كبير السن، كما يظهر. (٢) (لأنى لم أبالغ فى محبتك): لأنى لم أجاوز الحدّ فى تقدير محبتى إياك. وما أشعر به منها لايسوّغ لى أن أجعلك موضع سرى. (٣) لابست: خالطت. (٤) عمر المكان يعمره (من باب نصر): سكنه وأقام فيه. (٥) ذكر الله تعالى. وتشمل مجالس العلم أيضا. (٦) فى اللسان: وللناقة شطران: قادمان وآخران (بكسر الخاء). فكل خلفين شطر [الخلف (بكسر فسكون) من ذوات الخف كالثدى للإنسان]، الجمع أشطر ... وحلب فلان الدهر أشـطره، أى خبر ضروبه. يعنى أنه مر به خيره وشره، وشـدّته ورخاؤه، تشبيها بحلب جميع أخلاف الناقة، ما كان منها حفلا (بفتح فكسر) وغير حفل، ودارّا (بتشـديد الراء) وغير دار اهـ. (٧) قال فى اللسان: ومثل له الشيء: صوّره حتى كأنه ينظر إليه اهـ. (٨) وقربتنى الخ، الغامض من الأمر: المبهم. أى إن التجارب قرّبتنى من المسائل الغامضة فى تدبير الأمور، أى جعلتنى أفهمها وأحلها.

(٩) الكيس: الفطنة والعقل — يقول: إنى لم أحمد نفسى على جمع ماخلفته لك بقدر حمدى إياها على حفظه، وذلك لأنى لم أسلك فى جمع بعضه طريق الحكمة والحزم. (١٠) قد حفظته عليك الخ، يعنى أنى صنته ووقيته هذه الفتن جميعها. والفتنة المحنة والابتلاء. يعنى أنى ضننت أن يضيع فى سبيل افتتانى بالأبناء والنساء، والثناء والرياء: أى ثناء الناس على ومراءاتهم لى. (١١) ومن أيدى الخ، أى إنى صنته لك أيضا من هؤلاء، لأن الوكلاء مضيعون لمـال موكليهم. والخير فيهم قليل. والداء العياء: الصعب الذى لا دواء له، كأنه أعيا الأطباء.

ولستُ أوصيك بحفظه لِفَضْل حُبِّي لك[1]، ولكنْ لفضل بُغْضِي للقاضي[2]: إنّ الله — جَلَّ ذِكْرُه — لم يسلِّط القُضَاةَ على أموال الأولاد إلا عُقوبةً للأولاد؛ لأنَّ أباه إن كان غنيّا قادرا، أحبَّ أن يُرِيَه غِناه وقُدْرته[3]، وإن كان فقيرا عاجزا، أحبَّ أن يستريح من شَيْنِه[4]، ومن حَمْلِ مُؤْنته. وإن كان خارجا من الحالَيْن[5]، أحبَّ أن يستريح من مُدَاراته[6].

٥ فلا هُمْ شكروا مَنْ جَمَعَ لهم، وكَفَاهم[7] ووَقاهم[8] وغَرَسَهُمْ[9]، ولا هم صَبَرُوا على مَنْ أوجبَ اللهُ حَقَّه عليهم[10]. والحقُّ لا يُوصَفُ عاجِلُه بالحلاوة، كما لا يُوصَفُ عاجِلُ الباطِلِ بالمرارة[11]. فإنْ كنتَ مِنْهم فالقاضي لك[12]. وإن لم تكن منهم فالله لك[13].

فإن سلكتَ سبِيلِي، صار مالُ غيرك وديعةً عندك، وصرتَ الحافِظَ على غيرك. وإنْ خالفتَ سبيلِي، صار مالُك وديعةً عند غيرك، وصار غَيْرُكَ الحافِظَ عليك. وإنَّك يَوْمَ تطمع أن تُضِيعَ مالك ويَحْفَظَه غيرك[14]، لَجَشِعُ الطَّمع، مَخْذُولُ الأَمَل.

١٠

(١) (لفضل حبي لك): لعظم حبي. (٢) ولكن الخ، فيما يلي شيء من السيئات التي كان يأتيها بعض القضاة في ذلك الزمن. (٣) لأن أباه الخ، الضمير في (أباه) و(أحب) يعود إلى الولد المفهوم ضمنا. وفاعل (يريه) يعود إلى الأب. أي وذلك بالإنفاق عليه عن سعة. (٤) وإن كان فقيرا الخ، (شينه)، أي عيب فقر أبيه. و(حمل مؤنته)، أي تحمل تكاليف أبيه. (٥) وإن كان الخ، أي وإن كان الأب وسطا بين الفقر والغنى. (٦) فاعل (أحب) يعود إلى الولد، وكذا فاعل (يستريح). والضمير في (مداراته) يعود إلى الأب. والمداراة الملاطفة والملاينة.

١٥ يعني: إن كان الوالد متوسطا بين الحالين، تعب الولد في ملاطفته، ليبتز منه ما يقدر على ابتزازه من النفقة، فيتوق لأن يستريح من هذه الحال. (٧) (وكفاهم)، أي مؤنة السعي والكدّ في طلب العيش. (٨) ووقاهم، أي ذل الفاقة. (٩) أي كان سبب نعمة وجودهم في هذه الحياة، على المجاز. (١٠) ولاهم صبروا الخ، أي في الحالين الآخرتين. وحق الله على الأبناء طاعتهم لآبائهم، والإخلاص لهم في السراء والضراء. (١١) والحق

٢٠ لا يوصف الخ، يقول: إن في الصبر على اتباع الأبناء حق الله مع والديهم مرارة ومشقة في أول الأمر. ولكن عاقبته حلوة. بخلاف العكس. وهذه الكلمة بمنزلة المثل. (١٢) فإن كنت الخ، أي فإن كنت من هؤلاء الأولاد الذين لا يرعون حق الله لآبائهم، فلم تحفظ المال الذي خلفته لك ولم ترعه، فالقاضي لك، أي عدوّ لك ومسلط عليك، كما سيأتي. (١٣) فالله لك، أي راع لك. (١٤) وإنك يوم تطمع الخ، يراد بالطمع هنا الميل والانسياق. ومن معاني (الجشع) التخلق بالباطل، كما في اللسان: فمعنى (لجشع الطمع)؛ أن طمعك هذا مبطل، على المجاز.

احتـالَ الآباءُ فى حبْسِ الأموال على أولادهم بالوَقْف ، فاحتالتِ القُضَاةُ على أولادهم بالاسْتِحجارِ (١) . ما أسْرَعَهُمْ إلى إطلاق الحَجْـر (٢) ، و إلى إيناس الرُّشْد (٣) ، إذا أرادوا الشِّراء منهم ! وأبطأَهُمْ عنهم ، إذا أرادوا أن تكُونَ أموالُهم جائزةً لصَنائِعهم (٤) !

يابنَ الخَبِيثة ! إنَّك و إن كنتَ فوقَ أبناءِ هذا الزمان (٥) ، فإنّ الكفاية (٦) قد مَسَخَتْك (٧) ، ومعرفَتك بكثرة ما أخْلَفُ قد أفسدتك . و زاد فى ذلك أنْ كنتَ بِكْرِى (٨) وعَجْزة (٩) أُمِّك . ٥

أنا لو ذهب مَالى لجلستُ قاصًّا (١٠) ، أو طُفْتُ فى الآفاق — كما كنتُ — مُكْدِياً (١١) : اللِّحْيــةُ وافرةٌ بيضاء ، والحَلْقُ جَهِيرٌ (١٢) طَلٌّ ، والسَّمْتُ (١٣) حَسَنٌ ، والقَبولُ علىّ واقعٌ ! إن سألتُ عَيْنِى

---

(١) احتال الخ ، أى احتال بعض الأغنياء من الآباء فى حفظ أموالهم حتى لا تبدّد ، بوقفها على أولادهم . فلما رأى القضاة هذا ، سلكوا طريق الحجر على هؤلاء الأولاد ، ليبتزوا مال الوقف من طريق الأوصياء والقوام (بضم القاف وتشـديد الواو) من صنائعهم . وقد عدل عن (الحجر) ، وهى الكلمة المألوفة ، إلى (الاستحجار) التى لم نجدها بهذا المعنى فيما بين أيدينا من المراجع . (٢) إطلاق الحجر : فكه . (٣) و إلى إيناس الخ ، (إيناس) مصدر آنس ، بمعنى علم . أى : رؤية الصلاح فى الشخص . يعنى : ما أسرع هؤلاء القضاة إلى ترشيد هؤلاء السفهاء من الأبناء ، ورفع الحجر عنهم ، إذا أرادوا الخ . (٤) أى : وما أبطأ هؤلاء القضاة عن فك الحجر . وفاعل (أرادوا) يعود إلى القضاة . والضـمير فى (أموالهم) يعود إلى الأبناء . و (جائزة) : عطاء . والصنائع جمع صنيعة ، وهو المستخلص (بفتح اللام) للحبة والصداقة . والضمير فى (صنائعهم) يعود إلى القضـاة . يقول : إن هؤلاء القضـاة إذا أرادوا أن تكون أموال هؤلاء الأبنـاء نهبا لصنائعهم ، أبطـئوا فى تحرير هؤلاء الأبناء من الحجر ، ونصبوا صنـائعهم شركا لاصـطياد أموالهم . أى فالغنم للقضـاة وصنائعهـم على كل حال . (٥) فوق أبناء هذا الزمان ، أى علما ودراية وذكاء ، كما يفهم من المقام . (٦) أى كفايتك ، بمعنى كمال استعدادك واضطلاعك بأمرك . (٧) أفسدت نفسك بدل أن تصلحها . وفى نسخة ليدن : (محتك) ، أى اختبرتك وابتلتك وامتحنتك . و يظن بعض المستشرقين أنها (مجنتك) ، بتشديد الجيم مفتوحة . أى : جعلتك قليل الاستحياء . ومنه اشتق الماجن . والذى فى مراجعنا : مجن يمجن (كنصر ينصر) . وليس فيها تعديته بالتضعيف . (٨) البكر : أوّل الولد ، غلاما كان أو جارية . (٩) العجزة وابن العجزة : آخر ولد الشيخ . وعجزة الرجل آخر ولد يولد له . يقـال : فلان عجزة ولد أبو يه ، أى آخرهم . وكذا كبرة (بوزن عجزة) ولد أبو يه . والمذكر والمؤنث والجمع والواحد فى ذلك سواء . اهـ من اللسان . (١٠) سبق تفسيره فى هذه القصة . (١١) سبق شرحه فى مفتتح هذه القصة . (١٢) والحلق جهير ، أى ذو صوت جهير ، و (طل) : حسن . قال فى اللسان : وحديث طل ، أى حسن . (١٣) الهيئـــة .

الدمعَ أجابتْ[1] . والقليلُ من رحمة الناس خيرٌ من المال الكثير . وصِرتُ[2] مُحتالا بالنهار ، واستعملتُ صِناعة الليل[3] ؛ أو خرجتُ قاطعَ طريق ؛ أو صِرتُ للقوم عَيْنًا ولهم مِجْهرا[4] .

سَلْ عنّي صَعاليكَ[5] الجَبَل ، وزواقيلَ[6] الشام ، وزُطَّ[7] الآجام[8] ، ورُءوسَ الأكراد ، ومَرَدة[9] الأعراب ، وفُتّاكَ نَهر بَطّ[10] ، ولُصُوصَ القُفْص[11] !

٥ وَسَلْ عنّي القِيقانيّة[12] والقَطْرِية[13] . وسَلْ عنّي المُتَشَبِّهة[14] ، وذبّاحي الجزيرة : كيف بَطْشي ساعةَ البَطْش ، وكيفَ حِيلَتِي ساعةَ الحِيلة ، وكيف أنا عند الجَوْلَة[15] ، وكيف ثَبَاتُ جَنانِي

---

(١) إن سألت الخ ، أى إن احتجت فى بعض المواطن إلى الدمع لاستدرار عطف الناس علىّ أجابتنى عيناى . وفى الكلام مجاز . (٢) معطوف على (طفت) . (٣) صناعة الليل : السرقة .

(٤) العين : الجاسوس ، مجازا . والمجهر هنا اسم آلة من جهرت الشىء إذا كشفته . يعنى أنه يكون آلة يكشف بها

١٠ القوم الأسرار . ويظهر أن المراد بالقوم جماعة اللصوص أو قطاع الطرق . فأنت قد رأيت أن المجهر والجاسوس سواء .

(٥) جمع صعلوك ، وهو الفقير الذى لا مال له ولا اعتماد ، كما فى اللسان . (٦) الزواقيل : قوم بناحية الجزيرة [ما بين دجلة والفرات] وما والاها اه من اللسان . وفى القاموس : والزواقيل اللصوص اه ويظهر أن أحدا لم ينص على مفرده . (٧) الزط جنس من السودان والهنود . والواحد زطىّ اه من اللسان . وفى التاج : هم جنس من السودان طوال مع نحافة اه ويظهر أن سكناهم فى الآجام تكسبهم صلابة وشراسة .

١٥ (٨) جمع أجم ، بفتحتين ، والأجم جمع أجمة ، وهى الشجر الملتف ، مصباح . (٩) مرد يمرد (كنصر ينصر) ، إذا عتا ، فهو مارد . (١٠) (نهر بط) بلدة بالأهواز . والأهواز تسع كور (بضم ففتح) بين البصرة وفارس . لكل كورة (بضم الكاف ممدودة) منها اسم . قاموس . (١١) قال فى اللسان : القفص جيل من الناس متلصصون فى نواحى كرمان (بفتح الكاف أو كسرها وسكون الراء) اه . (١٢) القيقان بالكسر واد من أودية نجد ، كما فى المعجم اه من التاج . وفى ياقوت : قيقان بالكسر بلاد قرب طبرستان . ثم قال :

٢٠ والقيقان من بلاد السند مما يلى خراسان اه وفى مقدمة طبعة ليدن : القيقانية لصوص من قيقان ، على حدود الهند اه .

(١٣) القطر : موضع بين واسط والبصرة ، فى جوانب البطائح . كذا فى القاموس وشرحه . وفى مقدمة طبعة ليدن : والقطرية يجوز أن يكونوا من سكان قطر (بفتحتين) ، وهى مدينة على ساحل بحر عمان . وهم من لصوص البحر . وهناك مدينة أخرى تسمى قطر (بفتح فسكون) ، أو قطر (بضم فسكون) ، ما بين شيراز وكرمان اه .

(١٤) تشبه بالشىء : تمثل به . ويظهر أن المتشبهة جماعة من الفتاك كانوا يتشبهون فى زيهم بالصلاح (جمع صالح) ،

٢٥ ليدركوا أغراضهم من العدوان على الناس . وقال فى مقدمة طبعة ليدن : إنه لم يفهم المقصود بالمتشبهة .

(١٥) مرة من جال يجول . والمراد الجولة فى القتال والصراع .

عنـد رُؤْيَة الطَّليعة (١) ، وكيف يَقظَتِي إذا كنتُ رَبِيئَـةً (٢) ، وكيف كلامى عنـد السُّلْطان إذا أُخِذْتُ (٣) ، وكيف صَـبْرى إذا جُلِدْتُ ، وكيف قِلَّةُ ضَجَرِى إذا حُبِست ، وكيف رَسَـفَانِى (٤) فى القَيْد إذا أُثقِلتُ !

فَكَمْ من دِيماسٍ (٥) قد نَقَبْتُه ، وكم من مُطْبِقٍ (٦) قد أفْضَيْتُه (٧) ، وكم من سِجْن قد كابَدْتُه .

وأنت غُلامٌ لسانُكَ فَوْقَ عقلك (٨) ، وذَكاؤُك فوق حَزْمك (٩) . لم تَعْجُمْك الضَّرَّاء (١٠) ، ولم تَزَلْ فى السَّرَّاء . والمـالُ واسِـعٌ ، وذَرْعُك ضَيِّق (١١) . وليس شيء أخوفَ عليك عِنْـدى من حُسْن الظَّنِّ بالنـاس ؛ فإنهم شِمالُك على يمينك ، وسَمْعُك على بَصَرك (١٢) . وخَفْ عبادَ الله على حَسَب

(١) الطليعة : القوم يبعثون لمطالعة خبر العدو . والجمع والواحد فيه سواء . (٢) الربيئة : الذى يربأ لقومه على شرف ، أى ينظر لهم ، لئلا يدهمهم عدو . ويقال له ربىء (بوزن كريم) أيضا . (٣) وكيف كلامى الخ ، أى كيف تكون فصاحتى وقـوة حجتى ، إذا أخذت أمام السـلطان ليحاكمنى على ما اقترفت .

(٤) رسف فى قيده (من بابى ضرب ونصر) ، ورسيفا (بكسر السين) ورسفانا (بفتحتين) : مشى ، أى : وكيف أكون خفيف الحركة إذا مشيت مثقلا بقيدى . (٥) يظهر أنه يريد بالديماس هنـا السجن ، كما يدل عليـه المقام . ويستأنس لذلك بمـا جاء فى اللسان ، قال : والديمـاس سجن الحجاج بن يوسـف ، سمى به على التشبيه اهـ . والتشبيه هنا آت من معنى للديمـاس ، وهو السرب (بفتحتين) . ومنه يقال : دمسته فى الأرض دمسا ، إذا دفنته ، حيـا كان أو ميتا . وقـد تفتح الدال . ويجمع على دماميس ، إن كان مكسور الدال وعلى دياميس ، إن كان مفتوح الدال اهـ ملخصا من اللسان . يقول : قد نقبت كثيرا من الدماميس ، فخرجت منها ونجوت .

(٦) قال فى التـاج : المطبـق كمحسن : سجن تحت الأرض اهـ . (٧) قال فى الأسـاس : فضـا المكان يفضو : إذا اتسع . وأفضيته أنا : وسـعته ، وجعلته فضاء اهـ والمعنى : تركته خلاء ، بضرب من التجوز .

(٨) أى إن قولك يسبق تفكيرك . (٩) الحزم ضبط الأمر وأخذه بالثقة والإتقان . يعنى أن حدة ذهنك تتغلب على حزمك ، فتعجل فتخطئ . (١٠) عجم العود يعجمه (من باب نصر) : عضه ليعلم سلامته من خوره (بفتح الخاء والواو) ، أى : لم تجربك مصائب الدهر . (١١) ذرع الانسان : طاقته التى يبلغها .

(١٢) فإنهـم الخ ، أى إن الناس فى إضرارهم كاليد الشمال إذا طغت على اليـد اليمنى وعطلتها . (وسمعك على بصرك) ، أى وهم فى طغيانهم على عقلك وتأثيرهم فيه ، كما يطغى السمع على البصر فى بعض الناس ، فيصدقون كل ما يلق عليهم ، وإن كذبته الحقيقة ونفاه الواقع .

ما ترجُو الله ، فأوَّلُ ما وَقَع فى رُوعِى[1] أنَّ مالى محفوظ علىَّ ، وأنّ النَّماءَ لازم لى ، وأنَّ الله سَيَحْفَظُ عَقِبِي مِنْ بَعْدِى[2] .

إنِّى لما غَلَبَتْنِى يوما شَهْوتى[3] ، وأخرجتُ يوما دِرْهما لقضاء وَطَرِى[4] ، ووقعتْ عينى على سِكَّتِه[5] ، وعلى اسم الله المكتوبِ عليه ، قلتُ فى نفسى : إنى إذًا لمن الخاسرين الضَّالين : لئن أنا أخرجتُ من يَدى ومن بَيْتِى شيئا عليه (لا إله إلا الله) ، أخذت بَدَله شيئا ليس عليه شيء[6] ! والله إنّ المؤمن لَيَنْزِعُ خاتَمه[7] للأمر يُريده ، وعليه (حَسْبِيَ الله)، أو (توكلتُ على الله)[8] ، فيظنُّ أنه قد خَرَجَ من كَنَفِ الله[9] — جَلَّ ذِكْرُه — حتَّى يَرُدَّ الخاتَمَ فى مَوْضعه ! وإنّما هو خاتَمٌ واحد . وأنا أريد أنْ أخْرِجَ فى كلّ يوم دِرْهَما عليه الإسلامُ[10] كما هو ! إنَّ هذا لَعَظِيم ! .

✤ ✤ ✤

ومات مِنْ ساعته . وكفَّنه ابنُه ببَعْضِ خُلْقانه[11] ، وغَسَلَه بماء البئر ، ودفَنَه من غير أن يَضْرَحَ له[12] ، أو يَلْحَدَ له ، ورجَع .

فلما صار[13] فى المَنْزِل ، نَظَرَ إلى جَرَّة خَضْراءَ مُعلَّقةٍ . قال : أىُّ شَيْءٍ فى هذه الجَرّة ؟ قالوا : ليس اليومَ فيها شيءٌ . قال : فأىُّ شيء كان فيها قَبْلَ اليوم ؟ قالوا : سَمْنٌ . قال :

---

(١) وخف الخ ، أى اجعل خوفك عباد الله مكافئا رجاءك له تعالى وتأميلك خيره و برّه . (٢) فأول الخ ، (وقع فى روعى) : خطر بقلبى . والنماء مصدر نمى المال وغيره ينمى (بكسر الميم) : زاد وكثر . أى : فقد بلغ رجائى له تعالى وتأميلى فيه أن أول شىء خطر ببالى أن مالى الخ . (٣) اشتياق إلى مأكول أو غيره . (٤) حاجتى .
(٥) السكة حديدة قد كتب عليها ، يضرب عليها الدرهم . وهى المنقوشة . لسان . والمراد هنا النقش الذى على الدرهم . (٦) أخذت الخ ، يعنى أن الشىء الذى يشتريه ليس عليه مثل هذه الكتابة . (٧) لينزع خاتمه ، أى من إصبعه . (٨) أى وعلى الخاتم هذه العبارات مكتوبة . (٩) الكنف : الجانب . والمراد رعايته تعالى وحفظه . (١٠) عليه الإسلام ، أى تلك الكتابة التى تعنى الإسلام . (١١) ثيابه البالية ، جمع خلق (بفتحتين) . (١٢) الضريح : الشق فى وسط القبر . وقد ضرحه يضرحه (كمنع يمنع) : شقه ، واللحد الشق فى جانبه . (١٣) (صار) تامة .

وما كان يُصْـنَعُ به ؟ قالوا : كنّا فى الشِّتاء نُلْقِى[١] له فى البُرْمة شيئا من دَقِيقٍ نَعْمَله له ، فكان رُبّما بَرَقَهُ[٢] بشىء من سَمْن . قال : تقولون ولا تفعلون ! السمنُ أخُو العسل . وهـل أفسدَ النّاسُ أموالَهم إلا فى السَّمن والعَسَل؟ والله إنّى لولا أنّ لِجَرَّة ثمنًا لَمَـا كسرتُها إلا على قَبْره ! قالوا : نَخرجَ فوقَ أبيه[٣] ، وما كنّا نَظُنُّ أنّ فوقه مَزِيدًا !

٥

***

المخطرانىّ الذى يأتيك فى زِىّ نَاسِك ، ويُريك أنّ (بَابَك[٤]) قد قَوَّرَ لِسانَه مِنْ أصْلِه ، لأنه كان مُؤَذِّنا هُنَاك . ثم يَفْتح فاهُ ، كما يَصْنَعُ مَنْ يتثاءبُ ، فلا ترى له لِسانا البَتّة ! ولسانه فى الحقيقة كَلِسان الثَّور ! وأنا أحَدُ مَنْ خُدِعَ بذلك[٥] . ولا بدّ للمخطرانىّ أن يَكُون مَعَه واحدٌ يُعبِّر عنه ، أو لوْحٌ أو قِرْطاسٌ قد كَتَبَ فيه شَأْنَه وقِصَّتَه .

١٠

والكَاغَانىُّ الذى يَتَجَنّن[٦] ، ويَتَصَارع[٨] ، ويُزْبِد[٨] ، حتّى لا يُشَكَّ أنّه مجنون ، لا دَوَاءَ له ، لِشِدَّة ما يَنْزِلُ بنفسه ، وحتّى يُتَعَجَّبَ مِنْ بَقَاءِ مِثْلِه على مِثْل عِلّته .

والبانوانُ الذى يَقِفُ على البـاب ، ويَسُـلُّ الغَلَقَ[٩] ويقول : بانوا ! وتفسـيرُ ذلك بالعَرَبيّة : يا مَوْلَاىَ !

---

(١) لوالدك . (٢) برق (من باب نصر) الأدم (بضم فسكون) بالزيت والدسم : جعل فيه شيئا يسيرا . لسان . (٣) نخرج فوق أبيـه : زاد عليه فى البخل . (٤) اسم ملك فارسى .

١٥

وقـد قوّرلسانه — بدعواه — لأنه كان وثنيا لا يحب أن يسـمع الأذان ، كما يظهر لنا . وقال فى القـاموس : بابك كهاجر ، ذاك الخرّمى الذى كاد يستولى على الممالك كلها . ثم قتل فى زمن المعتصم [٢٢٣ﻫ] . والخرمى منسوب إلى (خرمة) كسكرة ، بلد بفارس ، كما فى القاموس . (٥) وأنا أحد الخ ، يعنى أنه رأى واحدا من هؤلاء ، وظنّ أن لا لسان له . (٦) يتجنن : يرى من نفسه أنه مجنون . (٧) يتصارع : يرى من نفسه أنه مصروع . (٨) يزبد : يخرج من فه ما يشبه الزبد . و يقال أيضا فى هذا المعنى : أزبد البحر ، وأزبدت القدر . (٩) الغلق . ما يغلق به الباب . وسل الغلق : انتزاعه و إخراجه من موضعه ، حتى ينفتح الباب ، ثم يقول : بانوا ، تنبيها لأهل المنزل . وفى نسخة : (يانوا) .

٢٠

والقَرَسيُّ الذى يَعْصِبُ سَاقَه وذِراعه عَصْبًا شديدا ، و يَبِيتُ على ذلك ليلةً . فإذا تورَّم واخْتَنَق الدَّمُ، مَسَحَهُ بشيء من صابونٍ وَدَمِ الأخَوَين (١) ، وَقَطر عليه شيئا من سَمْنٍ ، وأَطْبَق عليه خِرْقَةً ، وكَشَفَ بعضه . فلا يَشُكُّ مَنْ رآه أنَّ به الإكْلَةَ (٢)، أو بَلِيَّةً شِبْهَ الإكْلَة .

والمُشَعِّبُ الذى يَحْتَالُ للصَّبِيِّ حين يُولَدُ : بأنْ يُعْمِيَه ، أو يَجْعَلَه أعْسَمَ (٣) ، أو أعْضَدَ (٤) ؛

٥ ليَسْأَلَ الناسَ به أهْلُه . و ربَّما جاءتْ به أُمُّه وأبوه، ليَتَولَّى ذلك منه (٥) بالغُرْمِ الثَّقيل . لأنه يَصيرُ حينئذ عُقْدَةً وغَلَّةً (٦) : فإمَّا أنْ يَكْتَسِبا به ، و إمَّا أن يُكْرِياه بكِرَاءٍ معلوم . ور بَّما أكْرَوْا أولادَهم مِمَّن يَمْضِى إلى إفريقِيَّة ، فيسألُ بِهِمُ الطَّريقَ أجْمَعَ، بالمال (٧) العظيم . فإنْ كان ثِقةً مَلِيئًا ، و إلا (٨) أقام بالأولادِ والأجْرَةِ كَفيلا .

والعَوَّاءُ الذى يَسْأَلُ بين المَغْرِب والعِشَاء . و ربَّما طَرَّبَ (٩) ، إنْ كان له صَوْتٌ حَسَن ،

١٠ وحَلْقٌ شَجِيٌّ (١٠) .

---

(١) نبت أحمر يسمى بالعنـدم (بفتح فسكون ففتح) . (٢) الإكلة والأكال (بضم الهمزة) : الحكة (بكسر الحاء وتشديد الكاف مفتوحة) والجرب أيا كانت . لسان . (٣) قال القاموس : العسم (محركة) يبس فى مفصل الرسغ تعوج منه اليد والقدم، عسم كفرح، فهو : أعسم اه وفى النسخ : أعشم . وتخريجه ممكن على صعوبة . فالأعشم محرف عن الأعسم فيما نرى . (٤) قال فى القاموس : والأعضد الدقيق العضد،

١٥ والذى إحدى عضديه قصيرة اه . (٥) ليتولى الخ ، فاعل (يتولى) يعود إلى (المشعب) . والضمير فى (منه) يعود إلى الولد . أى و ربما جاءت الأم أو الأب بالولد إلى هـذا الرجل ، ليحدث به العاهة ، و يأخذ على ذلك أجرا كبيرا . (٦) لأنه يصير الخ، اسم أن يعود إلى الصبى . قال فى القاموس : والعقدة ... الضيعة والعقار ... وما فيه بلاغ الرجل وكفايته اه والغلة كل شىء يحصل من ريع الأرض أو أجرتها ، ونحو ذلك . مصباح . يعنى أنه يصير مصـدر ربح . (٧) (بالمال) متعلق بأكروا . (٨) فإن كان الخ ، اسم كان يعود

٢٠ إلى المكترى . ومليئا : غنيا قادرا — وجواب الشرط محذوف ، أى : تقدم الأجر قبل الرحيل . و (كفيلا) مفعول (أقام) : أى و إن لم يكن غنيا قادرا أقام كفيلا ، أى ضامنا ، يضمن أجرة الأولاد، و يضمنهم أيضا . (٩) طرب : غنى . (١٠) حلق شجى : ذو صوت مطرب .

والإسطِيل هُوَ الْمُتَعامِى : إنْ شاءَ أراكَ أنَّهُ مُنخَسِفُ العَيْنَين (١) ، وإنْ شاءَ أراكَ أنَّ بهما ماءً ، وإن شاءَ أراكَ أنَّه لا يُبْصِر ، لِلْخَسْفِ ، ولِرِيحِ السَّبَل (٢) .

والمَزِيدِىُّ (٣) الذى يَدُورُ ومَعَهُ الدُّرَيْهِماتُ ويقول : هذه دراهِمُ قد جُمِعَتْ لى فى ثمن قَطِيفة ، فَزِيدُونى فيها ، رحمكم الله ! وربَّما احْتَمَلَ صبِيًّا على أنَّهُ لَقِيط (٤) . وربما طَلَب فى الكَفَن (٥) .

والمُسْتَعْرِضُ الذى يُعارِضُكَ (٦) ، وهو ذُو هَيْئَةٍ ، وفى ثياب صَالِحة . وكأنَّه قد هابَ من الحياء ، ويخاف أنْ يَراه مَعْرِفةٌ (٧) ! ثم يَعْتَرِضك اعتراضًا ، ويُكَلِّمُكَ خَفِيًّا (٨) .

والمُعَدِّسُ (٩) الذى يَقِفُ على الميِّت يَسْألُ فى كَفَنه ، ويقِفُ فى طريق مَكَّةَ على الحمار الميِّت ، والبَعِير الميِّت ، يدَّعى أنَّه كان لَهُ (١٠) ، ويَزْعُمُ أنَّه قد أُحْصِرَ (١١) ، وقد تعلَّم لغةَ الخُراسانيَّة واليَمانيَّة والإفْرِيقيَّة ، وتعـرَّفَ تلك المُدُنَ والسِّكَكَ والرجالَ (١٢) . وهو متى شاءَ كان مِنْ إفْرِيقيَّـة ، ومتى شاءَ كان من أهل فَرْغانَةَ (١٣) ، ومتى شاء كان مِنْ أىِّ مَخَالِيفِ اليَمَنِ (١٤) شاء !

(١) خسفت العين : ذهبت أو ساخت . وبابه ضرب ، كانخسفت . (٢) ريح السبل : داء يصيب فى العين . لسان . (٣) المراد بها هنا القرطف (كجعفر) . وفى التاج : وفى حديث النخعى فى قوله : (يأيها المدثر) ، أنه كان متدثرا فى قرطف ، وهو القطيفة التى لها خمل (بفتح فسكون) . والجمع قراطف . قال الأزهرى : هى فرش مخملة اهـ .

(٤) لقيط : طفل لقط من الأرض ، أى فيستجدى به الناس بدعوى الإنفاق عليه وتربيته . (٥) (وربما طلب فى الكفن) : سأل الناس أن يساعدوه فى تكفين ميت ، كذبا وبهتانا . وفى العبارة إيجاز . (٦) يعارضك : يقابلك .

(٧) معرفة : شخص ممن يعرفهم . (٨) خفيا ، صفة موصوف محذوف ، أى كلاما خفيا . (٩) عدس (من باب ضرب) : خدم ، وذهب فى الأرض ، وكدح . والمعنيان الأخيران مناسبان للمعنى الذى ذكره الجاحظ بقوله : وتعلم لغة ... وتعرف تلك المدن والسكك والرجال ، الخ . ونظن أن التضعيف فى الكلمة للمبالغة . وفى النسخ : (المقـدس) . والمناسبة بينها وبين المعنى المراد تكاد تكون معدومة . فلذا استظهرنا أنها (المعـدس) . ولم يأت هذا اللفظ بين الألفاظ التى ساقها آنفا ، وهى التى أولها : (لم يبق فى الأرض الخ) . ولعـله سقط من النسخ المتداولة .

(١٠) يدعى الخ ، (أنه) أى أن ذلك البعير أو الحمار كان ملكا له ، ومات منه فى الطريق . (١١) أحصر : عيق عن المضىّ فى سفره ، بسبب موت الحمار أو البعير . (١٢) وتعرف الخ ، (تلك المدن) ، أى مدن هذه الأقطار وسككها ورجالها . (١٣) وهو متى شاء الخ ، أى إنه يمكنه أن يدعى أنه من أهل أى قطر كان من هذه الأقطار ، لمعرفته بلغة كل منها وسككه ورجاله . وإفريقية رسمت فى نسخة ليدن هكذا : افريقيا (بتشديد الياء) . وفرغانة ، فى التـاج : من بلاد العجم . قال ابن خرداذبة : بين فرغانة وسمرقند ثلاثة وخمسون فرسخا . بناها أنوشروان الملك ، ونقل إليها من كل بيت قوما . وسماها أزهرخانة ، أى : من كل بيت . ثم عربت اهـ . (١٤) قال فى المصباح : والمخلاف (بكسر الميم) بلغة اليمن : الكورة (بضم الكاف : المدينة والصقع . والجمع كور ، بضم ففتح) . والجمع المخاليف اهـ .

والمُكْدِى صَاحِبُ الكِدَاء[1] .

والكَعْبِيُّ أُضِيفَ إلى أبى كعبٍ المَوْصِلِيّ[2] ، وكان عَرِيفَهُمْ بعد خَالَوَيْهِ سَنَةً على ماء[3] .

والزكورى هو خُبْزُ الصَّدَقة ، كانَ على سَجْنِى[4] أو على سَائِل .

هــذا تفسيرُ ما ذَكَرَ خَالَوَيْهِ فقط . وهم أضْعَافُ ما ذكرنا فى العَـدَد[5] . ولم يكن يَجُوزُ

٥ أنْ نتكلَّفَ شيئا ليس من الكِتَاب فى شيء[6] .

* * *

رَفَعَ يَحْيَى بنُ عبدِ الله بنِ خالدِ بنِ أُمَيَّـةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ خالدِ بنِ أُسَيْدٍ ، رَغِيفًا مِن خُوانه بيــده ، ثم رَطَلَه[7] ، والقــومُ يأكلون . ثم قال : يَزْعُمُون أنَّ خُبْزِى[8] صِـغَارٌ . أَىُّ ابنِ ... يَأْكُلُ من هذا الخُبْزِ رغيفين ؟

---

١٠ (١) الكداء : القطع . والمراد (السؤال) ، مجازا . وقد سبق شرح هذا المعنى فى (المكدى) .

(٢) لعله أبو كعب الصوفى القاص . ذكره ابن قتيبة فى (عيون الأخبار) فى غير موضع . وكذا ذكره الجاحظ فى (البيان والتبين) . وكان مكديا . ونوادره ظريفة . (٣) وكان عريفهم الخ ، أى رئيس المكدين من شيعته . وخالويه هو خالد بن يزيد ، كما سبق — وقوله : (سنة على ماء) — أى وقــد تزعمهم حين كانوا مقيمين على غدير أو نحوه سنة . هذا ما فهمنا من هذه العبارة . ولم يوضح ما كان عمل هؤلاء الكعبيين فى صناعتهم هــذه ؟

١٥ (٤) كان على سجنى الخ ، أى إنه نوع من الخبز يعطى المسجونين والشحاذين . ولم نقف على ضبط (الزكورى) فيا لدينا من المراجع . ولعل هــذا اللفظ كان شائعا بهذا المعنى فى عصر الجاحظ ، وإن لم تتناوله المعاجم . وقــد أشرنا إلى ذلك فيا سبق عنــد قوله : ولقــد أكلت الزكورى الخ . و (سجنى) جمــع سجين وقد يكون (سجنى) محرفا عن سجين . وقد ضبطت ياء (سجنى) فى نسخة ليدن بالتشديد ، كأنه على النسب إلى سجن . هــذا ما استظهرناه فى تخريج هذه العبارة ، وربمـا كانت محرفة . (٥) الضمير يرجع إلى أمثال هؤلاء المستجدين من أصحاب

٢٠ الحيل والدهاء . (٦) ولم يكن يجوز الخ ، يعنى أننا أوردنا فى كتابنا هــذا ما ذكره خالويه ، ثم فسرناه . فليس لنــا أن نستطرد إلى ذكر سائر أصــناف هؤلاء النــاس ممن لم يذكرهم ، لأننا بذلك نخرج عن موضوع كتابنا .

(٧) رطل الشىء (من باب نصر) : وزنه بيده ليعرف وزنه على التقريب . (٨) يريد به جمع خبزة . ولذا نعته بقوله : (صغار) .

⁂

وكنتُ أنا وأبو إسحاق إبراهيمُ بنُ سَيَّارٍ النَّظَّامُ ، وقُطْرُبٌ[1] النَّحْوِيُّ ، وأبو الفَتْحِ مُؤَدِّبُ مَنْصُورِ بن زيادٍ ، على خُوان فُلانِ بنِ فُلانٍ . والخُوانُ من جَزْعَةٍ[2] . والغَضَارُ[3] صِينِيٌّ مُلَمَّعٌ ، أو خَلَنْجِيَّةٌ[4] كَيْماكِيَّةٌ[5] . والألوان طَيِّبَةٌ شَهِيَّةٌ ، وَغَذِيَّةٌ[6] قَـدِيَّةٌ[7] . وكلُّ رغيف فى بَياض الفضَّة ، كأنَّه البَـدْر ، وكأنَّه مِرْآةٌ مَجْلُوَّةٌ . ولكنَّه على قَدْرِ عددِ الرُّءوس .

فأكَلَ كلُّ إنسان رغيفَه إلّا كِسْرَةً . ولم يَشْبَعوا فيرفَعُوا أيْدِيَهم . ولم يُغَذَّوْا بشىء فيُتِمُّوا أكْلَهُمْ . والأَيْدِى مُعَلَّقة[8] . وإنَّما هُمْ فى تَنْقِيرٍ[9] وتَنْتِيف[10] !

فلما طَالَ ذلك عليهم ، أقبـلَ الرجلُ[11] على أبى الفَتْح ، وتحتَ القَصْعَةِ رُقاقة ، فقال : يا أبا الفَتْح ، خُذْ ذلك الرغيفَ فقطِّعْه وقسِّمه على أصحابنـا . فتغافَلَ أبو الفتح . فلما أعادَ

---

(١) هو محمد بن المستنير . سماه سيبويه قطربا . وله تصانيف كثيرة . توفى سنة ٢٠٦ هـ .

(٢) الجـزع . ضرب من الخرز . وهو الذى فيه بياض وسواد . واحدته جزعة . وفى اللسان : سمى جزعا ؛ لأنه مجزع ، أى مقطع بألوان مختلفة ، أى قطع سواده ببياض اهـ و يظهر أن الخوان كان من رخام مجزع . فكأنه اتخذ من جزعة .

(٣) الغضار والغضارة : الطين الحر يتخذ منه الخزف الذى يسمى الغضار والغضراء اهـ من اللسان . يريد أن الصحاف من غضار صينى (وهو أجوده) . وملمع : صـقيل .

(٤) معطوف على (صينى)، باعتبار أن المراد بالغضار مطلق الصحاف . كأنه قال : والصحاف إما صينية ملمعة ، و إما خلنجية . والخلنجية منسوبة إلى الخلنج ، شجر يتخذ منه الأوانى .

(٥) نسبة إلى كيماك . قال ياقوت : ولاية واسعة فى حدود الصين اهـ و يظهر أن هـذه البلاد كان لهـا شهرة فى هـذه الأوانى .

(٦) غذية : ذات غذاء كثير .

(٧) فى اللسان : طعام قـدىّ : طيب الطعم والرائحة ، يكون ذلك فى الشـواء والطبيخ اهـ وفى هامش نسـخة ليدن ما يفيد أنها فى بعض النسخ : فدية . ولا وجه له .

(٨) لا هى فى الصحاف ، ولا فى الأفواه .

(٩) مبالغة فى النقر . وهو هنا الأخذ بأطـراف الأصابع . وفى اللسان : فلما فرغوا جعل ينقر (بوزن ينصر) شـيئا من طعامهم ، أى يأخذ منه بإصـبعه اهـ .

(١٠) التنتيف مصدر نتف ، مبالغـة فى النتف . والمراد أنهـم يتشاغلون بتفتيت ما بقى بأيديهم من الكسر (جمع كسرة) ، و يتناولون ما بقى فى صحافهم من الطعام .

(١١) صاحب المـائدة .

عليه القولَ الرابعةَ[1] قال : مالَكَ — وَيْلَكَ ! — لاتُقَطِّعُهُ بينهم ؟ قَطَّعَ اللهُ أَوْصَالَك[2] ! قال : يُبْتَلَى[3] على يَدَىْ غيرِى ، أصلحك الله ! نَخجَّلْنَاه مرةً[4] ، وضَحِكْنَا مَرَّةً ، وما ضَحِكَ صَاحِبُنَا ولا خَجِل .

وزُرْتُه أنا والمكِّيُّ . وكنت أنا على حمارِ مُكَارٍ[5] ، والمكيّ على حمار مُسْتَعار . فصار الحمارُ[6] إلى أَسْوأ ، مِنْ حال المِذْوَد[7] ! فكلّمَ المكيُّ غِلمانَه[8] ، فقال : لا أُرِيدُ منكم التِّبْنَ فما فَوْقَه[9] . اسْقُوه ماءً فقط . فَسَقَوْهُ ماءَ بئرٍ ، فلم يشربه الحمارُ ، وقد مَاتَ عَطَشًا[10] .

فأَقْبَلَ المكِّيُّ عليه[11] ، فقال : أَصْلَحَكَ الله ! إنَّهم يَسْقُون حِمَارِى ماءَ بِئْرٍ ، ومَنْزِلُ صاحِبِ الحمار على شارع دِجْلَةَ ، فهو لا يَعرِف إلَّا العَذْبَ . قال : فامْزُجُوه له يا غلام ! فَمَزَجُوه فلم يَشْرَبه . فأعادَ المسألةَ[12] ، فأَمْكَنَهُ مِن أُذُنِ مَنْ لا يسمع إلا ما يَشْتَهِى[13] .

وقال لى مرّةً : يا أخى ، إنَّ ناسًا مِنَ الناس يَغْمِسُون اللُّقْمَةَ إلى أَصْبَارِها[14] فى المُرِّىِّ[15] . فأقول : هؤلاء قوم يُحِبّون المُلُوحَة ، ولا يُحِبّونَ الحَامِضَ ! فما أَلْبَثُ أن أرَى أحَدَهم يأخذ

---

(١) المرة الرابعة . (٢) الأوصال : الأعضاء . الواحدة وصل (بضم فسكون ، أو بكسر فسكون) .

(٣) (يبتلى) ، هكذا فى (عيون الأخبار) ، أى الرغيف . أى إذا كان لابدّ من إلحاق الأذى بهذا الرغيف ، فليكن ذلك على يدى غيرى من الجالسين . والكلام على المجاز . وفى نسخة ليدن : (نبتلى) ، بالبناء للمجهول أيضا . وتخريجه صعب .

(٤) نخجلناه مرة الخ ، يعنى أننا عملنا ما ينبغى أن يخجل منه . ولكنا لم ننجح فى ذلك ، بدليل بقية العبارة . وضحكنا نحن . ولكن صاحبنا لم يضحك مطلقا ، ولم يظهر عليه الخجل . (٥) على حمار مكار ، المكارى الذى يكريك دابته ، من كاراه مكاراة وكراء . (٦) حمار المكى ، كما سترى فيما بعد . ويظهر أن حمار المكارى الذى ركبه الجاحظ كان معه علفه . (٧) قال فى اللسان : ومعلف الدابة مذودها اه . وقوله : (إلى أسوأ) ، أى مما كان عليه فى الطريق . (من حال المذود) ، (من) هنا للسببية ، أى لما عليه مذود هذا الرجل المزور (بفتح فضم) من قلة العلف . وفى نسخة (ليدن) : (الرتد) . وفى نسخة أخرى : (الزور) . وكلاهما تحريف . فرجحنا أن تكون (المذود) هى الكلمة . (٨) غلمان الرجل المزور . (٩) كالشعير والفول . (١٠) مات عطشا : بلغ به الجهد من العطش كل مبلغ . فهو على المجاز . (١١) على المزور . (١٢) أى فأعاد المكى الطلب على الرجل .

(١٣) فأمكنه الخ ، أمكنه من الشىء ، كمكنه (بتشديد الكاف) منه . وفاعل (أمكنه) يعود إلى المكى ، وضمير المفعول إلى (المسألة) بمعنى الطلب ، ليطابق المرجع . و(من لايسمع إلا مايشتهى) : من لا يجيب غير ما يحب . يعنى أنه أسمع غير مسمع . وفى التعبير شىء من الغرابة . (١٤) إلى أصبارها : إلى جميع نواحيها . كما يقولون : أخذه بأصباره : أى تاما بجميعه . والمفرد صبر (بضم فسكون) اه من اللسان . (١٥) قال فى المصباح : والمرى الذى يؤتدم به ، كأنه نسبة إلى المر . ويسميه الناس الكامخ اه وهو ما يسمى الآن "بالسلطة" .

حَرْفَ الجَرْدَقَة (١) ، فيغمِسُها فى الخــلّ الحاذِق (٢) ، ويُغْرِقُها فيه ! وربمـا رأيتُ أحدَهم يُمْسِكها فى الخلّ بعدَ التَّغْرِيق ساعةً ، فأقولُ : هؤلاء قوم يَجْمَعُون حُبَّ الحُمُوضة إلى حُبِّ المُلُوحة . ثم لا ألبثُ أنْ أراهم يَصْنَعون مِثلَ ذلك بالخَرْدَل ، والخردلُ لا يُرام (٣) ! قُلْ لى : أىُّ شىءٍ طَبَائِعُ هؤلاء ؟ وأىُّ ضَرْبٍ هُمْ ؟ وما دواؤُهم ؟ وأىُّ شىءٍ عِلاجُهم ؟

فلما رأيتُ مَذْهَبَه وحُمْقَه ، وغَلَبَةَ البُخْلِ عليه ، وقَهْرَهُ لَه ، قلت : ما لهم عِنْدِى علاجٌ هو أنجعُ فيهم مِنْ أنْ يُمْنَعُوا الصِّبَاغَ (٤) كلَّه ! قال : لا والله ، إنْ هو غَيْرُه (٥) !

✤

وصَدِيقٌ كنّا قَدِ ابْتُلِينا بمؤاكلته . وقد كان ظنَّ أنّا قد عَرَفْناه بالبُخل على الطَّعام . وهَجَسَ (٦) ذلك فى نفسه . وتوهَّم أنّا قد تذاكَرْنَا أمْرَه . فكان يتزيَّد فى تكثير الطَّعام ، وفى إظْهار الحِرْص على أنْ يُؤكل . حتى قال : مَنْ رَفَع يدَه قَبْـلَ القَوْمِ غرَّمناه دينارا . فترى بُغْضَه إنْ غَرَّمَ دينارا (٧) . وظاهرُ لا ئِمَتِه مُحْتَمَل فى رِضا قَلْبه (٨) ، وما يَرْجُو من نفع ذلك له .

✤

ولقد خبَّرنى خَبَّازٌ لبعض أصْحابنا ، أنّه جَلَدَهُ على إنْضَاج الخُبْزِ ، وأنَّه قال له : أَنْضِجْ خُبْزِى الذى يُوضَعُ بَيْنَ يدىَّ ، واجعل خُبْزَ مَنْ يأكلُ مَعِى على مِقْدَارٍ بَيْنَ المقدارين (٩) . وأمّا

(١) الرغيف ، معربة ، كما سبق . (٢) الشديد الحموضة . (٣) لا يرام : لا يرغب فى كثرته لشدة حرافته .
(٤) الصبغ والصباغ . ما يصطبغ به من الإدام اه من اللسان . وقال فى المصباح : والصبغ أيضا ما يصبغ به الخبز فى الأكل . و يختص بكل إدام مائع كالخل ونحوه اه . (٥) إن هو غيره ، (إن) مخففة من الثقيلة . واسمها ضمير الشأن . يعنى : إنه غير ما ذكرت : وهو أن يمنعوا الصباغ وغير الصباغ . (٦) هجس الأمر بالقلب (من باب ضرب) : وقع وخطر . (٧) فترى الخ ، استعمل البغض هنا فى معنى التشفى ، أى فترى على وجهه تشفيه فيمن وقعت عليه الغرامة ، إن غرم أحدا . فمفعول غرم الأول محذوف . (٨) وظاهر لائمته الخ ، اللائمة : اللوم والعذل . و إضافة (ظاهر) إلى (لائمة) من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى وما يظهره من لوم نفسه على تغريمه أصدقاءه ، محتمل ومقبول عند نفسه فى سبيل رضاه عن هذا العمل ، وما يفيده من مال . ولا يخفى ما فى هذه العبارة من إيجاز وغموض . (٩) على مقدار بين المقدارين : على حال وسط بين الإنضاج وعدمه .

خُبْزُ العيال والضَّيف فلا تُقرِّبْنَه من النَّار إلا بقَدْر ما يصير العَجِينُ رغيفًا ، و بقَدْر ما يَتماسك فقط ! فكلَّفه العَوِيصَ[1] . فلمّا أعجزَه ذلك ، جَلَدَهُ حَدَّ الزَّانِي الحُرِّ[2] !

فحدَّثتُ بهذا الحديث عَبْدَ الله العَرُوضِيَّ[3] ، فقال : أَلَمْ تعرف شَأْنَ الجَدْيِ[4] ؟ ضَرَبَ الشَّوَّاءَ[5] ثمانين سَوْطًا لِمَكَانِ الإنْضاجِ[6] ! وذلك أنّه قال له : ضَعِ الجَدْيَ في التَّنُّور حين تضع الخُوان ، حتى أَسْتَبْطِئَكَ أنا في إنضاجه[7] . وتقولُ أنت : بَقِيَ قليلٌ ! ثم تجيئُنا به ، وكأنّي قد أعْجَلْتُك[8] ! فإذا وُضِعَ بين أيْديهم غيرَ مُنْضَجٍ ، احْتَسَبْتُ عليهم بإحْضَار الجَدْيِ[9] . فإذا لم يأْكُلُوه أَعَدْتَه إلى التَّنُّور ، ثم أَحْضَرْتَنَاه الغَدَ باردًا . فيقومُ الجَدْيُ الواحدُ مَقَامَ جَدْيَيْن !

فجاءَ به الشَّوَّاءُ يومًا نَضِيجًا ، فعَمِلَ فيه القومُ[10] . فجَلَدَه ثمانين جَلْدَةً ، جَلْدَ القَاذِفِ الحُرِّ[11] !

❖

وحدَّثني أحمدُ بنُ المُثَنَّى عن صَدِيقٍ لي وله ، ضَخْمِ البَدَنِ ، كثيرِ العِلْمِ ، فاشي الغَلَّةِ[12] ، عظيمِ الوِلَايَاتِ[13] ، أنّه إذا دَعَا على مائدته بفَضْلِ دَجَاجةٍ ، أو بفَضْلِ رُقَاقٍ ، أو غيرِ ذلك ، رَدَّ الخادمَ مع الخَبَّاز إلى القَهْرَمانِ[14] ، حتى يَصُكَّ له بذلك إلى صاحب المَطْبَخ[15] !

---

(١) الأمر الشاق . (٢) الحرّ : غير العبد ؛ والمراد به هنا أن يكون غير محصن . فيجلد مائة جلدة . والمحصن هنا : المسلم العاقل البالغ المتزوّج . أما العبد فيجلد بالزنا خمسين جلدة ، لأن الرق ينصف النعمة ، وينقص العقوبة . والذكر في الحكم كالأنثى . (٣) هو عبد الله بن هارون ، من أهل البصرة ، أخذ العروض عن الخليل ، وانقطع إلى آل سليمان بن علي يؤدب أولادهم ، وكان يقول أوزانا غريبة ، وهو شاعر مقل . (٤) شأن الجدي : أمره وحكايته . (٥) فاعل ضرب مامر في الحكاية السابقة ، وهو (بعض أصحابنا) . (٦) لمكان الإنضاج : بسببه . ويمكن أن يستغنى عن (مكان) هنا . (٧) حتى أستبطئك الخ : أقول لك : قد أبطأت في إنضاج الجدي ! أو : ماهذا الإبطاء؟ أو نحو ذلك . (٨) وكأني الخ ، أعجلتك : حملتك على أن تعجل ، أي : بأن تظهر ذلك في ملامحك وحركاتك . (٩) احتسبت بالشيء : اعتددت به . يقول : فتى حضر الجدي غير منضج ، فهذه وليمة محسوبة معدودة . (١٠) فعمل فيه القوم ، أي نالوا منه وأكلوه . (١١) الذي يقذف المحصن أو المحصنة ، أي يرميه أو يرميها بالفاحشة . أما العبد فيجلد في ذلك أربعين جلدة ، للعلة التي شرحناها آنفا . وفي نسخة ليدن : (الحرّة) ، بدلا من الحرّ ، أي القاذف لحرّة . (١٢) كثير الغلات ، مما تخرجه ضياعه الواسعة . (١٣) (عظيم الولايات) ، يقال : ولي الأمر ، وعليه : إذا تولاه وقام بشأنه . والولاية : مايتولاه المرء . فهـذا الرجل له ولايات عظيمة مختلفة . ويلزم من ذلك سعة الجاه ، وعظم السلطان . (١٤) هو كالخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرجل . فارسي معرب . (١٥) حتى يصك الخ ، صك يصك (بضم الصاد) : كتب الصك ، وهو الكتاب الذي يكتب في المعاملات . جمعه صكوك وأصك (بفتح الهمزة وضم الصاد) ، أي حتى يكتب القهرمان كتابا للخادم ، إلى صاحب المطبخ ، يرخص له في إرسال فضل الدجاجة ، أو فضل الرقاق ، إلى الخوان .

ولقد رأيتُه مرّةً وقد تناول دَجاجةً، فشقَّها نِصفَين، فألقى نصْفَها إلى الذى عَنْ يَمينه، ونِصْفَها إلى الذى عن شِماله . ثم قال : ياغُلام ! جِئْنِى بواحدة رَخْصةٍ (١)، فإنّ هــذه كانت عَضِلةً (٢) جدًّا . فَحَسِبْتُ أنّ أَقَلّ ما عِنْدَ الرّجلين ألّا يَعُودا إلى مائدته أبدًا . فوجدتُهما قد نَخَرا (٣) علىَّ بما حَبَاهما (٤) به منْ ذلك دُونِى !

وكانُوا رُبَّمـا خَصُّوه (٥)، فوضَعُوا بين يَدَيْه الدُّرّاجَةَ (٦) السَّمِينَة، والدَّجاجةَ الرَّخْصَة. فانْطَفَأَتِ الشمعةُ فى ليلة من تلك الليالى. فأغارَ عَلِيٌّ الأَسْوارِىُّ (٧) على بَعْض مابَيْن يَدَيْه، واغتنَم الظُّلْمَةَ (٨). وعَمِل على أنّ الليــلَ أَخْفَى للوَيْل ! فَفَطِنَ (٩) له، وما هو بالفَطِن (١٠) إلا فى هذا الباب . وقال (١١) :

كذلك الملوكُ كانتْ لا تأكُل مع السُّوقَة !

وحدّثنى أحمدُ بنُ المُثَنَّى أنَّهم كانوا يَعْمِدُون إلى الجَرادِق (١٢) التى تُرْفَعُ عن مائدته : فما كان منْها مُلَطَّخًا، دُلِكَ دَلْكا شَدِيدا (١٣)، وما كان منها قد ذَهَبَ جانِبٌ منه، قُطِعَ بسكّين من ترابيع (١٤)

(١) طريه . رخص يرخص (بضم الخاء فيهما) رخاصة و رخوصة : نعم (بفتح فضم)، ولان ملمسه .

(٢) غليظة العضل ، يابسة . (٣) نخر ينخر (كنصر ينصر) . والنخر بسكون الخاء وفتحها .

(٤) حباهما : منحهما . حبوته حباء (بكسر الحاء): أعطيته الشىء من غير عوض . (٥) اسم كان يرجع إلى القوّام على مائدته ، بدلالة المقام . (٦) ضرب من الطير . جمعه دراج . (٧) الأسوارى نسبة إلى أسوارية : قال ياقوت : بفتح أوّله و يضم ... من قرى أصبهان اه وكان علىّ الأسوارى من أصحاب الجاحظ . ولكنه اشتدّ عليه فى كتابه هذا ، و رماه بالشره المفرط والبطنة ، كما تراه فى غير موضع . (٨) واغتنم الظلمة الخ، يريد أنه رأى هــذه الظلمة الطارئة فرصة سانحة لإشباع نفسه بما أغار عليه . و (الليل أخفى للويل) مثل يضرب للعمل فى الخفاء .

(٩) فاعل (فطن) يعود إلى ذلك الصديق المتحدّث عنه . وهو صاحب المائدة . (١٠) (وما هو) : أى صاحبنا هذا، (بالفطن) : بالذكى . (إلا فى هذا الباب) : باب الأكل والبخل . (١١) (وقال) ، أى وقال صاحبنا للأسوارى ، على سبيل التأنيب والتقريع : كذلك الملوك الخ ، أى : لما يصدر عن السوقة أمثالك من سوء الأدب فى المؤاكلة، كانت الملوك الخ . والسوقة : من عدا الملك . ولكن اللفظ يقال أيضا فى مقام التحقير، بقرينة المقام . و يطلق على الواحد والمثنى والمجموع . (١٢) جمع جردقة . وقد تقدّم الكلام عليها . (١٣) دلك الخ، أى حتى يذهب أثر التلطيخ . (١٤) (ترابيع الرغيف)، يريد أقسامه الأربعة . وفى (التاج): والتربيع جعل الشىء مربعا ، أى ذا أربعة أجزاء، أو على شكل ذى أربع اه . فترابيع جمع تربيع ، كما يظهر . فقد أطلق المصدر وأراد الذات . فكأن الرغيف مقسوم بقطرين أقساما أربعة . يريد أنه إذا ذهب جانب من الرغيف قطع مثله من الربع المناظر .

الرَّغيف مثلُ ذلك ، لئلا يَشُكَّ مَنْ رآه أنهم قد تعمَّدوا ذلك . وما كانَ من الأنْصاف[1] والأرْباع جُعِل بَعْضُه للثَّريد[2] ، وقُطِع بعضُه كالأصابع ، وجُعل مَعَ بَعْض القَلايَا[3] .

⁂

ولقد رأيتُ رجلا ضَخْمًا ، فَخْمَ اللفظ ، فَخْمَ المعانى ، تَرْبِيَةً فى ظِلِّ مَلِك[4] ، مع عُلُوِّ هِمَّة[5] ، ولسانٍ عَضْب[6] ، ومَعْرِفَةٍ بالغامِض من العُيوب[7] ، والدَّقيق من المحاسن ؛ مع شِدَّة تَسَرُّعٍ إلى أعْراض النَّاس[8] ، وضِيقِ صَدْرٍ بما تعرَّف من عُيُوبهم .

وإنَّ ثَرِيدَتَه لَبَلْقاء ، إلا أنَّ بَيَاضها ناصِع ، ولَوْنَها الآخَرَ أصْهَبُ[9] ! ما رأيتُ ذلك مرةً ولا مَرَّتين .

وكنتُ قد هَمَمْتُ قبل ذلك أن أعاتِبَه على الشيء يَسْتأثِرُ به[10] ، ويَخْتَصُّ به ، وأنْ أحْتَمِلَ ثِقَلَ تلك النَّصيحةِ وبَشَاعَتَها ، فى حَظِّه وفى النظر له[11] . ورأيتُ أنّ ذلك لا يكون

(١) أنصاف الرغفان وأرباعها . (٢) الفت . ويسمى أيضا الثريدة ، كما تراه فى هذا الكتاب .
(٣) قال فى اللسان : والقلية (بتشديد الياء مفتوحة) من الطعام . والجمع قلايا . والقلية : مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها اهـ . (٤) (فى ظل ملك) : فى كنفه . وناهيك بمثل هذا سيدا مكملا . و(تربية) خبر لمبتدإ محذوف ، أى تربيته تربية الخ . أو يكون الكلام على التشبيه . أى كأنه لفرط ثقافته ورفعة آدابه مربى فى ظل ملك .
(٥) الهم والهمة : العزم والمضاء . (٦) قاطع . والمراد الفصاحة والتأثير . (٧) الغامض من العيوب : الخفى من عيوب الناس . (٨) إلى أعراض الناس : إلى النيل من أعراضهم . (٩) وإن ثريدته الخ ، بلقاء : فيها بياض وسواد ، أو بياض وحمرة ، كما فى (التاج) . وهو المقصود هنا ، بدليل قوله : ولونها الآخر أصهب . والاسم البلق (بفتحتين) . وقد ورد وصف الثريدة بالبلقاء فى غير موضع من هذا الكتاب . ولعله كان اصطلاحا لذلك العصر ، فإنا لم نره فى مراجعنا اللغوية . والصهبة والصهوبة (بضم الصاد فيهما) : احمرار الشعر . فقوله : (أصهب) ، أى كاون الشعر المحمر . ويظهر أن هذا اللون فى الثريدة يكون من قلة الدسم ورداءة المرق وقلته ، حتى ليكون بعض الثريدة مشبعا به ، وبعضها ليس كذلك . (١٠) يستأثر به : يؤثر به نفسه . والمراد (بالشىء) لون من ألوان الطعام وطيباته . (١١) (فى حظه وفى النظر له) ، قال فى اللسان : الحظ النصيب . زاد الأزهرى عن الليث : من الفضل والخير اهـ فعنى فى حظه : من أجل خيره ومنفعته . (ففى) هنا للتعليل ، كما هو أحد معانيها . وقوله : وفى النظر له ، أى : ومن أجل مراعاة مصلحته .

إلا مِنْ حَاقِّ الإخْلاص[1]، ومن فَرْطِ الإخاءِ مِن الإخْوان . فلما رأيتُ البُلْقَةَ هَانَ عَلَيَّ التَّحْجِيلُ والغُرَّة[2] . ورأيت أنَّ تَرْكَ الكلام أفْضَلُ، وأنَّ المَوْعظة لَغْوٌ .

* * *

وقد زَعَمَ أبو الحَسَن المَدائنىُّ[3] أنَّ ثَرِيدَةَ مَالِكِ بن المُنْـذِر[4] كانت بَلْقَاءَ . ولعـلَّ ذلك أنْ يكونَ باطِلا . وأمَّا أنا فقـد رأيت بِعَيْنَىَّ مِنْ هـذا الرَّجل ما لا أخبِرُكَ به، وهو شَىْءٌ لم أره إلا فيه، ولا سمعتُ به فى غيره .

* * *

ولسنَا مِنْ تَسْمية الأصْحَاب المُتَهَتِّكين[5]، ولا غيرهم مِن المَسْتُورين فى شىء . أمّا الصاحبُ فإنّا لا نُسَمِّيه لحُرْمَتـه، وواجبِ حَقِّه . والآخَرُ لا نسمِّيه لِيَسْتُرَ اللهُ عليه، ولِمَـا يجب لِمَـنْ كان فى مِثل حاله . وإنّمـا نُسمِّى مَنْ خَرَجَ من هاتين الحالَيْن . ولربَّمـا سمَّينا الصاحبَ إذا كان مِمَّن يُمـازِحُ[6] بهذا، ورأيناهُ يتظرَّف[7]، ويجعلُ ذلك الظَّرفَ سُلَّما إلى مَنْع شَيْنه .

---

(١) حاق الإخلاص : صادقه . (٢) (فلما رأيت الخ)، الكلام على سبيل التمثيل . والبلقة : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين . والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس إلى نصف الوظيف (الوظيف من الحيوان : ما فوق الوسغ إلى الساق)، أو نحو ذلك (مصباح) . والغرة فى جبهة الفرس : بياض فوق الدرهم . أى فلما رأيت الأمر العظيم من بخله هان علىّ الأمر اليسـير من استئثاره . (٣) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى . كان من رواة الأخبار . وقد روى عنه الجاحظ فى (البيان والتبيين) أخبارا كثيرة وملحا (بضم ففتح) ونوادر . (٤) لم نقف له على خبر .

(٥) هتك الستر يهتكه (كضرب يضرب) : جذبه حتى نزعه من مكانه ، أو شـقه حتى يظهـر ما وراءه ، فانهتك السـتر، وتهتك . ومن ذلك قيـل للرجل الذى لا يبالى أن تظهر عيوبه للناس : متهتك ، على المجاز — والمراد بالمتهتكين هنا البخلاء الذين يجاهرون ببخلهم . والمستورون ضدّ المتهتكين . وقوله : ولسنا الخ ، أى : ليس من شأننا أن نذكر أسماء هؤلاء أو هؤلاء . أما الصاحب الخ . (٦) يمـازح : يداعب أصدقاءه ببخله ونوادره .

(٧) يتظرف الخ ، أى يتجمل ويتكلف الظرف بهـذه المداعبة . والشين : العيب ، أى ويجعل ذلك التظرف وسيلة إلى ستر ذلك العيب، وهو البخل .

قِصَّةُ أبي جَعْفَر

ولم أر مثل أبي جعفرٍ الطَّرَسُوسِيّ[١] : زار قوما فأكرموه وطيَّبوه ، وجعلوا في شاربه وسَبَلَتِه غاليةً[٢] . فحكَّتْه شفتُه العُليا ، فأدخل إصْبَعه فحكَّها من باطن الشَّفة ، مخافةَ أنْ تأخُذَ إصْبَعُه من الغالية شيئا ، إذا حكَّها من فوقُ[٣] !

وهذا وشِبْهُه[٤] إنَّما يَطِيبُ جدًّا[٥] إذا رأيتَ الحكاية بعينك ، لأنَّ الكِتَابَ[٦] لا يُصَوِّر لك كلَّ شيء ، ولا يأْتي لك على كُنْهِه[٧] ، وعلى حُدوده وحَقائقه .

قِصَّة الحِزَاميّ[٨]

وأما أبو مُحمَّد الحِزاميُّ ، عبدُ الله بنُ كاسِبٍ ، كاتبُ مُوَيْس ، وكاتبُ داوُدَ بنِ أبي داوُدَ ، فإنَّه كان أبخَلَ مَنْ بَرَأَ[٩] الله ، وأطْيَبَ مَنْ برأ الله . وكانَ لَهُ في البُخْلِ كلامٌ . وهو أحَدُ مَنْ يَنْصُره[١٠] ويُفضِّله ، ويَحْتَجُّ له[١١] ، ويَدْعو إليه .

وإنه رآني مَرَّةً في تَشْرِينَ الأوّلِ[١٢] ، وقد بَكَّرَ البردُ شيئاً[١٣] . فلبِستُ كِساءً لي قومِسيًّا[١٤] خَفِيفا ، قد نِيلَ منه[١٥] . فقال لي : ما أقبَحَ السَّرَفَ بالعاقل ، وأسْمَجَ الجهلَ بالحكيم ! ما ظننتُ أنَّ إهمالَ النَّفسِ وسُوءَ السِّياسة[١٦] بَلَغَ بك ما أرَى !

---

(١) نسبة إلى طرسوس (بفتح ففتح فضم) . وضبطها الأصمعي كعصفور ، بلد بساحل بحر الشام . كذا في القاموس وشرحه . (٢) من معاني السبلة : ما على الشارب من الشعر . ومن معانيها : اللحية ، وهذا هو المراد هنا . والغالية نوع من الطيب . (٣) فحكته الخ ، حكته : دعته إلى حكها . يعني أنه آثر ألا يمس شفته العليا من الظاهر ، مخافة الخ . وكان يمكن أن يستغنى عن ذكر (الشفة) مرة ثانية . فذكرها إطناب . (٤) أى حكاية أبي جعفر هذه وشبهها . (٥) إنما يطيب الخ ، أى لا يحسن وقعه في النفوس جدا إلا إذا شوهد بالعين . وذلك لغرابة الحكاية . (٦) الكتابة . (٧) حقيقة أمره . (٨) لم نقف له على ترجمة في مراجعنا . (٩) خلق . (١٠) (ينصره) : يدافع عنه . (١١) يحتج له : يأتي بالحجج والبراهين ، للمدافعة عنه وتزيينه عند الناس . (١٢) شهر أكتوبر . (١٣) (شيئا) منصوب بالنيابة عن المفعولية المطلقة ، أى بعض التبكير . (١٤) قومسيا : من صناعة "قومس" ، صقع كبير بين خراسان و بلاد الجبل (قاموس) . وقال الزبيدى : وضبطه الصاغاني بكسر الميم . وهو المشهور على ألسنتهم اهـ . (١٥) (قد نيل منه) : نالت منه الأيام فأخلقت جدته ، فصار خفيفا . (١٦) سوء السياسة : سوء تدبير الأمور .

قلتُ : وأىَّ شيء أنكرتَ منّا[(1)] مُذ اليومِ[(2)] ؟ وما كان هـذا قولَك فينا بالأمْس . فقـال : لُبْسكَ هذا الكِساءَ قَبْلَ أوانه . قلتُ : قد حَدَثَ من البَرْد بمقْداره[(3)] . ولو كان هذا البردُ الحادثُ فى تمُّوزَ وآبَ لكانَ إبَّانًا لهذا الكِساء[(4)] . قال : إنْ كان ذلك كذلك، فاجعلْ بَدَلَ هذه المُبَطَّنة[(5)] جُبّةً محشُوّةً؛ فإنّها تَقوم هذا المَقامَ، وتكونُ قد خَرَجْتَ من الخَطإ. فأمّا لُبْسُ الصُّوف اليومَ، فهو اليومَ غيرُ جائز .

قلت : ولِمَ ؟ قال : لأنَّ غُبارَ آخِرِ الصيف يَتَـداخَلُه[(6)] ، ويَسْكُنُ فى خَلَلِه[(7)] . فإذا أُمْطِـرَ الناسُ، ونَدِىَ[(8)] الهواءُ، وابتَلَّ كلُّ شىء، ابتَـلَّ ذلك الغُبارُ . وإنّمـا الغبارُ تُرابٌ ، إلا أنَّه لُبابُ[(9)] التُّراب . وهو[(10)] مَالِحٌ ، ويتقبَّض عند ذلك[(11)] عليه الكِساءُ ويتَكَرَّش؛ لأنَّه صُوفٌ، فينْضَمّ أجزاؤه عليه، فيأكلُه[(12)] أكْلَ القادِح[(13)]، ويَعْمَلُ فيه[(14)] عَمَلَ السُّوس . ولَهُوَ أسْرعُ فيه[(15)] من الأَرَضَة[(16)] فى الجُذُوع النَّجْرانيَّة[(17)] !

(١) (أنكرت منا) : جحدت واستقبحت من أمرنا . (٢) (مذ اليوم) : فى هذا اليوم . (٣) يعنى أن هذا البرد الحادث فى غير أوانه يقتضى كساء على قدره ، وهو هذا الذى ألبسه اليوم . (٤) تموز : يوليه ، وآب : أغسطس . وقوله : ولو كان هـذا البرد الخ ، أى : إن هذا الكساء الخفيف قد لبسته فى برد حدث فى الخريف . فلو أنى لبسته فى برد يحدث فى الصيف لكان لبسه موافقا لحال الجوّ ؛ أى فلم أضع شيئا فى غير موضعه .

(٥) يعنى بالمبطنة ذلك الكساء نفسه . (٦) الذى يفهم من كتب اللغة أن تداخل الأشياء دخول بعضها فى بعض . ففى اللسان : وتداخل المفاصل ودخالها (بكسر الدال) : دخول بعضها فى بعض ... وتداخل الأمور : تشابهها والتباسها ودخول بعضها فى بعض اه ولكن الجاحظ استعمل (يتداخل) هنا بمعنى يدخل ، فعداه .

(٧) الخلل : منفرج ما بين الشيئين . والجمع خلال . والمراد بخلل الثوب فرجه (بضم ففتح) ونقبه (بضم ففتح) .

(٨) ندى ، (من باب فرح) . (٩) لب كل شىء ولبابه : خالصه وخياره ، كما فى اللسان . (١٠) (هو)، أى الغبار . وقد سبق الكلام على (مالح) . وفيه خلاف كثير . فبعضهم يوجب أن يقال : (ملح)، بكسر فسكون . وبعضهم يجوزهما معا . وبعضهم يضعف (مالحا) . راجع اللسان . (١١) عند ذلك : عند المطر وندى الهواء .

(١٢) فاعل (يأكل) يعود إلى الغبار . وضمير المفعول يرجع إلى الكساء . (١٣) قال فى اللسان : والقـدح (بفتح فسكون) والقادح : أكال (بضم ففتح) يقع فى الشجر والأسنان اه . (١٤) الغبار .

(١٥) فى الكساء . (١٦) سوسة تأكل الخشب . (١٧) نسبة إلى (نجران) ، موضع باليمن ، ويظهر أن جذوع شجر نجران كانت سهلة المأكل على تلك السوسة ، أو أنها كانت مرعى خصيبا لها .

ولكنْ أخَّرَ لُبْسَه ، حتى إذا أمطرَ الناسُ ، وسَكَنَ الغُبار ، وتلبَّد التُّراب ، وَحَطَّ المطرُ ماكان فى الهواء مِنَ الغُبار ، وغَسَلَه وصفَّاه ، فالبَسْهُ حينئذ على بَرَكة الله !

وكان يَقَعُ إلى عِيالِه بالكُوفة كلَّ سنةٍ مَرَّةً(١) ، فيشترِى لَهُمْ من الحَبِّ مِقْدارَ طَبيخهم ، وقُوتِ سَنَتِهم . فإذا نَظَرَ إلى حَبِّ هذا ، وإلى حبِّ هذا ، وقامَ على سِعْرٍ(٢) ، اكْتالَ مِنْ كلِّ واحدٍ منها كِيلةً مَعْلُومة ، [ثم وزنها](٣) بالميزان ، واشترى أثقلَها وَزْنًا .

وكان لا يَخْتار على البَلَدىّ والمَوْصِلِىّ شيئا ، إلَّا أنْ يتقاربَ السِّعْر(٤) . وكان على كلِّ حالٍ يَفِرُّ من المَيْسَانِىّ(٥) ، إلا أنْ يُضْطَرَّ إليه ، ويقول : هو ناعِمٌ ضَعيف ، ونارُ المَعِدة شيطانٌ(٦) ! فإنَّما يَنْبغى لنا أنْ نُطْعِمَ الحَجَرَ وما أشبَهَ الحَجَرَ !

وقلتُ له مرةً : أعلمتَ أنَّ خُبْزَ البَلَدِىِّ(٧) يَنْبُتُ عليه شىءٌ شبيهٌ بالطِّين والتُّراب والغُبار المُتراكِم ؟ قال : حَبَّذا ذلك مِنْ خُبْزٍ ! وليتَه قد أشبَهَ الأرضَ(٨) بأكْثَرَ من هذا المِقْدارِ(٩) !

وكانَ إذا كانَ جَديدَ القَميص ومَغْسُولَه ، ثم أتَوْهُ بكلِّ بَخُورٍ فى الأرض ، لم يتبخَّر ، مَخافةَ أنْ يُسَوِّد دُخانُ العُودِ(١٠) بياضَ قميصِه . فإنِ اتَّسخ فأتِىَ بالبَخُور ، لم يرضَ بالتَّبخُّر

(١) وكان يقع الخ ، أى يفد عليهم . (٢) فإذا نظر الخ ، (إلى حب هذا) ، الإشارة إلى البائع . و (قام على سعر) : عرف السعر عند الباعة . (٣) اكتال الخ (منها) ، أى من هذه الأنواع . (وكيلة) اسم مصدر من كال ، كما فى المصباح . وقد اضطررنا أن نضيف (ثم وزنها) ، ليكون المعنى مفهوما . وليست فى النسخ . ونحسبها ساقطة من النساخ . (٤) وكان لا يختار الخ ، أى كان يفضل الحب البلدىّ والموصلى على سواهما لرخص ثمنهما . إلا إذا وجد أجود منهما ، فيفضله ، بشرط أن يكون سعره قريبا من سعرهما . و يظهر أنه يريد بالبلدى ما نبت بمزارع الكوفة . والموصلى : نسبة إلى الموصل ، مدينة إلى الجانب الغربى من دجلة . (٥) (من الميسانى) ، أى من الحب الميسانى ، نسبة إلى ميسان (بفتح فسكون) ، كورة (بضم الكاف) بالعراق . (٦) أى كالشيطان ، بجامع الفتك فى كل . (٧) خبز البلدى : الخبز المتخذ من الحب البلدى . (٨) ينبت عليه الخ ، هذا الشىء الذى ينبت هو نوع من العفن . وتراه على الرغفان التى أصابتها الرطوبة ، واحتجبت عن الهواء . وهو ضرب من النبات . (٩) وليته الخ ، أى وليت هذا الخبز قد زاد على شبهه بالأرض فى الإنبات ، بأن كان يشبهها أيضا فى الصلابة أو غير ذلك ، حتى يكون عسير الهضم . وفى نسخة ليدن : (بأكثر من المقدار) .
(١٠) خشب شجر طيب الرائحة .

واستِقْصاءِ ما فى العُود من القُتَار[1]، حتى يَدْعُوَ بدُهْن، فَيَمْسَح به صدْرَه وبَطنَه وداخلَةَ إزَاره، ثم يتبخَّرُ، ليكونَ أعْلَقَ للبَخُور!

وكان يقول: حبّذا الشِّتاءُ، فإنّه يَحْفَظُ عليك رائحةَ البَخُور[2]، ولا يَحْمُضُ[3] فيه النبيذُ إنْ تُرِك مفتوحا[4]، ولا يَفْسُد فيه مَرَقٌ إنْ بَقِيَ أيّاما.

وكان لا يَتَبَخَّر إلا فى منازل أصحابه. فإذا كانَ فى الصَّيْف، دعا بثيابه فلَبِسَها على قميصه، لكيلا يَضِيعَ من البَخُور شىءٌ.

وقال مَرَّةً: إنَّ للشَّيْب سُهكَةً[5]. وبياضُ الشَّعر هو مَوْتُه، وسوادُه حياته: ألا تَرَى أنّ مَوْضِعَ دَبَرَةِ[6] الحمارِ الأسْوَدِ لا يُنْبِتُ إلا أبْيَضَ[7]! والنـاسُ لا يَرْضَوْن منّا فى هـذا العَسْكَر إلا بالعِنَاقِ واللِّثام، والطِّيبُ غَالٍ، وعادتُه رديئة[8]! وينبغى لِمَنْ كان أيْضًا عِنْـدَه أنْ يَحْرُسَه ويَحْفَظه مِنْ عياله. وإنَّ العَطَّار لَيَخْتِمُه[9] على أخصِّ غِلْمانه به.

(١) واستقصاء الخ، أى واستنفاد ما فى ذلك العود المحرق من القتار، أى الدخان المنبعث منه.

(٢) فإنه الخ، الظاهر أنه يريد حفظ الرائحة فى الحجر التى يتبخر فيها، لأنها تغلق فى الشتاء. وربما كان يريد أيضا أن الشتاء يحفظ على بدنك رائحـة البخور، لما تتخذه فيه من أكسية كثيرة.

(٣) حمض يحمض، (ككرم يكرم، ونصر ينصر).

(٤) (إن ترك مفتوحا): إن تركت قارورته مفتوحة.

(٥) السهكة، والسهك (محركة) ريح كريهة تكون من عرق. يقول: إن الشيب والهرم يحدثان فى الجسم هذه الرائحة.

(٦) الدبرة بالتحريك: قرحة الدابة والبعير. لسان.

(٧) إلا أبيض: إلا شعرا أبيض.

(٨) والناس الخ، المراد بالعسكر هنا البلد، كما سبق أن شرحناه فى موضع آخر. والعناق: المعانقة. واللثام: التقبيل، من لاثمه يلاثمه، كما فى الأساس. يقول: إنى رجل كبير السن، ولمثلى رائحة تنبعث منـه بسبب الشيب. وأصحابنا لا يقنعون منا بالمصافحة، بل يصرون على العناق والتقبيل. فوجب علينا التطيب لإخفاء رائحة أجسامنا. والطيب غال الخ. و(عادته رديئة)، أى لما تقتضيه من الإنفاق.

(٩) ليختمه الخ، يطبع خاتمه على قارورة الطيب، محافظة عليها من أخص خدمه.

فلستُ أرى شيئا هو خيرٌ من اتّخاذِ مُشْطِ صَنْدَلٍ[1] ؛ فإنَّ ريحَه طيِّبة . والشَّعْرُ سريعُ القَبُولِ منه ! وأقلُّ ما يَصْنَعُ أنْ يَنْفِيَ سَهَكَ[2] الشَّيْب . فصِرْنا في حالٍ لَنا ولا علَيْنا[3] .

فكان عِطْرُ الحِزاميِّ إلى أنْ فارَقَ الدنيا مُشْطَ صَنْدَلٍ ، إلا أنْ يُطَيِّبه صديقٌ .

واستلفَ منه عَلِيٌّ الأُسْوارِيُّ مائةَ دِرْهم . فجاءني وهو حَزِينٌ مُنْكَسِرٌ . فقلتُ له : إنَّما يَحْزَنُ مَنْ لا يَجِدُ بُدًّا مِنْ إسْلافِ الصَّدِيق ، مَخافَةَ ألّا يَرْجِعَ إليه مالُه ، ولا يَعُدُّ[4] ذلك هِبَةً منه ؛ أو رجلٌ يخاف الشَّكِيَّة[5] ، فهو إن لم يُسْلِفْ كَرَمًا ، أَسْلَفَ خَوْفا[6] . وهذا بابُ الشُّهْرةِ فيه قُرَّةُ عَيْنِك[7] . وأنا واثِقٌ باعتزامك وتَصْميمك[8] ، وبِقِلَّةِ المُبالاة بتَبْخيل[9] الناس لك . فما وَجْهُ انْكِسارك واغْتِمامك ؟

قال : اللهم غَفْرًا[10] ! ليس ذاكَ بِي . إنَّما فِيَّ[11] أنِّي قد كُنْتُ أَظُنُّ أنَّ أطْماعَ الناس قد صارت بِمَعْزِلٍ عنِّي ، وآيِسةً مِنِّي ، وأنِّي قد أحْكَمْتُ هذا البابَ وأتْقَنْتُه[12] ، وأودعتُ قلوبَهم اليأسَ ، وقطعتُ أسبابَ الخواطر[13] . فأراني[14] واحدًا منهم ! إنّ من أسباب إفلاس

(١) فلست أرى الخ ، أى لما يتطلبه الطيب من النفقة وشدة المحافظة عليه . و (مشط صندل) : مشط متخذ من خشب الصندل . (٢) السهك : ريح كريهة تكون من الإنسان إذا عرق ، كما سبق . (٣) فصرنا الخ ، يقول الحزامى : إنا بعد استعمالنا مشط الصندل أصبحنا فى حال هى لنا ، أى ملائمة لنا . وليست ثقيلة المؤنة علينا .

(٤) ولا يعد الخ ، الواو للحال . والجملة حال من فاعل (يرجع) ، أى غير حاسب أن ذلك المال الذى استلفه هبة ، بل كأنه حق له لا يرد . (٥) قال فى المصباح : والشكية اسم للشكو ، مثل الرمية (بوزن الشكية) اسم للرمى اهـ ومعنى (يخاف الشكية) أنه يخاف المشكو إن شكاه ، لشدة بأسه مثلا ، أو لأنه يفشى سره — و إجمال معنى قوله : إنما يحزن الخ ، أنه لا يحزن على التسليف إلا رجلان : من لا يجد بدا الخ ، أى وأنت لست أحد هذين الرجلين ، لفرط حرصك على مالك ، وعدم مبالاتك الناس . (٦) وهذا ، أى البخل . (٧) أى إنك تسر وتقر عينك بأن تشتهر بالبخل . (٨) باعتزامك وتصميمك ، أى باعتزامك المضى فى خطتك هذه وتصميمك فيها .

(٩) بخله : رماه بالبخل . (١٠) اللهم غفرا ، يريد بهذه العبارة هنا التعجب من أن مخاطبه لم يفهم ما يريد .

(١١) (فى) ، أى فى نفسى ، أى : ثابت ومستقر فيها . (١٢) يعنى أنى كنت أظن أنى فرغت من هذا الموضوع ، وهو قطع أسباب طمع الناس فى مالى من أى طريق كان . (١٣) (الخواطر) : خواطرهم فى الطمع فىّ .

(١٤) فاعل (أرانى) يرجع إلى الأسوارى . أى إن عليا الأسوارى أرانى من نفسه بما صنعه معى واحدا من الناس الذين كنت أظن أنى قد قطعت أطماعهم ، فإذا ظنى قد خاب .

المرء طَمَعَ الناس فيه ؛ لأنّهم إذا طَمِعُوا فيه احتالُوا له الحِيَـل ، ونَصَبُوا له الشَّرَك . و إذا يئسُوا منه فقد أمِنَ . وهذا المَذْهَبُ من عليٍّ استضعافٌ(١) شديد . وما أشُكُّ أنّى عنده غُمْرٌ ، وأنّى كبعض مَنْ يأكل مالَه ، وهو مع هذا خَليطٌ(٢) وعشِير .

و إذا كان مِثْـلُه لم يَعْرِفْنى ، ولم يتقرّر عنـده مذهبى ، فما ظَنُّك بالجيران ؟ بل ما ظَنُّك بالمعارِف ؟ أُرانى(٣) أنفخ فى غير فَحْم(٤) ، وأَقْدَحُ بِزَنْدٍ مُصْلِد(٥) ! ما أخْوَفَنِى أنْ أكون قد قُصِـدَ إلىَّ بقَوْلٍ(٦) ! ما أخْوَفَنِى أنْ يكون اللهُ فى سمائه قد قَصَد إلى أن يُفْقِرَنى !

قال : ويقولون(٧) : ثوبُك على صاحبك أحْسَنُ منه عليكَ ! فمـا يقولون إنْ كانَ أقصرَ مِنّى ؟ أليس يَتَخَبّل(٨) فى قميصى ؟ و إنْ كانَ طويلا جدًّا ، وأنا قَصيرٌ(٩) جدًّا فَلَبِسَهُ ، أليس يَصير آيةً(١٠) للسَّابِلين ؟ فَمَنْ أسْوَأُ أثرًا على صَديقه مِمَّنْ جَعَله ضُحْكَةً(١١) للنـاس ؟ ما ينبغى لى أنْ أكْسُوَه حتى أعْلَمَ أنّه فيه مِثْلى . ومتى يتّفِقُ هذا(١٢) ، و إلى ذلك مَحْيًى ومَمَـاتٌ ؟

---

(١) وهذا الخ ، أى ما ذهب إليه على الأسوارى من استلافه منى إنما هو استضعاف شديد لى .

(٢) وما أشك الخ ، الغمر : من لم يجرب الأمور . مصباح . يعنى أنى لا أشك أن عليا الأسوارى يعتقـد أنى رجل قليل التجربة لأمور الدنيـا ، فلذا يعتزم أن يأكل مالى كمن يأكل مالهم ، وهو مع ذلك يخالطهم و يعاشرهم . ففاعل (يأكل) يعود إلى على الأسوارى . وهنا تخليط فى نسخة ليدن ، ناشىء من التحريف .

(٣) (أرانى) ، على البناء للفعول . و يصح أن تكون مبنية للفاعل .

(٤) أنفخ فى غير فحم : أعمل عملا لا أثر له ولا نتيجة كمن يطلب نارا فى غير فحم . والكلام على التمثيل .

(٥) وأقدح الخ ، قدح النار : أخرجها من بين الزند والزندة (بفتح فسكون) . والزند الأعلى ، والزندة السفلى . ومصلد : غير مور (اسم فاعل من أورى) ، من قولهم : أصلد العود ، أى صوت ولم يور . والكلام على الاستعارة التمثيلية .

(٦) أى إنى لشديد الخوف أن يكون بعض الناس قد أراد عمدا أن يرمينى بقول كاذب ، يصفنى فيه بالتهاون بمالى .

(٧) و يقولون ، أى و يقول أصحابى إذا أرادوا أن يستوهبونى ثو با .

(٨) يتعثر .

(٩) الواو للحال ، فقد كان فى الواقع قصيرا ، كما يؤخذ من التعبير .

(١٠) من معانى (الآية) الشىء العجيب ، كما فى اللسان . والسابلون : الجماعة المختلفة فى الطرقات فى حوائجهم ، كالسابلة .

(١١) الضحكة من يكثر الناس الضحك منه . وهو المراد هنا . وأما الضحكة (بضم ففتح) فهو من يكثر الضحك .

(١٢) ومتى يتفق هذا الخ ، استفهام يراد به الاستبعاد ، أى يبعد أن يتفق أن يكون الثوب على صاحبى مثله علىّ . وقوله : و إلى ذلك الخ ، أى و إلى أن يتم ذلك الاتفاق محيى قوم من الأصحاب وممات آخرين .

وكان يقول : أشتهى اللحمَ الذى قد تَهَرَّأَ[(١)] ، وأشتهى أيضا الذى فيه بَعْضُ الصَّلابة .

وقلتُ له مرَّةً[(٢)] : ما أَشْبَهَكَ بالذى قال[(٣)] : أشتهى لَحْمَ دَجَاجَتين . قال : وما تصنعُ بذلك القائل[(٤)] ؟ هو ذا أنا أَشْتهى لحمَ دَجاجتين، واحدةٍ خِلاسِيَّة[(٥)] مُسَمَّنة، وأُخْرى خوامِزْكه[(٦)] رَخْصة.

* * *

وقلتُ له مرةً : قد رَضِيتَ بأن يُقال : عبدُ الله بخيل ؟ قال : لا أَعْدَمَنِى اللهُ هـذا الاسمَ ! قلتُ : وكيف ؟ قال : لا يقال : فلانٌ بخيلٌ إلا وهو ذُو مال . فسلِّمْ إلىَّ المالَ ، وادْعُنِى بأىِّ اسمٍ شئتَ ! قلتُ : ولا يقال أيضا : فلان سَخِىٌّ إلا وَهُوَ ذُو مال . فقد جَمَعَ هذا الاسمُ الحمدَ والمالَ، واسمُ البُخْلِ يجمعُ المالَ والذمَّ . فقد أخذتَ أَخَسَّهما وأَوْضَعَهما . قال : و بينهما فَرْقٌ . قلتُ : فهاتِه . قال : فى قولهم : بخيل ، تَثْبِيتٌ لإقامة المالِ فى مِلْكه . وفى قولهم : سَخِىٌّ ، إِخْبارٌ عن خُروج المالِ مِن مِلْكه . واسمُ البخيل اسمٌ فيه حِفْظٌ وذَمٌّ، واسْمُ السَّخِىِّ اسمٌ فيه تضييعٌ وحَمْد . والمال زاهِرٌ[(٧)] نافِعٌ، مُكْرِمٌ لأهله مُعِزٌّ . والحمد رِيحٌ[(٨)] وسُخْرِيَة[(٩)]، واسْتِماعُك له ضَعْفٌ وفُسُولة[(١٠)] . وما أقلَّ غَناءَ الحمدِ والله عنه[(١١)]، إذا جاع بَطْنُه، وعَرِىَ جِلْدُه، وضاعَ عِيالُه، وشَمِتَ به مَنْ كان يَحْسُده !

(١) تهرأ : نضج حتى سقط عن العظم . (٢) وقلت له مرة ، أى لما قال : أشتهى اللحم الخ . وكان مقتضى الظاهر أن يقول : فقلت له الخ . (٣) ما أشبهك الخ ، أى إنك إذ تقول : أشتهى اللحم الخ ، عظيم الشبه بمن قال : أشتهى لحم دجاجتين . فإنه كان يكفى أن تقول : أشتهى اللحم ، كما كان يكفى أن يقول هو : أشتهى لحم الدجاج . ولا يخفى أن قوله : ما أشبهك الخ مغالطة ومداعبة . ولذا ردّ عليه بقوله : وما تصنع الخ .

(٤) أى وماذا يفيدك التهكم علىّ بقول ذلك القائل ، مع أنه صحيح . (٥) آتية من ديك ودجاجة ، هندى وفارسية ، أو العكس . (٦) هكذا فى نسخة ليدن . وفى بعض النصوص : (جوامرجه) . ولعلها من نوع خاص من الدجاج الجيد . ولم نجد هذه الكلمة ذكرا فى معجم (استنجاس) الفارسى العربى . وربما كانت فارسية قديمة .

(٧) زهر السراج يزهر (كمنع يمنع) زهورا ، وأزهر وازدهر : تلألأ . يريد أن المال يكشف الغم ، كما يكشف السراج الظلمة . (٨) (والحمد ريح) : كالريح ، فى سرعة المرور والذهاب . (٩) أى كأن من يحمد إنسانا لبذله ، يسخر منه فى الحقيقة ، لقلة تدبره وتفكيره . (١٠) نذالة . فسل يفسل (كنصر ينصر) فسولة ، فهو فسل (بفتح فسكون) . (١١) ما أقل الخ ، الضمير فى (عنه) راجع إلى السخىّ ، المفهوم من السياق .

*
* *

وكُنّا عِنْـدَ دَاوُدَ بنِ أبي دَاوُدَ بواسِطَ[1] ، أيَّامَ وِلايَتِهِ كَسْكَرَ[2] ! فأتَتْهُ من البَصْرَةِ هَدَايا فيهـا زِقَاقُ دِبْسٍ[3] . فَقَسَمها بيننا . فكلُّ ما أَخَذ منها الحِزامىُّ أَعْطَى غَيْرَه[4] . فأنكرتُ ذلك مِن مَذْهَبِه[5] ، ولم أعرف جِهَـةَ تَدْبيره . فقلتُ للمكىّ : قـد علمتُ أنّ الحِزَامىَّ إنمـا يَجْزَعُ من الإعطاء، وهو عَدُوُّه . فأمَّا الأخْذُ فهو ضَالَّتُه وأُمْنِيَّتُه ! وَ إنّه لو أعْطِىَ أَفَاعِىَ سِجِسْتانَ[6] ، وثعابينَ مِصْرَ[7] ، وحيَّاتِ الأَهْوَاز ، لأَخَذَها ، إذا كان اسْمُ الأَخْذِ واقعاً عليها[8] ! فعساه أراد التفضيـل فى القِسْمَةِ[9] . قال[10] : أنا كاتِبُه ، وصَدَاقتى أَقْدَمُ[11] . وما ذلك به . و إنّ هاهُنا أمْرًا ما نَقَعُ عليه[12] .

فلم يلبث أنْ دخلَ[13] علينـا . فسألتُه عن ذلك . فتعصَّر[14] قليـلا . ثم بَاحَ بِسرِّه . قال : وَضِيعَتُهُ أَضْعَافُ رِبْحه[15] . وأَخْذُه عِنْـدى مِن أسْبابِ الإدْبار[16] . قلت : أَوَّلُ وضائعه احتمالُ السُّكْر[17] . قال : هذا لم يَخْطُرْ لى قَطُّ على بَال . قلت : فهاتِ إذًا ما عِنْدك .

---

(١) مدينة بالعراق . (٢) كسكر : كورة قصبتها واسط . قاموس . (٣) جمع زق ، مايشبه السقاء أو القربة . والدبس عسل التمر . (٤) فكل الخ ، أى بجميع الذى أخذه الحزامى من هذه الزقاق فرّقه على أصدقائه . فمفعول أعطى الثانى محذوف . وفى (عيون الأخبار) : (فكلنا أخذ ما أعطى ، غير الحزامى) . (٥) فأنكرت الخ ، أى بدا لى من فعله هذا ما لم أكن أعرفه من مذهبه . (٦) جمع أفعى (بالتنوين) أو أفعوان (بضم فسكون فضم) . وقالوا : الأفعوان ذكر الأفعى . وسجستان مدينة من إقليم خراسان بفارس . (٧) قال فى المصباح : الثعبان الحية العظيمة . وهو فعلان . ويقع على الذكر والأنثى . والجمع الثعابين . (٨) الحية الأفعى ، تذكر وتؤنث ، فيقال : هو الحية وهى الحية . مصباح . وقال فى اللسان : الأهواز سبع كور (بضم ففتح) بين البصرة وفارس ، لكل واحدة منها اسم . وجمعها الأهواز أيضا . وليس للأهواز واحد من لفظه اهـ — فكل من سجستان ومصر والأهواز كان مشهورا فى ذلك الزمان بنوع خاص ضار من الحيات . وفى (عيون الأخبار) : (وجرارات الأهواز) . والجرارات (بتشديد الراء الأولى) : العقارب القتالة . (٩) فعساه الخ ، أى فلعل الحزامى بفعله هذا أراد أن داود قد فضل عليه غيره فى القسمة ، فأنف من ذلك . (١٠) الفاعل يرجع إلى المكى . (١١) وماذلك به : ليس ذلك من خصاله . (١٢) وإن هاهنا الخ ، أى إن فى الأمر سرا لا يمكن أن نصل إليه . (١٣) الفاعل يرجع إلى الحزامى . (١٤) تمنع (بتشديد النون) . وفى (عيون الأخبار) : فتعسر . (١٥) الوضيعة : الخسارة . ومعنى (وضيعته أضعاف ربحه) ، أن ما يصيبنى من الخسارة إذا أنا أخذت هذا الدبس أضعاف ما أربحه منه . (١٦) إدبار الدنيا وفساد أمرى . (١٧) فى عيون الأخبار : (احتمال السكر) . وفى بعض المراجع : (ثقل السكر) . وفى نسخة : (الشكر) . ويمكن تخريجه .

قال : أوّلُ ذلك كِراءُ الحمّال[(١)] . ثم هو على خَطَر حتى يَصير إلى المنزل . فإذا صار إلى المنزل ، صار سببا لطلب العَصيدة والأرْز والبِسْتَنْدُود[(٢)] . فإنْ بِعته فِرارًا مِنْ هذا صيّرتُمُونى شُهْرةً[(٣)] ، وتركْتُمُونى عِنْدَهُ آيةً[(٤)] . و إن أنا حَبَسْتُه ذَهَبَ فى العَصائد وأشْباهِ العَصائد . وجَذَبَ ذلك شِراءَ السَّمْنِ ، ثم جَذَبَ السمنُ غيرَه ، وصار هذا الدِّبْسُ أضرَّ علينا من العِيَال .

٥ وإن أنا جعلتُه نَبِيذًا ، احتجتُ إلى كِرَاء القُدُور ، و إلى شِراء الحُبّ[(٥)] ، و إلى شراء الماء ، و إلى كِراء مَنْ يُوقِدُ تحتَه ، و إلى التفرُّغ له . فإن وَلِيَتْ ذلك الخادمُ اسودَّ ثَوْبُها[(٦)] ، وغرِمْنَا ثَمَنَ الأشْنان والصَّابون ، وازدادت[(٧)] فى الطَّمَع[(٨)] ، على قَدْرِ الزيادة فى العَمَل . فإن فَسَدَ ذهبت النَّفَقةُ باطلا ، ولم نَسْتَخلِف منها عِوَضا ، بوَجْهٍ من جَمِيع الوُجُوه . لأنّ خَلَّ الداذيِّ[(٩)] يَخْضِبُ اللحمَ ، ويُغيِّر الطَّعم ، ويُسَوِّدُ المَرَق ، ولا يَصْلُح إلا للاصْطِباغ . وهذا إذا استحال خَلًّا[(١٠)] .

١٠ وأكثرُ ذلك أنْ يَحُولَ عن النَّبيذ[(١١)] ، ولا يَصيرَ إلى الخلّ[(١٢)] . وإن سَلِمَ — وأعوذُ بالله[(١٣)] ! — وجادَ وَصَفا ، لم نجد بُدًّا من شُرْبه ، ولم تَطِبْ أَنْفُسُنا بِتَرْكه .

---

(١) أى الدبس . و (على خطر) ، أى بسبب ما يصيب الزقاق من العطب إذا وقع الحمال على الأرض مثلا .

(٢) هكذا ضبط فى نسخة ليدن . وهو نوع من الفطير ، كما يؤخذ من مقدّمة هذه النسخة ، فارسى . وفى (عيون الأخبار) : والستندود . (٣) قال فى اللسان : الشهرة ظهور الشىء فى شنعة اه . والمراد :

١٥ فضحتم أمرى . (٤) أمرا عجيبا ، كما سبق . (٥) الحب الخابية أو الجرة ، جمعه حباب (بكسر الحاء) . (٦) سبق تفسيره فى حكاية شيخ ربع الشاذروان . (٧) الفاعل يعود إلى الخادم .

(٨) هكذا فى نسخة الساسى . وفى نسخة ليدن : الطعام . وفى (عيون الأخبار) : الطعم ، بضم فسكون ، وهو الطعام . (٩) فى القاموس وشرحه : الداذىّ شراب الفسّاق ، وهو الخمر اه . وهو على صيغة النسب وليس بنسب . (١٠) (وهذا إذا استحال خلا) ، أى وهذا حاصل إذا استحال الدبس خلا . فخبر هذا

٢٠ محذوف . و (استحال) : صار . (١١) (يحول عن النبيذ) : لا يتحوّل إليه . و (لا يصير إلى الخل) : لا يكون خلا — أى فيعود شيئا لا هو بالنبيذ ، ولا هو بالخل . (١٢) أى الدبس ، أى فصار نبيذا ، ولم يعرض له الفساد . (١٣) وأعوذ بالله ، أى من سلامته ، لما يترتب عليها من النتائج التى ذكرها بعد .

فإنْ قعدتُ فى البيت أشْرَبُ منه ، لم يمكن إلا بِتَرْكِ[1] سُلاف الفارسىِّ المُعَسَّل[2] ، والدَّجاج المُسَمَّن ، وجِداءِ كَسْكَر ، وفا كِهَةِ الجَبَل ، والنُّقْلِ الهَشِّ[3] ، والرَّيْحان الغَضِّ[4] ، عِنْدَ مَنْ[5] لا يَغِيضُ ماله ، ولا تنقطعُ مادَّته ، وعندَ مَنْ لا أبَالى على أىِّ قُطْرَيْهِ سَقَط[6] ، مع[7] فَوْتِ الحَدِيث المُؤْنِس ، والسَّماع الحَسَن .

وعلى أنّى إن جَلَسْتُ فى البيت أشْرَبُه ، لم يكن لى بُدٌّ من واحد . وذلك الواحدُ لابُدّ له من دُرَيْهِم لَحْمٍ ، ومن طَسُّوجِ[8] نَقْل ، وقِيراط رَيْحان ، ومِنْ أبْزارٍ[9] لِلقِدْر ، ومن حَطَب للوَقُود . وهذا كُلُّه غُرْم . وهو بعدَ هذا شُؤْمٌ وحُرْفَةٌ[10] ، وخُروجٌ من العادة الحَسَنة[11] .

فإنْ كانَ ذلك النديمُ غيرَ مُوَافِق ، فأَهْلُ الحَبْسِ أحْسَنُ حالا مِنِّى . وإنْ كان — وأعُوذ بالله ! — مُوافقًا ، فقد فَتَحَ اللهُ على مَالِى باباً من التَّلَف ؛ لأنَّه حينئذ يسير فى مَالِى كَسِيْرى فى مَالِ مَنْ هُوَ فَوْقِى .

وإذا عَلِمَ الصديقُ أنَّ عندى دَاذِياً أو نَبِيذا ، دَقَّ البابَ دقَّ المُدِلِّ[12] . فإن حَجَبْناه فبلاءٌ[13] ، وإن أدخلناه فَشَقَاء[14] . وإن بَدَا لِى فى اسْتِحْسَانِ حديثِ النَّاس كما يَسْتَحْسِنُ

---

(١) سلاف الخمر وسلافتها : أوّل ما يعصر منها . ومعنى سلاف الفارسى : سلاف الشراب الفارسى . و يظهر أن الخمر الفارسية كانت مشهورة بجودتها إذ ذاك . (٢) المخلوط بالعسل ، ليحلو و يطيب . (٣) النقل بفتح النون وضمها : ما يتنقل به على الشراب . والهش الطرى الناعم — هش الشىء هشاشة (بفتح الهاء) . والنقل الهش : الجيد الطازج .
(٤) الريحان : كل نبات طيب الريح . (٥) الظرف متعلق بمحذوف حال من سلاف الفارسى وما بعده .
(٦) وعنــد من لا أبالى الخ ، فى اللسان : قال ابن مسعود : لا يعجبنك ما ترى من المرء حتى تنظر على أى قطريه يقع ، أى : على أى شقيه يقع فى خاتمة عمله ، أعلى شق الإسلام أو غيره اهـ . والمراد هنا : على أى حال يؤول أمر هذا الذى أتمتع بمجلسه على الوجه الذى وصفت ، فإنى لا تعنينى خاتمته . (٧) مع متعلق (بترك) . (٨) الطسوج ربع الدانق (بكسر النون) . والدانق سدس الدرهم . معرب . (٩) البزر (بفتح فسكون ، أو بكسر فسكون) : التابل (بفتح الباء) . و جمعه أبزار . وأبازير جمع الجمع . (١٠) الحرفة بالضم والكسر : الحرمان والفقر .
(١١) العادة الحسنة فى رأيه هى تلك التى اعتادها من التنعم بمجالس من وصف من أصحابه . (١٢) يقال : فلان يدل عليك بصحبته ، أى يجترئ عليك فقوله : دق المدل ، أى الذى له على جراءة ، لصداقته . وقد مر تفسيره .
(١٣) (فإن حجبناه فبلاء) : إن لم نأذن له فى الدخول كان ذلك بلاء علينا ، لما يقول فى حقنا عند الناس ، ولما يعرض لصداقتنا من الوهن . (١٤) (و إن أدخلناه فشقاء) : لما يقتضيه من الأكل والشرب .

منّى مَنْ أكُونُ عِنْدَهُ، فقد شاركتُ المُسْرِفين[١]، وفارقتُ إخْوانى مِنَ المُصْلِحين، وصرت من إخْوان الشَّياطين[٢].

فإذا صِرْتُ كذلكَ، فقد ذَهَبَ كَسْبِي من مال غَيْرِى، وصار غَيْرِى يَكْتَسِبُ منِّى[٣]. وأنا لو ابْتُلِيتُ بأحَدِهما لم أقُمْ له[٤]، فكيف إذا ابْتُلِيتُ بأن أعْطِىَ ولا آخذَ[٥]! أعوذ بالله من الخِذْلان بعد العِصْمَة، ومن الحَوْر بعد الكَوْر[٦]! لو كان هذا فى الحَدَاثة كان أهْوَن.

٥

هذا الدُّوشَابُ دَسِيسٌ من الحُرْفَة، وكيْدٌ من الشيطان، وخُدْعَةٌ من الحسود! وهو الحلاوةُ التى تُعْقِبُ المرارة[٧]! ما أخْوَفَنِى أن يكون أبو سُلَيْمَانَ قد مَلَّ مُنَادَمَتى، فهو يَحْتَالُ لِى الحِيَلَ[٨]!

✣ ✣ ✣

وكُنَّا مَرَّةً فى مَوْضِـع حِشْمَة[٩]، وفى جماعة كثيرة، والقوم سُـكُوت، والمَجْلِس كبير، وهو بعيد المكان مِنِّى[١٠]. وأقبلَ علَىَّ المَكِّىُّ وقال، والقومُ يسمعون، فقال[١١]: يا أبا عُثْمَان، مَنْ أبْخَلُ

١٠

(١) وإن بدا لى الخ، فاعل (بدا) الكاف فى (كما)، أى: وإن ظهر لى من الارتياح لحديث الناس وهم عندى مثل ما يستحسنه منى من أكون عنده فقد شاركت الخ، فإن ذلك يدعوهم إلى الإكثار من غشيان منزلى، لما يرون فىّ من الترحيب بهم. (٢) وصرت الخ، إشارة إلى قوله تعالى: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين).

(٣) وهو أن يفقد كسبه من مال غيره، أو أن يكتسب غيره منه. (٤) لم أقم له: لم احتمله. (٥) بأن أعطى الخ، زاد فى عيون الأخبار: وبأن أوكل ولا آكل. (٦) من الحور بعد الكور: من النقص بعد الزيادة. ومنه الحديث: نعوذ بالله من الحور بعد الكور. (٧) هذا الدوشاب الخ، المراد بالدوشاب هنا الدبس الذى أهداه إليه أبو سليمان. فالتعبير به عن الدبس مجاز، باعتبار ما سيكون. إذ معنى الدوشاب بالفارسية نبيذ التمر أو العنب. قال ابن الرومى:

لو ترانى وفى يدى قدح الدو * شاب أبصرت بازيار غراب

الباز يار: حافظ البازوصاحبه ومدربه. وفى شرح القاموس: والبيزار الذى يحمل البازى. ويقال فيه: الباز يار. وكلاهما دخيل اهـ ويظهر أن لون الدوشاب يميل إلى السواد. فلذا شبهه بالغراب. (والدسيس من تدسه ليأتيك بالأخبار. وقيل: الدسيس شبيه بالمتجسس) اهـ من اللسان. يعنى أن هذا العسل رسول من رسل الفقر. و(كيد من الشيطان): ليغرى الناس بالإنفاق والبذل. و(خدعة من الحسود): يخدع بها من يريد زوال نعمته. و(تعقب المرارة): تنتجها وتحدثها، أى مرارة ذهاب المال. (٨) ما أخوفنى الخ، أبو سليمان هو داود بن أبى داود والى كسكر، كما سبق. و(يحتال لى الحيل)، أى ليقصينى عن مجلسه. ومن هذه الحيل أن أهدى إلى هـذا الدبس، وأراد أن يوقعنى فى نتائجه، إن أنا لم أتدارك الأمر وأتخلص منه. وفى نسخة ليدن: فهو محتال.

١٥

٢٠

٢٥

(٩) الحشمة: الحياء والانقباض. أى وكنا فى موضع يسود فيه الحياء، ولا يطمع إنسان فيه أن يخرج عن الوقار. (١٠) الحزامى. (١١) كان يمكن أن يستغنى عن (فقال). وقد وقع مثل هذا كثيرا فى هذا الكتاب.

أصحابِنا؟ قلتُ : أبو الهُذَيْل[1] . قال : ثم مَنْ؟ قلتُ : صاحبٌ لنا لا أُسَمِّيه . قال الحزامىُّ مِنْ بَعيد : إنّمـا يَعْنِينى !

ثم قال : حَسَدْتُم المُقْتَصِدين[2] تَدْبيرَهم ، ونَمَـاءَ أموالهم ، ودَوَامَ نِعْمَتِهم . فالتمستُمْ تَهْجِينَهم[3] بهذا اللّقَب ، وأَدْخَلتمُ المَكْرَ عليهم بهذا النَّبْز[4] . تَظْلِمون المُتْلِفَ لمـاله باسْمِ الجُود ، إدارةً له عن شَيْنِه[5] ، وتظلمون المُصْلِحَ لمـاله باسم البُخْل ، حَسدًا منكم لنعمته . فلا المفسِدُ يَنجُو ، ولا المُصْلِحُ يَسْلَمْ .

✦ ✦ ✦

قال أبو عُبَيْدَةَ[6] : بلغ خَالِدَ بنَ عبـدِ الله القَسْرِىَّ[7] أنَّ النـاسَ يَرْمُونه بالبُخْل على الطعام . فتكلَّم يوما ، فما زال يُدْخِلُ كَلامًا فى كلام ، حتى أَدْخَلَ الاعْتِذَارَ من ذلك[8] فى عُرْضِ[9] كلامه . فكان ممّـا احْتَجَّ به فى شِدَّةِ رُؤْيَة الأَكِيل[10] عليه ، وفى نُفُوره منه ، أنْ قَال : نظرَ خَالدٌ المَهْزُول فى الجاهليّة يومًا إلى نَاسٍ يأْكلون ، وإلى إبل تَجْتَرُّ[11] . فقال لأصحابه : أَتَرَوْنِى بِمِثْلِ هذه العَيْنِ التى أَرَى بها النّاسَ والإبِلَ[12]؟ قالوا : نعم . فحَلَفَ[13] بإلٰهِهِ أَلَّا يأكلَ بَقْلًا ، و إنْ مات هُزَالًا .

---

(١) هو أبو الهذيل العلاف ، أحد رءوس المعتزلة . وله نادرة ظريفة ، ستأتى فى هذا الكتاب . (٢) الحزامى .

(٣) هجن الأمر : قبحه . والمراد باللقب هنا لقب البخل . (٤) النبز : اللقب يعير به . وقوله : وأدخلتم الخ ، يريد : أنكم لمـا نبزتموهم (أى لقبتموهم بالبخلاء) أدخلتم فى هذا اللقب معنى المكر والدهاء . (٥) تظلمون الخ ، أى تظلمونه بتلقيبه بالجواد . وقوله : إدارة له عن شينه ، أى لفتاله عن عيبه الذى هو إتلاف ماله . (٦) هو أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، الإمام الراوية اللغوى البصرى ، العالم بأخبار العرب وأيامهم . وله مصنفات كثيرة . وكان أبو نواس يتعلم منه . توفى سنة ٢١١ هـ . (٧) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسرى . أمير العراقين ، وأحد خطباء العرب وأجوادهم . ولى مكة سنة ٨٩ هـ للوليد بن عبد الملك . ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ وعزله سنة ١٢٠ هـ . توفى سنة ١٢٦ هـ . (٨) (من ذلك) : من بخله على الطعام . (٩) العرض الناحية والجانب . يعنى أنه ألحق الاعتذار بجانب من جوانب كلامه . (١٠) أكيلك الذى يؤاكلك . والأنثى أكيلة . و يطلق الأكيل أيضا على الآكل . و (عليه) متعلق (بشدة) . (١١) الجرة (بكسر الجيم وتشديد الراء مفتوحة) لذى الخف والظلف كالمعدة للإنسان . ثم أطلقوها على ما تخرجه الإبل من كروشها فتجتره . (١٢) أترونى الخ ، يعنى : أتبصروننى وأنا آكل كما أبصر أنا الناس والإبل وهى تأكل ؟ (١٣) فحلف الخ ، يعنى أنه استفظع رؤية الناس والإبل وهى تحـرك أفواهها للمضغ . فلذا حلف ألا يأكل البقـل ، لمـا يتطلب ذلك من كثرة المضغ ، وتحريك اللحيين — ولا يخفى أن كراهة خالد بن عبد الله القسرى للأكل غير كراهة خالد المهزول الجاهلى للأكل . فهذا لاستفظاع المنظر ، وذلك للبخل . وفى نسخة ليدن : هزلا ، (بفتح فسكون) . وهو بمعنى الهزال .

وكان يَغتَذِى اللبَنَ، و يُصيبُ مِنَ الشَّراب . فأضْمَرَهُ (١) ذلك وأَيْبَسَهُ . فلما دَقَّ جِسْمُه ، واشْتَدَّ هُزَالُه ، سُمِّىَ المَهْزُولَ .

ثم قال خالد : هأَنَذا مُبتَلًى بالمَضْغ ، ومحمولٌ على تحريك اللَّحْيَيْن (٢) ، ومُضْطَرٌّ إلى مُناسبة البهائم (٣) ، ومُحتَمِلٌ ما فى ذلك من السُّخْفِ (٤) والعَجْز . ما أُبالِى (٥) ! احتملتُه فيمن [ليس] لى منه بُدٌّ ، ولى عنه مَذْهَبٌ (٦) . ليأكلْ كلُّ امرِئٍ فى منزله ، وفى مَوْضِع أَمْنِه وأُنْسِه ، ودُونَ سِتْرِه وبابِه .

هذا ما بَلَغنا عن خالِد بن عبد الله القَسْرِىِّ واحتجاجِه .

⁂

فأَمَّا خالدٌ المَهْزُولُ فهو أحَدُ الخالِدَيْن . وهما سَيِّدا بَنِى أَسَد . وفيه وفى خالدِ بْنِ نَضْلَةَ يقول الأَسْوَدُ بنُ يَعْفُر :

وقبلَكَ مات الخالِدانِ كلاهُمَا * عَمِيدُ بَنِى جَحْوَانَ وابنُ المُضَلَّلِ (٧)

---

(١) ضمر (من باب قعد) : دق وقل لحمه . وأضمره : صيره ضامرا .

(٢) محمول : مجبر . واللحى عظم الحنك . وهو الذى عليه الأسنان . وهو أعلى وأسفل — وقد تقدم شرحه .

(٣) مضطر إلى أن تكون بينى وبين البهائم مناسبة ومشابهة ، وهى المضغ . (٤) رقة العقل .

(٥) ما أبالى ، أى : لأن مضغى ، مع مافيه من سخف ، صار بلية ملازمة ، اعتدته وأصبحت لا أكترث به .

(٦) احتملته الخ ، (احتملته) ، أى المضغ وتحريك اللحيين . وقوله : فيمن ليس لى الخ ، أى فى مؤاكلة من لا فرار من مؤاكلتهم ، كأولادى وأهل بيتى . وفى النسخ التى بين أيدينا : (فيمن لى منه بد ، ولى عنه مذهب) . وهو تحريف ظاهر ، لا يلائم السياق ، ولا سيما أن (بد) لا يعرف استعمالها إلا مقرونة بالنفى ، كما فى المصباح .

(٧) قال فى اللسان : قال ابن برى : صواب إنشاده : فقبلى بالفاء ، لأن قبله :

فإن يك يومى قد دنا وإخاله * كواردة يوما إلى ظمء منهل

وعميد بنى جحوان هو خالد بن نضلة (بفتح فسكون) بن الأشتر . وابن المضلل هو خالد المهزول . وقال فى اللسان : ومضلل بفتح اللام ، اسم رجل من أسد .

قِصَّـــةُ الحـارِثِىّ (١)

وقِيل للحارِثِىّ بالأمس : واللهِ إنك لَتَصْنَعُ الطعامَ فتُجِيدُه ، وتَعْظُمُ عليك النَّفَقَةُ ، وتُكْثِرُ منه . وإنَّك لتُغَالِى (٢) بالخَبَّاز والطَّبَاخ والشَّوَّاء والخَبَّاص (٣) . ثم أنت مع هذا كلِّه لا تُشْهِدُه (٤) عَدُوًّا لِتَغُمَّه ، ولا وَلِيًّا (٥) فتَسُرَّه ، ولا جاهلا لِتُعَرِّفَه (٦) ، ولا زائرا لِتُعَظِّمَه ، ولا شاكِرًا لِتُثَبِّتَه (٧) . وأنتَ تَعلَم [أنه] (٨) حِينَ يَتَنَحَّى مِنْ بين يدَيْك ، ويغيبُ عن عَيْنَيْك ، فقد صار نَهْبًا مُقَسَّمًا ، ومُتَوَزَّعًا مُسْتَهْلَكًا (٩) .

فلو أَحْضَرْتَه مَنْ ينفعُ شُكْرُه (١٠) ، ويبقَى على الأيام ذِكْرُه (١١) ، ومَنْ يُمْتِعك بالحديث الحَسَنِ والاستماع (١٢) ، ومَنْ يَمتَدُّ به الأكلُ ، ويُقَصِّر به الدَّهْرَ (١٣) — لكان ذلك أَوْلَى بك ، وأشْبَهَ بالذى قَدَّمَتْه يدُك .

وبعدُ فلِمَ تُبِيحُ مَصُونَ الطَّعام لمن لا يَحْمَدُك ؟ ومَنْ إنْ حَمِدَك لم يُحْسِن أنْ يَحْمَدك (١٤) ؟ ومَنْ لا يَفْصِلُ بين الشَّهِىِّ الغَذِىّ ، وبين الغَلِيظ الزَّهِم (١٥) ؟

(١) لم نجد له خبرا فيما لدينا من الكتب . وروى الجاحظ فى (البيان والتبيين) بيتا واحدا لرجل يقال له الحارثى . ولا ندرى أهذا هو الحارثى الذى يتكلم عنه هنا ، أم غيره . وهذا هو البيت :

وتعلم أنى ماجد وتروعها بقية أعرابية فى مهاجر

وقوله : بقية أعرابية ، أى بقية من طباع البدو . (٢) غالى بالشىء بذل فيه ثمنا غاليا . (٣) صانع الخبيص (بفتح فكسر) . وهو حلواء كانت تصنع من أشياء متعددة ، فتخبص ، أى تخلط . (٤) الضمير المفعول عائد إلى الطعام . و (تغمه) : بما يرى من نعمتك . (٥) صديقا . (٦) لتعرفه ، أى كرمك وما أنت فيه من الرخاء واليسر . (٧) أى ولا شاكرا لفضل لك عليه ، فتوطد جميلك فى نفسه . (٨) وأنت تعلم الخ ، نظن أن [أنه] سقطت من النسخ المتداولة ، فأثبتناها . و (يتنحى) : يتحول وينقل . (٩) فقد صار الخ ، النهب : ما ينهب ويغار عليه . ومتوزعا : مقتسما . يقال : توزعوا المال : اقتسموه . واستهلكت الشىء مثل أهلكته . (١٠) (أحضرته من ينفع شكره) : جعلت من ينفعك شكره يحضر طعامك . (١١) أى ذكره لك بالخير ، وثناؤه عليك . (١٢) ومن يمتعك الخ ، من يتحدث إليك فتتمتع بحديثه ، ويصغى إليك إذا تكلمت ، فتتمتع باستماعه لك . (١٣) ومن يمتد به الأكل الخ ، أى والذى يطول أكله معك ويلازمك فيه ، فيقصر عليك الزمن بظرفه وإيناسه لك . (١٤) ومن إن حمدك الخ ، أى والذى إن حمدك لا يحسن حمدك ، لجهله وقلة ثقافته . (١٥) ومن لا يفصل الخ ، فى نسخة ليدن : (القدى) ، على وزن غذىّ ، بدل (الغذى) . وهو طيب الطعم والرائحة . وقد سبق تفسير هذه الكلمة . وفى اللسان : قال الأزهرى : الزهومة عند العرب : كراهة ريح بلا نتن أو تغير . وذلك مثل رائحة لحم غث اهـ وغثاثة اللحم : فساده .

قال : يمنعني مِنْ ذلك ما قال أبُو الفَاتِك . قالوا : ومَنْ أبو الفاتِك ؟ قال : قاضى الفِتْيان[١] . وإنّى لم آكل مع أحدٍ قطُّ إلا رأيتُ مِنْه بَعْضَ ماذَمَّه، وبعضَ ما شَنَّعَهُ وقَبَّحَهُ[٢] . فشىءٌ يَقْبُحُ بالشُّطَّار ، فما ظَنُّك به إذا كان فى أصْحاب المُرُوءات وأهلِ البُيُوتات[٣] ؟

قالوا[٤] : فما قال أبو الفَاتك ؟ قال : قال أبو فاتك[٥] : الفَتَى[٦] لا يكون نَشَّافا، ولا نَشَّالا، ولا مِرْسَالًا، ولا لكَّاما، ولا مَصَّاصا، ولا نَفَّاضا، ولَا دَلَّاكا، ولا مُقَوِّرا، ولا مُغَرْبِلا، ولا مُحَلْقِما، ولا مُسَوِّغا، ولا مُبَلْعِماً، ولا مُخَضِّرا .

فكيف لو رأى أبو الفَاتِك اللَّطَّاعَ، والقَطَّاعَ، والنَّهَّاشَ، والمَدَّاد، والدَّفَّاع، والمُحَوِّل ! والله إنِّى لأفَضِّل الدَّهاقِينَ[٧] حينَ عَابُوا الحَسْوَ[٨]، وتَقَزَّزُوا[٩] من التَّعرُّق[١٠]، وبَهْرَجُوا[١١] صاحبَ التَّمْشِيشِ، وحينَ أكلُوا بالبَارْجِين[١٢]، وقَطَعُوا بالسكِّين، ولَزِمُوا عِنْدَ الطعام السَّكْتَةَ[١٣]، وتركوا الخَوْضَ[١٤]، واختاروا الزَّمْزَمة[١٥] .

(١) يظهر أن المراد : بقاضى الفتيان رئيس بعينه لعصابة من اللصوص، بدليل قوله : فشىء يقبح بالشطار الخ .

(٢) ذمه وشنعه وقبحه، متقاربة المعنى . والفاعل يعود إلى قاضى الفتيان . و يقال أيضا : قبحه (من غير تشديد) .

(٣) فشىء الخ، فى اللسان : وشطر عن أهله شطورا وشطورة وشطارة : إذا نزح عنهم وتركهم مراغما (مغاضبا)، أو مخالفا، وأعياهم خبثا . والشاطر مأخوذ منه . وأراه مولدا ... قال أبو إسحاق : قول الناس : فلان شاطر، معناه أنه أخذ فى نحو غير الاستواء اه . والمراد بالشطار هنا الفتاك واللصوص الذين هم فتيانه . وقوله : فشىء، أى فهناك شىء . فهو مبتدأ والخبر محذوف . وأهل البيوتات : أشراف الناس . (٤) هكذا فى نسخة الشنقيطى . وفى نسخة ليدن : (قال) . وليس بصواب . (٥) الحارثى . (٦) يظهر أن كلمة الفتى كانت تطلق فى عرف اللصوص على اللص الكامل المهارة والقوة فى عمله . ومن هنا سمى رئيسهم بقاضى الفتيان . وسيفسر الجاحظ كل هذه النعوت كما يفسر أيضا النعوت فى قوله : فكيف لو رأى الخ . وذلك فى الصفحات من ١٣٦ الى ١٣٩ (٧) جمع دهقان (بكسر فسكون) . قال فى (شفاء الغليل) : فارسى معرب (ده خان)، أى رئيس القرية، ومقدّم أهل الزراعة من العجم اه . والظاهر أنهم كانوا فى ذلك العصر فئة ذات آداب رفيعة . (٨) مصدر حسا الشىء (من باب نصر) . والمراد هنا أن يشرب المرق من الإناء مباشرة .

(٩) تقزز من كذا : نفر وتباعد . (١٠) تعرق العظم : نهش ما عليه من اللحم . وقد سبق شرحه .

(١١) وبهرجوا الخ، فى التاج : الشىء المبهرج كأنه طرح فلا يتنافس فيه اه فمعنى بهرجوا هنا : طرحوا ونبذوا وعابوا . والتمشيش : استخراج المخ من العظم . (١٢) معرب (برجيدن) . ومن معانيها المسمار بالفارسية، كما يؤخذ من معجم (استنجاس) الفارسى الإنجليزى . ولعله كان شيئا كالشوكة يلتقط به الطعام . (١٣) مرة من سكت . ولكن المراد هنا المصدر مطلقا . (١٤) الخوض من الكلام ما فيه الكذب والباطل . لسان . (١٥) الزمزمة : تراطن الأعلاج عند الأكل وهم صموت، لا يستعملون اللسان ولا الشفة فى كلامهم . لكنه صوت تديره فى خياشيمها وحلوقها، فيفهم بعضها عن بعض اه من اللسان . والأعلاج جمع علج (بكسر فسكون)، وهو الرجل من كفار العجم .

أنا والله أحْتَمِـلُ الضَّيْفَ والضَّيفَنَ، ولا أحْتَمِـل اللُّعْمُوظَ (١) ولا الجَرْدَبِيلَ (٢). والواغلُ (٣) أَهْوَنُ عليَّ مِنَ الرَّاشِن (٤).

ومَنْ يَشُكُّ أنَّ الوَحْدَةَ خيرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوء (٥)؟ وأنَّ جَلِيس السُّوءِ خيرٌ من أَكِيل السوء؟ لأنَّ كلَّ أكِيل جَليسٌ، وليس كلُّ جَليس أكِيلًا.

فإنْ كانَ لا بُدَّ مِنَ المُؤَاكلة، ولا بُدَّ من المُشَارَكة، فَمَعَ (٦) مَنْ لا يَسْتَأثِر عليَّ بالمُخِّ (٧)، ولا يَنْتَهِز بَيْضَةَ البُقَيْلة (٨)، ولا يَلْتَهِم كَبِدَ الدَّجاجة، ولا يُبَادِر إلى دِمَاغ (٩) رأس السُّلَاءَةِ (١٠)، ولا يختطف كُلْيَةَ الجَدْيِ، ولا يَزْدَرِدُ قَانِصَةَ (١١) الكُرْكِيّ، ولا يَنْتَزِعُ شَاكِلَةَ (١٢) الحَمَلِ، ولا يَقْتَطِعُ سُرَّةَ الشَّصَر (١٣)، ولا يَعْرِضُ لِعُيُونِ الرُّءوس (١٤)، ولا يستولي على صُدور الدَّجاج، ولا يُسابِقُ

(١) في اللسان: ورجل لعموظ، وامرأة لعموظة: متطفلان ... وهو النهم الشره اهـ. (٢) الجردبيل: هو الذي يأخذ الكسرة بيده اليسرى، ويأكل بيده اليمنى. فإذا فني ما بأيدي القوم أكل ما في يده اليسرى. ويقال: هو يجردب ويجردم ما في الإناء، أي يأكله ويفنيه اهـ ملخصا من اللسان. (٣) الواغل: الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه إليه. لسان. (٤) الراشن: هو الذي يتعهد مواقيت طعام القوم، فيغترهم اغترارا. وهو الذي يقال له الطفيلي اهـ من اللسان. ويغترهم: يأخذهم على غرة. (٥) ومن يشك الخ، استفهام إنكاري، أي لا يشك أحد في ذلك. والوحدة مصدر وحد يوحد (كعلم يعلم)، أي انفرد، وليس معه من يؤنسه. وقد سبق تعريف الأكيل. (٦) (فمع)، أي فلتكن مع الخ. (٧) لا يستأثر علي بالمخ: لا ينفرد به دوني. (٨) قال أبو منصور الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب، في المضاف والمنسوب): بيضة البقيلة تذكر في عيون الأطعمة. ولا يستحسن المبادرة إليها. هجا الحمدوني طفيليا فقال: ويبدرهم إلى بيض البقيلة اهـ. وقد ضبطت في نسخة الشنقيطي على صيغة التصغير. ولم نقف لها على ماهية أو وصف. وفي حاشية (لعيون الأخبار): في الأصل: البيضة المقلية اهـ. (٩) الدماغ: حشو الرأس. وقد يسمى أيضا المخ. (١٠) هكذا في (عيون الأخبار). والسلاءة ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين. جمعه سلاء، كما في المخصص وغيره. وفي النسخ التي بين أيدينا: (السلافة). ونرجح أنه تحريف. لأنا لم نقف للسلافة (بمعنى ضرب من الطير) على أثر في مراجعنا. وفي عيون الأخبار: إلى دماغ السلاءة. (١١) القانصة للطير كالمعدة لغيره. والجمع قوانص. والكركي ضرب من الطير، يقرب من الإوز، أبتر الذنب، رمادي اللون. والجمع كراكي. (١٢) الشاكلة: الخاصرة. (١٣) الشصر من الظباء: الذي قد قوي وتحرك. والجمع أشصار. (١٤) ولا يعرض الخ، أي ولا يتعرض لعيون الرءوس التي على المائدة، أي بأن ينتزعها منها. وفي (عيون الأخبار): الدراج، بدل الدجاج، جمع دراجة بوزن رمانة، طائر جميل المنظر.

إلى أسْقاط الفِراخ[١]، ولا يَتناولُ إلا ما بينَ يَدَيْه، ولا يُلاحِظُ ما بَيْنَ يدىْ غيره، ولا يَتَشهَّى الغرائبَ[٢]، ولا يَمْتَحِنُ الإخوانَ بالأمور الثَّمِينة[٣]، ولا يَهْتِك أسْتارَ الناس : بأن يَتَشهَّى ما عَسَى ألّا يكونَ مَوْجُودا .

وكيف تَصْلحُ الدنيا، وكيف يطيبُ العَيْشُ، مع مَنْ إذا رأى جَزُورِيَّةً[٤] التقطَ الأكبادَ والأسْنِمَةَ[٥]؟ و إذا عايَنَ بَقَرِيَّةً[٦] اسْتَوْلَى على العَرْقِ[٧] والقِطْنَة ؟ و إن أتَوْا بِجَنْبِ شِواءٍ[٨] اكتَسَحَ كلَّ شيء عليـه ؟ لا يَرْحم ذا سِنٍّ لِضَعْفه ، ولا يَرِقُّ على حَدَثٍ لِحدَّة شَهْوَته ، ولا ينظر للعِيال[٩]، ولا يُبالى كيفَ دارتْ بهمُ الحالُ — و إنْ كانَ لا بُدَّ مِنْ ذلك[١٠]، فَمَعَ مَنْ لا يَجْعَلُ نَصِيبَه فى مالى أكْثَرَ من نَصِيبى[١١] .

وأشَـدُّ مِنْ كلِّ ما وصَفْنَا ، وأخْبَثُ مِنْ كُلِّ ما عَدَدْنا ، أنَّ الطبَّـاخ ربمـا أتى باللَّون الطَّريف[١٢]، و ربما قدَّمَ الشيءَ الغريبَ، والعادةُ[١٣] فى مِثْلِ ذلك اللَّوْن أن يكون لَطِيفَ الشخْص[١٤]،

---

(١) ولا يسابق الخ، أى ولا يسابق غيره . وأما الأسـقاط فجمع سقط (بكسر فسكون) وهو جناح الطائر .

(٢) ولا يتشهى الخ ، أى ولا يقول أمام النـاس : أشتهى كذا وكذا ، مرب غريب المأكول أو المشروب وعزيزه ، كأنه يطلب منهم أن يصنعوه أو يحضروه له .

(٣) ولا يمتحن الخ ، أى لا يبتليهم بأن يعدوا له المأكولات التى تكلفهم نفقة كثيرة . والمحنـة (كما فى اللسان) : واحدة المحن التى يمتحن بها الإنسان من بلية اهـ .

(٤) طعاما متخذا من الجـزور . والجزور من الإبل يقع على الذكر والأنثى . و يقال للأنثى أيضا جزورة اهـ من المختار .

(٥) التقط الخ ، أى عمد إلى قطع الأكباد والأسنمة فالتقطها . والأسنمة جمع سنام (بالفتح) . يعنى أن الكبد والسنام خير ما فى الجزور، فهـو يسارع إليهما .

(٦) يقال فى (بقرية) نحو ما قيـل فى (جزورية) .

(٧) اسـتولى الخ، فى اللسان . العرق : القدرة (بكسر فسكون، أى القطعة) من اللحم، وجمعها عراق (بضم ففتح) اهـ . والقطنـة (بفتح فكسر أو بكسر فسكون) ، مثـل الرمانة . وهى التى تكون مع الكرش . وهى ذات الأطباق .

(٨) (جنب شـواء)، يريد جنبا من الشاة مشـويا . وفى اللسان ... والتنور مملوء جنوب شـواء ، هى جمع جنب ، يريد جنب الشاة اهـ .

(٩) (ولا ينظر للعيال) : لا يرق لهم ولا يعطف عليهم ، بل يستأثر بالطيبات دونهم ، ولا يبالى حرمانهم .

(١٠) (من ذلك) : من المؤاكلة .

(١١) فمع من لا يجعـل الخ ،أى الذى إذا آكله لا يأكل أكثر ممـا آكل أنا .

(١٢) الجـديد : المستحدث .

(١٣) الواو للحال .

(١٤) (لطيف الشخص) : صغير الحجم .

صغيرَ الحَجْم، وليس كالطَّفَيْشَلِيَّة (١)، ولا كالهَرِيسة (٢)، ولا كالفُجْلِيّة، ولا كالكُرُنْبِيَّة (٣) . وربّما عَجِلَ عليه (٤)، فقدَّمَهُ حارًّا مُمْتَنِعا (٥) . وربما كان من جَوْهَرٍ (٦) بطِيءِ الفُتُورِ (٧)، وأصحابي في سُهولة ازْدِرادِ الحارِّ عليهم في طِباعِ النَّعام، وأنا في شِدَّةِ الحارِّ عليَّ في طباع السِّباع (٨) . فإنِ انتظرتُ إلى أن يُمْكِن (٩)، أتوا على آخره . وإنْ بَدَرْتُ مَخافةَ الفَوْتِ (١٠)، وأردتُ أنْ أشارِكَهم في بعْضِه لم آمَنْ ضَرَره . والحارُّ ربّما قَتَلَ، وربّما أعْقَم (١١)، وربّما أبالَ الدَّمَ (١٢) . ٥

ثم قال : هذا عَلِيٌّ الأَسْوارِيٌّ أكَلَ مَعَ عيسى بنِ سُلَيْمانَ بنِ عليّ . فوُضِعتْ قُدَّامَهم سَمَكةٌ عَجِيبةٌ، فائقةُ السِّمَنِ . فخاطَ بطنَها لَحْظُه (١٣)، فإذا هُوَ يَكْتَنِزُ شَحْمًا (١٤)، وقد كان غَصَّ (١٥) بلُقْمةٍ (١٦)، وهو لَمُسْتَنْسِقٌ (١٧) . فَفَرَغَ من الشَّراب، وقد غَرَفَ من بطنها كلُّ إنسانٍ منهم بلُقْمته غَرْفَةً . وكانَ عيسى يَنْتخِبُ الأَكَلَة، ويختارُ منهم كلَّ مَنْهُومٍ (١٨) فيه، ومَفْتُونٍ به .

---

(١) الطفيشل : نوع من المرق . فالطفيشلية طعام مجهز بهذا المرق . وفي نسخة ليدن : (كالطفشلية) . ١٠

(٢) الهريس : الحب المهروس، فإذا طبخ فهو الهريسة . لسان . (٣) نظن أن الفجلية والكرنبية لونان كانا يتخذان من الفجل والكرنب . (٤) على ذلك اللون الطريف . (٥) ممتنعا، أي على الآكلين لحرارته . (٦) (جوهر) : أصل أو طبيعة أو مادة . (٧) (بطيء الفتور) : بطيء انكسار الحرارة . (٨) وأصحابي الخ، (في طباع النعام) في موضع خبر (أصحابي)، أي إن أصحابي يسهل عليهم ابتلاع الطعام الحار كما يسهل على النعام . أما أنا فيصعب علي كما يصعب على السباع . ١٥

(٩) (إلى أن يمكن) : إلى أن يفتر الحار، ويكون سهل الابتلاع ممكنه . (١٠) في (عيون الأخبار) : وإن أنا بادرت مخافة الفوت اه وبدر إلى الشيء وبادر بمعنى . (١١) سبب العقم . (١٢) (أبال الدم) : جعل الإنسان يبول دما . (١٣) (خاط بطنها لحظه) : أحاط به نظره . فإنه كما يقال : أحاط به، يقال أيضا : حاطه، بمعنى أحدق به، كما في اللسان . وفي نسخة ليدن : (لحظة)، فيكون فاعل (حاط) يعود إلى عليّ الأسواريّ . (١٤) اكتنز الشيء اكتنازا : اجتمع وامتلأ . (١٥) على الاسواري . ٢٠

والواو للحال . (١٦) غصصت بالطعام (من باب فرح)، فأنا غاص وغصان . (١٧) وهو لمستنسق، الواو للحال . مستنسق : طالب أن يسق . (١٨) نهم في الطعام (من باب فرح)، فهو نهم ونهيم ومنهوم . والضمير في (فيه) و(به) يعود إلى الأكل أو الطعام المستفاد من المقام .

فلمّا خافَ علىٌّ الأسْوارِىُّ الإخْفَاقَ (١)، وأشْفَقَ من الفَوْت، وكان أقْرَبَهم إليه عيسى، استَلَبَ مِنْ يَدِه اللُّقمة بأسْرَعَ من خَطْفَةِ البازِى وانْحِدارِ العُقاب (٢)، مِن غير أن يكونَ أَكَلَ عِنده قَبْلَ مَرَّته (٣). فقيل له: وَيْحَكَ (٤)! استلبتَ لُقمةَ الأميرِ مِنْ يده، وقد رفعها إليه، وشَحَا لها فاه (٥)، من غير مُؤَانَسةٍ ولا مُمَازَحة سَالِفة!.

قال: لم يكُنِ الأمرُ كذلك. وكذَبَ مَنْ قال ذلك! ولكنّا (٦) أهْوَيْنَا أيْدِينَا (٧) معاً، فوقعَتْ يَدِى فى مُقَدَّم الشَّحْمَة، ووقعت يدهُ فى مُؤَخَّر الشَّحْمة معا، والشحمُ مُلْتَبِس (٨) بالأمْعاء. فلمّا رَفَعْنَا أيدِيَنا معاً، كنتُ أنا أسْرَعَ حَرَكَةً، وكانت الأمعاءُ مُتَّصلةً غير مُتَبَايِنَة (٩). فتحوَّل كلُّ شىءٍ كان فى لُقْمَته بتلك الجَذْبَة إلى لُقْمَتى، لاتِّصال الجِنْسِ بالجنس، والجَوْهَرِ بالجَوْهر.

وأنا كيف أُوَاكِلُ أقوامًا يَصْنَعُونَ هذا الصَّنِيع، ثم يَحْتَجُّون له بمثْل هذه الحُجَج (١٠)؟

ثم قال: إنكم تُشِيرونَ علىَّ بملابَسَةِ (١١) شِرَار الخلْق، وأنْذال النَّاس، وبكلِّ عَيَّابٍ (١٢) مُتَعَتِّب (١٣)، وَوَثَّاب على أعْرَاض النَّاس مُتَسَرِّع. وهؤلاء لم يَرْضَوْا [إلا] أنْ يدْعُوَهُمُ النَّاسُ، ولا يَدْعُوا النَّاسَ، وأن يأكُلوا، ولا يُطْعِمُوا، وأن يتحدَّثُوا عن غَيْرِهِم، ولا يبالون أنْ يُتَحَدَّثَ عنهم. وهم شِرارُ النَّاس (١٤).

---

(١) الخيبة. والمراد أنه خشى أن يفوته الظفر بشىء من البطن. (٢) (انحدار العقاب): وقوعها وانقضاضها على الفريسة. و(انحدار) فى نسخة الساسى. وفى نسخة ليدن: (انكدار)، وهو الانقضاض أيضا. (٣) أى ولم يكن على الأسوارى قد أكل عند عيسى بن سليمان قبل ذلك. (٤) ويح كلمة ترحم. وهو منصوب على المفعولية المطلقة. والمراد منها التعجب. (٥) شحا فاه يشحوه ويشحاه شحوا: فتحه. (٦) يعنى نفسه والأمير. (٧) (أهوينا أيدينا): أسقطناها نحو السمكة. (٨) مختلط. (٩) متباينة: متباعدة.

(١٠) وأنا الخ، من كلام الحارثى. وقوله: يحتجون له بمثل هذه الحجج، يشير إلى حجة على الأسوارى التى يدافع بها عن نفسه فيما صنعه مع الأمير. (١١) بملابسة: بمخالطة. (١٢) وبكل عياب، أى: وبملابسة كل عياب. فهو على حذف مضاف. (١٣) التعتب والمعاتبة والعتاب كل ذلك بمعنى. والعياب المتعتب: الذى يكثر من العيب للناس، ثم يعاتبهم على ما يظنه قد فرط منهم فى حقه. (١٤) وهؤلاء الخ، هكذا فى النسخ. وقد زدنا [إلا] بين قوسين ليستقيم الكلام، ويتضح المعنى فى سهولة ويسر. وقد حاولنا تفسيره بغير [إلا] فوقعنا فى تعسف شديد. وجملة (ولا يبالون) حالية، على رأى لبعض النحاة.

ثم قال : أجلَسَ مُعَاوِيَةُ، وهو فى مَرْتَبَـةِ الخلافة، وفى السَّـطْحِ (١) من قُرَيْش، وفى نُبْل الهِمَّة، وإصابةِ الرَّأيِ، وجَـوْدَةِ البيان، وكَمَال الجِسْم، وفى تَمـام النَّفْس عندَ الجَوْلَة (٢)، وعند تَقَصُّفِ الرِّماح، وتَقَطُّعِ السُّيُوف — رَجُلًا على مائدته، مَجْهُولَ الدارِ، غيرَ مَعْرُوفِ النَّسَبِ، ولا مَذْكُورٍ بيومٍ صالحٍ. فأَبْصَرَ (٣) فى لُقْمته (٤) شَعْرَة، فقال : خذِ الشَّعْرَةَ مِنْ لُقْمتِكَ. (ولا وَجْه لهذا القَوْلِ إلا مَحْضُ النَّصِيحةِ والشَّفَقَة). فقَـال الرجلُ : وإنَّكَ لتُرَاعِينِي مُرَاعاةَ مَنْ يُبْصِرُ معها (٥) الشَّعْرَةَ! لا جلستُ لَكَ على مائدة ما حَيِيتُ (٦)، ولا حَكَيْتُها (٧) عنكَ ما بَقِيت!

فلم يَدْرِ الناسُ أيُّ أمْرَىْ معاويةَ كان أحْسَنَ وأَجْمَلَ : تَغافُله عنه (٨)، أَمْ شَفَقَته عليـه؟ فكان هذا (٩) جَزَاءَه (١٠) منه (١١)، وشُكْرَه (١٢) لـــه (١٣).

ثمَّ قال : وكيف أُطْعِمُ مَنْ إنْ رأيتُهُ يُقَصِّرُ فى الأَكل، فقلتُ له : كُلْ ولا تُقَصِّرْ فى الأكل، قال : يَفْطَنُ (١٤) لفَضْل ما بينَ التَّقْصِير وغَيْرِه! وإنْ قَصَّر فلم أَنَشِّطْه ولم أُحُثَّه، قال : لولا أنَّه وافَقَ هَوَاه (١٥)!

---

(١) (فى السطح) : فى الذروة. وفى نسخة الشنقيطى : السطع (بفتح فسكون)، وهو النور المنتشر. ويمكن توجيهه.

(٢) وفى تمـام الخ، أى ثباتها وشجاعتها. والجولة : جولان الأبطال فى الحرب، بعضهم على بعض.

(٣) معاوية. (٤) لقمة الرجل. (٥) (معها) : مع هذه المراعاة. (٦) لا جلست الخ، جواب قسم محذوف، أى والله لن أجلس على مائدتك مدة حياتى. (٧) ولا حكيتها الخ، الضمير المفعول فى (حكيتها) يعود إلى تلك النادرة أو الواقعة. وهو لا يريد أن يحكيها لفظاعتها فى رأيه. وفى عيون الأخبار: ثم خرج الأعرابى وهو يقول :

وللـموت خير من زيارة باخل يلاحظ أطراف الأكيل على عمد

(٨) (تغافله عنه)، أى بعد ماقال ماقال. والمراد بالتغافل هنا الحلم. (٩) (هذا)، أى صنيع الرجل.

(١٠) (جزاءه) : جزاء معاوية. (١١) (منه) : من الرجل. (١٢) (وشكره) : شكر الرجل.

(١٣) (له) : لمعاوية. (١٤) يفطن الخ، أى يتنبه لمـا بين الآكل المقصر وغير المقصر من الفرق. أى : وهذا من خلق الأشحاء. وفى نسخة ليدن : قام ولم يفطن لفضل الخ. وفى تخريجه تكلف.

(١٥) جواب (لولا) محذوف أى : ما سكت.

ثم قال : ومدَّ رجلٌ مِنْ بنى تميم يَدَهُ إلى صاحب الشَّراب يَسْتَسْقِيه، وهو على خُوَان المُهَلَّب (١)، فلم يَرَه السَّاقى، فلم يَفْطَنْ له . فَفَعَل ذلك مِراراً (٢)، والمُهَلَّبُ يَراه (٣)، وقد أمسكَ عن الأكل، إلى أنْ يُسِيغَ لُقْمَتَهُ (٤) بالشَّراب . فلما طالَ ذلك على المُهَلَّب، قال: اسْقِه يا غلامُ ما أحَبَّ مِنَ الشَّراب . فلما سَقَاه استقلَّه (٥)، وطلبَ الزيادةَ منه . وكان المُهَلَّبُ أوْصاهُمْ بالإقلال من الماء، والإكْثار من الخُبْز . قال التَّميميُّ : إنَّكَ لسريعٌ إلى السَّقْيِ، سريعٌ إلى الزِّيادة (٦)!
وحَبَسَ يَدَهُ عن الطعام . فقال المهلَّب : ألْهُ عن هذا (٧) أيُّها الرَّجُل، فإنَّ هذا لا يَنْفَعك ولا يَضُرُّنا! أرَدْنا أمرًا (٨) وأردتَ خِلافَه .

وقد علمتُ أنِّى دُونَ مُعَاوية (٩)، ودُونَ المُهلَّبِ بنِ أبى صُفْرَة، وأنَّهم (١٠) إلىَّ أسْرَعُ، وفى لَحْمِى أرْتَع (١١) .

---

(١) المهلب بن أبى صفرة، ظالم بن سراق الأزدى العتكى، أبو سعيد . قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيد أهل العراق . وقد ولى إمارة البصرة لمصعب بن الزبير . وولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان . فتوفى بها سنة ٨٣ هـ .
(٢) ففعل الخ، فاعل (فعل) يعود إلى الرجل . أى مدّ الرجل يده مرارا .
(٣) أى الرجل . (٤) الرجل . (٥) الضمير المفعول يعود إلى الشراب . والفاعل يعود إلى المهلب . أى إن المهلب استقل ما أعطاه الغلام الرجل من الشراب، وظنه غير كاف، فطلب إلى الغلام أن يزيده من الشراب، لأن المهلب كان قد أمر خدمه بأن يقللوا من الشراب إذا سقوا من على مائدته .
(٦) إنك الخ، أى إن التميمى قد ظن بالمهلب سوءا، حين قال للغلام : (اسقه يا غلام ما أحب من الشراب)، ثم حين طلب من الغلام أن يعطيه زيادة منه . أى إنه ظن أن المهلب يريد أن يمنعه من الأكل بكثرة ما يعطيه من الشراب . فلذا غضب وحبس يده عن الطعام . (٧) (اله عن هذا)، أى دع ما أنت فيه من سوء الظن . (٨) أردنا الخ، أى أردنا بإعطائك ما تشتهى من الماء، وبالاستزادة لك منه، أن نريحك من غصتك . وظننت أنت أننا نريد بذلك أن نمنعك الطعام .
(٩) (دون معاوية ودون المهلب)، أى فى الحلم وسعة الصدر، وفى القدر والمنزلة .
(١٠) الضمير يعود إلى هؤلاء الناس الذين يجب ألا يؤاكلهم، لما لهم من ذميم الصفات التى عددها آنفا .
(١١) وأنهم إلى أسرع، أى إلى ذمى . و(أرتع) اسم تفضيل من رتعت الماشية : إذا أكلت كيف شاءت . والمراد الغيبة، على المجاز .

ثُمّ قال : وفى الجارُودِ بنِ أبى سَبْرَةَ(١) لكُمْ واعظ ، وفى أبى الحارث جُمّيْنٍ زاجرٌ ، فقد كانا يدْعَيان إلى الطعام و إلى الإكرام، لِظَرْفهما، وحَلاوتهما، وحُسْنِ حَديثهما، وقِصَرِ يَوْمِهما(٢) . وكانا يَتَشهّيان الغَـرائب ، ويَقْتَرِحان الطّرائِفَ(٣) ، و يُكَلّفان النّـاس المُؤَنَ الثقال(٤) ، ويمْتَحِنان ما عِنْدَهم بِالكُلَفِ الشّداد(٥) . فكان جزاؤُهُمْ من إحْسانهم ما قد علِمتم(٦) .

قال : ومن ذلك(٧) أنّ بِلالَ بنَ أبى بُرْدَةَ(٨) كان رَجُلًا عَيّابا، وكان إلى أعْراض الأشْراف مُتَسرّعا . فقال للجارُود : كيفَ طعامُ عبـدِ الله بنِ أبى عُثْمان ؟ قال : يُعْرفُ ويُنْكَر(٩) . قال : فكيفَ هُوَ عليـه(١٠) ؟ قال يلاحِظُ اللُّقَمَ(١١) ، ويَنْتَهِرُ السائِلَ(١٢) . قال : فكيفَ طعامُ سَـلْمِ بنِ قُتَيْبَةَ(١٣)؟ قال: طعامُ ثلاثة، وإنْ كانُوا أربعةً جاعُوا . قال: فكيفَ طعامُ تَسْنيمِ بنِ الحَوَارِيّ؟ قال: نُقَطُ العَرُوسِ(١٤) . قال : فكيفَ طعامُ المُنْجابِ بن أبى عُيَيْنَةَ؟ قال : يَقُول : لا خَيرَ فى ثلاثِ أصابعَ

---

(١) فى البيان والتبيين : و يكنى أبا نوفل . من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلقا . وكان من الشيعة . ولما استنطقه الحجاج قال : ما ظننت أن بالعراق مثل هذا اه .
(٢) (وقصر يومهما) ، أى لما يبعثان من الأنس والسرور فى المجالس .
(٣) جمع طريفة . والمراد بها هنا الأطعمة الطيبة المستجادة الغريبة .
(٤) جمع مؤنة ، وهى الثقل (بكسر فسكون) . والمراد بالمؤن الثقال : التكاليف الكبيرة .
(٥) ويمتحنان الخ، أى يزلان المحن بما عند الناس من المال بسبب هذه الكلف الصعبة — والكلفة ما يكلفه الإنسان على مشقة .
(٦) فكان جزاؤهم الخ، أى فكان جزاء الناس من إحسانهم إليهما (ما قد علمتم) ، وهو الذم والتشنيع .
(٧) ومن ذلك ، أى من جحود هذين الرجلين للإحسان .
(٨) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى . كان قاضيا وأميرا . قال الجاحظ فى (البيان والتبين) : ولى منبر البصرة أربعة من القضاة ، فكانوا قضاة أمراء . بلال ، وسوار ، وعبيد الله ، وأحمد بن رباح (بفتح الراء) اه .
(٩) (ينكر) ، من الإنكار وهو الجحود . والمراد : يحب و يكره ، أى يحب تارة و يكره أخرى . أو يحب من ناحية و يكره من أخرى .
(١٠) (فكيف هو عليه) ، أى فكيف حاله إذا جلس على مائدته مع الناس ؟
(١١) (يلاحظ اللقم) : يلاحظ الآكلين (على المجاز)، ليعرف من يأكل قليلا، ومن يأكل كثيرا .
(١٢) (وينتهر السائل)، أى إذا طلب أحد الجالسين على مائدته شيئا نهره .
(١٣) هو سلم بن قتيبة بن مسلم . ولاه ابن هبيرة البصرة . ثم تولاها لأبى جعفر . ومات بالرى .
(١٤) قال فى التاج : ونقطت المرأة وجهها وخدها بالسواد ، تحسن بذلك اه فعنى أن طعامه كنقط العروس، أنه قليل جدا كتلك النقط التى تجعل للعروس على وجهها وخدها .

فى صَحْفَةٍ[1] — حتّى أتَى على عامّةِ أهلِ البَصْرَة ، وعلى كلِّ مَنْ كان يُؤْثِرُه بالدَّعْوة ، و بالأُنْسَةِ والخاصَّةِ[2] ، ويحكِّمُه فى مالِه . فلم يَنْجُ منه[3] إلا مَنْ كان يُبْعِدُه ، كما لم يُبْتَلَ به[4] إلاّ مَنْ كان يُقرِّبُه !

وهذا أبو شُعَيبٍ القَلّالُ[5] فى تقْرِيب مُوَيْسٍ له ، وأنْسِه به ، وفى إحْسانه إليه ، مع سخائه[6] على المأكول ، وغَضِّ طَرْفه عَنِ الأكِيل ، وقِلّة مُبالاته بالحِفْظ[7] ، وقِلّة احتفالِه[8] بجَمْع الكثير — سُئِلَ عَنْهُ أبو شُعَيب ، فزَعَمَ أنّه لم يَرَ قَطُّ أشَحَّ مِنْهُ على الطّعام . قيل : وكيف ؟ قال : يَدُلُّك على ذلك أنّهُ يصْنعه صَنْعةً ، ويهيِّئه تَهْيِئةَ مَنْ لا يُرِيدُ أنْ يُمَسَّ ، فَضْلاً عَلَى غيرِ ذلك[9] ! وكيف يَجْترِئُ الضِّرسُ على إفْسادِ ذلك الحُسْنِ ، ونَقْض ذلك النَّظْمِ ، وعلى تفْـريق ذلك التأليف ! وقد عَلِمَ[10] أنّ حُسْنَه يُحْشِمُ ، وأنّ جمـالَه يَهِيبُ منه[11] . فلو كان سَخيًّا[12] لم يَمْنَعْ منه بهذا السِّلاح ، ولم يَجْعَلْ دُونَه الجُنَنَ[13] . فحَوَّلَ[14] إحسانَه إساءةً و بذْلَه مَنْعًا ، واستدعاءَه إليه نَهْيًا .

---

(١) لا خير الخ ، عرف الصحفة فى اللسان بأنها قصعة مسلطحة تشبع الخمسة . ولكن المراد بها هنا ما يؤكل فيه مطلقا . والعبارة كناية عن كرهه للآكل عنده مطلقا ، سواء عليه أأكل قليلا أم كثيرا . (٢) حتى أتى الخ ، أى : وما زال الجارود يتكلم فى رجل بعد رجل ، حتى نال بالذم والقدح جميع أهل البصرة . والأنسة : الأنس . و (الخاصة) ، أى باختصاصه به ، أى بأن يكون من خواصه الملازمين له . و (الخاصة) من مصادر خص . راجع اللسان .

(٣) فلم ينج منه ، أى من ذمه . (٤) كما لم يبتل به ، أى بذمه . (٥) من أصحاب الجاحظ ، وله مع الجاحظ نادرة ظريفة . انظر كتاب (أدب الجاحظ) للسندوبى ، ص ٢٠٦ (٦) سخاء مويس .

(٧) يراد بالحفظ هنا جمع المال وادخاره والمحافظة عليه . (٨) حفلت كذا وبكذا أحفل (بكسر الفاء) ، واحتفلت به : باليت به . يقال فى الإثبات والنفى . (٩) (فضلا على غير ذلك) ، المعروف فى اللغة : فضلا عن كذا . قال فى المصباح : وقولهم : لا يملك درهما فضلا عن دينار الخ . ويريد الجاحظ بهذه العبارة : فضلا عن أكله . أى : فأكله أولى بالمنع . (١٠) وقد علم الخ ، الواو للحال . وفاعل (علم) يعود إلى (مويس) . و(يحشم) : يخجل .

(١١) (يهيب منه) ، هكذا فى النسخ ، أى يجعل الناس يهابونه . ولم نجد هذا التعبير فى مراجعنا . وفى الأساس : وهيبه إلى : جعله مهيبا عندى اه . (١٢) فلو كان سخيا الخ ، اسم كان يعود الى (مويس) . والضمير فى (منه) يعود إلى الطعام . ومفعول (يمنع) محذوف ، أى لم يمنع الناس منه . يقال : منعه الشىء ، ومنعه من الشىء . والمراد بالسلاح ذلك الجمال الذى يجمل به طعامه ، فتهابه الناس . فالكلام على المجاز . (١٣) (الجنن) ، جمع جنة ، وهى السترة والمانع . والكلام هنا على المجاز أيضا . (١٤) فحول الخ ، أى فأصار مويس بصنيعه هذا إحسانه إلى الناس بدعوتهم إلى طعامه إساءة لهم ، و (إليه) : إلى طعامه . و (نهيا) ، أى لهم عنه .

قال : ثم قيـل لأبى الحـارث جُمَّيْنٍ [١] : كيف وَجْهُ محمـدِ بنِ يَحْيَى على غَدَائه ؟ قال : أما عيناه فَعينَا مَجْنُون !

وقال فيه أيضا : لو كان فى كفه كُرُّ خَرْدَلٍ [٢] ، ثم لَعِبَ به لَعِبَ الأُبُلِّىِّ [٣] بالأُكْرَة ، لما سَقَطتْ مِن بينِ أصابعه حَبّةٌ واحدة !

وقيلَ له أيضا : فكيفَ سخاؤُه على الخُبْزِ خاصّةً [٤] ؟ قال : والله لو أُلْقِيَ [٥] إليـه من الطَّعَام بِقَدْر ما إذَا حبَسَ نَزْفَ السَّحَاب [٦] ، ماتجافَى عن رَغيف !

وكان أبو نُوَاسٍ يَرْتَعِي [٧] على خُوانِ إسماعيل بنِ نَيْبَخْتَ [٨] ، كما تَرْتَعِي الإبلُ فى الحَمْض بَعْـدَ طُول الخُلَّة [٩] ! ثم كان جَزاؤُه منه أنّه قال :

خُـبْزُ إسماعيـلَ كالوشْـ ـيِ إذا ما شُـقَّ يُرْفَى [١٠]

(١) الحـارثى . (٢) الكر مكيال يقدر بنحو ٥٧٦٠ رطلا عراقيا . (٣) الأبلى نسبة إلى (الأبلة) ، قال فى القاموس : موضع بالبصرة ، أحد جنان الدنيا اهـ و يظهر أنه كان لرجال هذا البلد شهرة فى خفة اليدين فى اللعب بالكرة ، وتلقفها من الهواء . وفى هذا التمثيل إغراق فى تبخيل محمد بن يحيى . (٤) خاصة مصدر منصوب فى موضع الحال من الخبز ، أى حال كون الخبز منفردا من بين سائر الطعام . (٥) لو ألق الخ ، هكذا فى نسخة الشنقيطى . والطعام : البر (بضم الباء) . أى لو أعطى من الطعام مقدارا لو جعل كومة واحدة ، فارتفعت حتى وصلت إلى السحاب ، فنعت ماءه من أن يصل إلى الأرض ، ما تجافى الخ ، و(نزف) مصدر نزف (من باب ضرب) ، أى نزف السحاب ماءه — والعبارة فى نسخة ليدن هكذا : (بقدر ما إذا جلس فوق السحاب يؤثر) . والتحريف فيها ظاهر . ووضع (إذا) فى العبارة غريب . (٦) تجافى عن الشىء : نبا وتباعد . أى لم تسخ نفسه برغيف .

(٧) رعت الماشية الكلأ ونحوه ، وارتعته : أكلته . والكلام على المجاز . (٨) هكذا فى نسخة ليدن . وفى (عيون الأخبار) : نوبخت . وهو أبو سهل إسماعيل بن على بن نوبخت ، من كبار الشيعة . وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين (علماء التوحيد) . وله كتب فى هـذا العلم . وقد ترجم له ابن النديم فى (الفهرست) .

(٩) كما ترتعى الإبل الخ ، الحمض من النبات ما كان فيه ملوحة . والخلة ما سوى ذلك . وتقول العـرب : الخلة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها اهـ مصباح . وقوله : (بعد طول الخلة) ، أى بعـد طول رعى الخلة . فالكلام على حذف مضاف . يعنى أن أبا نواس كان على ذلك الخوان كما تكون الإبل فى الحمض بعد غيابها فى الخلة طويلا ، إيغالا فى الأكل واندفاعا إليه . (١٠) خبز إسماعيل الخ ، الوشى : نوع من الثياب الموشية ، تسمية بالمصدر . تقول وشيت الثوب (من باب ضرب) ، إذا رقمته ونقشته . و(يرفى) : يصلح . ووجه الشبه الحرص والمحافظة فى كل . فكما يحافظ على الوشى بالرفو ، يحافظ أيضا على الرغيف . وهذا البيت من قصيدة له ، تجدها فى (عيون الأخبار) .

وقال :

وما خُبْزُهُ إلا كُلَيْبُ بنُ وائلٍ لَيَالِىَ يَحْمِى عِزُّه مَنْبِتَ البَقْلِ[1]

وكان أبو الشَّمَقْمَقِ[2] يَعِيبُ فى طعام جَعْفَرِ بنِ أبى زُهَيْرٍ، وكان له ضَيْفاً. وهو مع ذلك يقول :

رأيتُ الخُبزَ عزَّ لَدَيْكَ حتَّى * حَسِبْتُ الخبزَ فى جوِّ السَّحابِ

وما رَوَّحْتَنَا لِتَذُبَّ عَنَّا * ولكِنْ خِفْتَ مَرْزِئَةَ الذُّبابِ[3]

وقيل للجَمَّاز[4] : رأيناك فى دِهْلِيزِ فُلانٍ، وبين يدَيْك قَصْعَةٌ وأنتَ تأكل. فمِن أىِّ شىءٍ كانت القصعةُ ؟ وأىُّ شىءٍ كان فيها ؟ قال : قَىْءُ كلبٍ فى قِحْفِ خنزير !

وقيل لرجل مِنَ العَرَب : قد نزلتَ بجميع القبائل، فكيف رأيتَ خُزَاعَة ؟ قال : جوعٌ وأحاديثُ[5] !.

ونزلَ عَمْرُو بنُ مَعْدِيكَرِبَ[6] برَجُلٍ مِنْ بَنِى المُغِيرة، وهم أكثرُ قُرَيْشٍ طعاماً. فأتاه بما حَضَر. وقد كانَ فيما أتاه به فَضْلٌ. فقال لعُمَرَ بنِ الخطَّاب، وهم أخوالُه[7] : لِئَامَ بَنِى المُغِيرة[8] يا أميرَ المُؤْمنين ! قال : وكيفَ ؟ قال نزلتُ بهم فما قَرَوْنِى غيرَ قَرْنَيْنِ وكَعْبِ ثَوْرٍ[9].

---

(١) وما خبزه الخ، يقولون : أعز من كليب بن وائل. وهو كليب بن ربيعة، من بنى تغلب بن وائل. يقول : إن خبزه عزيز المنال، كعزة كليب بن وائل فى تلك الليالى التى يحمى فيها منابت بقله. (٢) مروان بن محمد، أبو محمد، الشاعر المعروف بأبى الشمقمق. قدم بغداد فى أيام هارون الرشيد. قال أبو العباس المبرد : كان ربما لحن، ويهزل كثيرا. وهو بصرى اهـ من تاريخ بغداد. (٣) (روّحتنا) : جلبت لنا الهواء بالمروحة. (لتذب) : لتدفع عنا الذباب. و(مرزئة الذباب) : نقص الذباب طعامك. ففى اللسان : رزأه يرزؤه (كعلم يعلم) رزءا (بضم فسكون)، ومرزئة : أصاب منه خيرا ما كان اهـ يعنى أنك لم تفعل ذلك إلا من خوف الذباب أن ينقص طعامك.

(٤) هو أبو عبد الله بن عمرو الجماز. كان شاعرا هجاء خبيث اللسان، داهيا منكرا وله نوادر وطرائف وملح. وهو ابن أخت سلم بن عمرو الشاعر المعروف بالخاسر اهـ موجزا من ترجمة مفصلة له فى (أدب الجاحظ) للسندوبى. وروى له الجاحظ كلاما فى البيان والتبيين. منه قوله : الحمية إحدى العلتين. وفى نسخة ليدن : للجهاز. (٥) (جوع وأحاديث)، أى لا شىء عندهم إلا حسن المحادثة. وخزاعة حى من الأزد، سموا بذلك لأنهم تخزعوا عن قومهم وأقاموا بمكة. قاموس. (٦) عمرو بن معديكرب الزبيدى، فارس اليمن، وبطل من أبطال العرب فى الجاهلية والإسلام. شهد كثيرا من الوقائع أيام الفتوح. ومات غازيا بنهاوند، وقد عمر، سنة ٢١ هـ. (٧) يعنى بنى المغيرة. فإن أم عمر ابن الخطاب هى : حنتمة بنت هاشم بن المغيرة. (٨) (لئام بنى المغيرة)، (لئام) منصوب على أنه مفعول لفعل محذوف، تقديره : (أشكو) مثلا. (٩) نزلت بهم الخ، قريت الضيف : أحسنت إليه بالطعام وغيره. وقوله : (قرنين) فى نسخة (ليدن) : (قربين)، وهو تحريف. (وكعب ثور)، الكعب كل مفصل للعظام. قاموس.

قال عُمَرُ : إنّ ذلك لَشُبْعَةٌ (١) .

وكَمْ قَدْ رأينـا من الأعراب مَنْ نَزَلَ بِرَبِّ صِرْمَة (٢) ، فأتاه بلَبَنٍ وتَمْرٍ وحَيْسٍ (٣) وخُبْزٍ وسَمْنٍ سِلاءٍ (٤) . فباتَ ليلتَه، ثم أصبحَ يهجُوه : كيفَ لم يَنْحَر له (٥) — وهو لا يُعرَفُ — بعيرًا من ذَوْدِه، أو مِنْ صِرْمَتِه ! ولو نَحَرَ هذا البائسُ لكلِّ كَلْب مَرَّ به بَعيرًا، مِنْ مخافةِ لِسَانه، لما دَارَ الأُسْبُوعُ إلّا وهو يَتعرَّضُ للسابِلَة (٦) ، يتكفَّفُ الناسَ (٧) ، ويَسْأَلُهُمُ العُلَقَ (٨) !

وسأَلَ زيادٌ (٩) عَنْ رَجل مِنْ أصْحـابه ، فقِيلَ : إنه لَمُلازِمٌ، وما يُغِبُّ غَدَاءَ الأمير (١٠) . فقال زيادٌ : فَلْيُغِبَّه ، فإنّ ذلك ممّـا يَضُرُّ بِالعِيَال (١١) . فألزَمُوه الغِبَّ . فعابُوا زيادًا بذلك (١٢) . وزَعَمُوا أنّه استثقلَ حُضُورَه في كلِّ يَوْم ، وأراد أن يَزْجُرَ به غيرَه (١٣) ، فيُسقِطَ عَنْ نفسه وعن ماله مؤُونةً عظيمةً .

(١) الشبعة من الطعام : قـدر ما يشبع مرة — وقد أراد عمرو بن معـد يكرب السخر من بنى المغيرة . فردّ عمر رضى الله عنـه عليه سخره بقوله هـذا . (٢) الصرمة من الإبل : ما بين العشرة إلى الأربعين .

(٣) الحيس تمـر ينزع نواه ويدق مع أقط ، ويعجنان بالسمن . ثم يدلك باليد حتى يبقى كالزيد . والأقط (بفتح فكسر) يتخـذ من اللبن المخيض، يطبخ ثم يترك حتى يمصل (من باب نصر) . مصباح . والمصل ماء الأقط، إذا طبخ ثم عصر . (٤) سمن السلاء : السمن الذى سلئ حتى ذهب أثر الزبد منه . وقد تقدّم شرحه .

(٥) كيف لم ينحر الخ ، (كيف لم ينحر) ، هذه الجملة بدل من مفعول (يهجو) ، أى يهجوه عدم نحره بعيرا له — ونظيره فى إبدال الجملة من المفرد قوله :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة وبالشام أخرى : كيف تلتقيان

قال ابن هشام فى المغنى : أى أشكو هاتين الحاجتين تعذر التقائهما . وقوله : (وهو لا يعرف) ، أى وهذا الرجل الأعرابى مجهول ، غير معروف . وقد تقدّم تعريف الذود فى قصة مريم الصناع . (٦) سبق تعريفه .

(٧) يمـدّ إليهم كفه بالمسألة . (٨) جمع علقة . وهو كل ما يتبلغ به من العيش . ويقولون : لم يبق عنـده ، علقة : شىء . (٩) زياد بن أبيه . وقد سبق الكلام عليه . (١٠) أغبنا فلان : جاءنا يوما ، وتركنا يوما . فقوله : (مايغب غداء الأمير) ، معناه : لا ينقطع عنه . (١١) عيال الرجل وعيله (بفتح فتشديد الياء مكسورة) : الذين يتكفل بهـم ويعولهم . وقد يكون العيل واحدا . ويطلق العيـل أيضا على الفقـير . (١٢) بذلك : بأمره بأن يغبه صاحبه . (١٣) أن يزجر الخ ، أى أن يجعله عبرة لغيره، حتى لا يلازم أصحابه منزله .

وإنما كان ذلك من زياد على جهة النظر للعيالات[(١)]، وكما ينظر الراعي للرعية[(٢)]، وعلى مذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه[(٣)]. (وقد قال الحسن[(٤)]: تشبّه زياد بعمر فأفرط، وتشبّه الحجاج بزياد فأهلك الناس) — فجعلتم ذلك عنتاً منه[(٥)].

وقال يوسف بن عمر[(٦)] لقوّام[(٧)] موائده: أعظموا الثريدة، فإنها لقمة الدرداء[(٨)]: فقد يحضر طعامكم الشيخ الذى قد ذهب فمه[(٩)]، والصبىّ الذى لم ينبت فمه. وأطعموه ما تعرقون[(١٠)]؛ فإنه أنجع وأشفى للقرم[(١١)].

فقلتم: إنما أراد العجلة والراحة بسرعة الفراغ[(١٢)]، وأن يكيدهم بالثريد[(١٣)]، ويملأ صدورهم بالعُراق[(١٤)].

---

(١) وإنما كان الخ، (كان) هنا تامة. أى ما صدر ذلك عن زياد إلا مراعاة لمصلحة عياله. والعيالات جمع عيال. ولم نره فى مراجعنا. وإنما جمع الجمع المسموع: عيايل، كما فى القاموس وشرحه.

(٢) وكما ينظر الخ، (كما) معطوف على (على جهة)، أى: إنما كان ذلك من زياد كما ينظر الخ. و(ما) فى (كما) مصدرية — يعنى أن زيادا بفعله هذا كان يراعى مصلحة عياله، كما يراعى الراعى رعيته.

(٣) وعلى مذهب الخ، (على مذهب) معطوف أيضا على (على جهة). (٤) أبو سعيد الحسن ابن يسار البصرى، تابعى. كان إمام أهل البصرة. وهو أحد العلماء الفقهاء الصلحاء الشجعان النساك. وكان يتفجر من كلامه الحكمة والفصاحة. وله حكم جرت مجرى الأمثال. وأخباره كثيرة. وسيرته عجيبة، تطلب فى المطولات. توفى سنة ١١٠ هـ. رضى الله عنه. (٥) العنت هنا: الخطأ. والفعل من باب تعب. و(منه): من زياد. (٦) يوسف بن عمر الثقفى. وهو ابن عم الحجاج. كان طاغيا. وأخباره مبسوطة فى المطولات. فلتراجع هناك. (٧) من يقومون بشؤونها ويتعهدونها. (٨) أعظموا الثريدة الخ، أى اجعلوا الثريدة كبيرة على مائدتى. والدرداء مؤنث الأدرد، وهو من سقطت أسنانه. ومعنى قوله: (لقمة الدرداء) أنها لينة. (٩) (قد ذهب فمه): سقطت أسنانه. مجاز مرسل، من إطلاق الكل وإرادة الجزء. وكذا يقال فى قوله: (لم ينبت فمه). (١٠) (وأطعموه ما تعرقون)، الهاء فى (أطعموه) تعود إلى الآكل المستفاد من المقام. وعرق العظم: أخذ معظم ما عليه من اللحم. أى ضعوا على المائدة هذا العراق (بضم العين). وفى نسخة ليدن: (ما تعرفون) بالفاء. وهو تحريف. (١١) فإنه الخ، أى فإن ذلك الذى أمرتكم به (أنجع)، أى أعظم فائدة. والقرم: أشد الشهوة إلى اللحم. (١٢) بسرعة الفراغ، أى فراغ من على مائدته من الأكل. (١٣) المصدر المؤول من أن والفعل منصوب، معطوف على (العجلة).

(١٤) بالعراق: بالعظم عليه رقائق اللحم.

وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليــه وسلّم : سيّدُ الطّعام الثّريدُ ، ومَثَلُ عائِشَــةَ فى النّساء مَثَلُ الثّريد فى الطعام — ولِعِظَمِ صَنْعَةِ الثّريد فى أعيُنِ قُرَيْش سَمَّوْا عَمْرو بنَ عَبْدِ مَنَافٍ بهاشم ، حينَ هَشَمَ الخُبزَ، واتّخذَ منه الثّريدَ، حتّى غلبَ عليه الاسمُ المشتقُّ له مِنْ ذلك .[1]

وقال عَوفُ بنُ القَعْقَاع[2] لمولاه[3] : اتّخذْ لنا طعاماً يُشْبِـعُ فَضْلُه أهلَ المَوْسِم .

قلتم[4] : فلما رأى[5] الخُبزَ الرُّقاقَ والغُلاظَ[6] والشِّواءَ والألوانَ، واسـتِطْرافَ الناسِ للّون بَعْـدَ ٥ اللون[7] ، ودَوَامَ أكْلِهم لِدَوامِ الطُّـرَف ، وأنَّ ذلك لَوْ كانَ لَوْنًا واحدا لَكانَ أقَلَّ لأَكْلِهم ، قال : فهلا[8] فعلتَه طعامَ يَدٍ ، ولم تجعله طَعَامَ يَدَيْنِ !

فقلتم : اتّسَـعَ[9] ثم ضاقَ ، حين أرادَ إطْعامَهـُم الثّريدَ والحَيْسَ ، وكلَّ ما يُؤْكل بِيَـدٍ دُونَ يَدَيْنِ .

والقَعْقاعُ عربىٌّ كَرِهَ لمولاه أن يَرْغَبَ عَنْ[10] طعام العَرَب، إلى طعام العَجَم . وأراد دَوَامَ ١٠

---

(١) وقد قال الشاعر :

عمرو العـــلا هشم الـثريد لقومه * ورجال مكـة مسنتون عجـاف

مسنتون : مجدبون . وعجاف جمع أعجف، وهو الهزيل . وقال فى القاموس : وعبد مناف أبو هاشم وعبدشمس والمطلب وتماضر (بضم التاء وكسر الضاد) وقلابة (بكسر القاف) اهـ . (٢) عوف بن القعقاع صحابى، كما فى (التاج) . وقوله : لمولاه، هو هنا من يلى أمره و يقوم بخدمته . (٣) كل مجتمع من الناس كثير ١٥ موسم، كما فى اللسان . ولعله يريد موسما من تلك المواسم العربية، كموسم الحج وموسم منى . (٤) يخاطب الحارثى أصحابه . و (قلتم) ، أى قال أمثالكم من المتطفلين العايبين . وقد سبق نظيره فى قوله : فقلتم : إنما أراد العجلة الخ . (٥) أى عوف بن القعقاع . (٦) الرقاق والغلاظ : الرقيق والغليظ .

(٧) استطراف النـاس الخ ، أى عدهم ذلك طريفا ، أى شائقا ممتعا . (٨) هلا للتحضيض، أى كان عليك أن تعمله كذا وكذا، وقوله : (فعلته)، يخاطب مولاه . (٩) اتسع ، أى عوف بن القعقاع ٢٠ حين قال لمولاه : اتخذ لنـا طعاما الخ ، فصـنع مولاه ماصـنع . (ثم ضاق) ، أى حين قال : فهلا الخ .

(١٠) فى نسخة (ليدن) : (من) . والصواب (عن) ، كما فى نسخة الشنقيطى .

قَومِه على مِثْل ما كانُوا عليه ، وعلى أنّ الثّروة تَفْتَخُهُمْ وتُفْسِدهم(١) ، وأنّ الذى فُتِحَ عليهم مِنْ بَابِ التّرفُّه ، أشَدُّ عليهم مِمّا غُلِّق عليهم من بَابِ فُضُول اللّذة(٢) .

وقد فَعَلَ عُمَرُ مِنْ جهة التأديب أكثَرَ مِنْ ذلك ، حينَ دُعِىَ إلى عُرْس ، فرأى قِدْرا صَفْرَاءَ(٣) ، وأخْرَى حَمْرَاء ، وواحدةً مُرَّةً(٤) ، وأخْرَى حُلْوةً ، وواحدةً مُحْمَضَةً(٥) . فَكَازَها(٦) كلّها فى قِدْرٍ عَظيمةٍ ، وقال : إنّ العربَ إذا أكلتْ هذا قَتَلَ بعضُها بعضا(٧) .

تفسير كلام ابى فاتك

أما قَوْلُه : الفَتَى لا يكون نَشّالا ، (فالنّشّال) عِنْدَه الذى يَتَناوَلُ من القِدْرِ ، ويأكلُ قَبْلَ النُّضْجِ ، وقبلَ أن تُنْزَلَ القِدْرُ ويَتَتَامَّ القومُ(٨) .

(والنّشّافُ) الذى يأخذ حَرْفَ الجَرْدَقة(٩) فَيَفْتَحُه ، ثم يَغْمِسُهُ فى رأس القِدْر ، ويُشْرِبُه الدّسَمَ ، يستأثِرُ بذلك دُونَ أصْحابه .

(١) وعلى أن الثروة الخ ، (على أن) معطوف على (مثل) . والكلام على حذف مضاف ، أى : أراد دوام قومه على عقيدة أن الثروة الخ . والمراد بالثروة هنا ما ينجم عنها من الترف والنعم . و (تفتخهم) : تذلهم ، كما فى اللسان . (٢) وأن الذى الخ ، (أن) معطوف أيضا على (مثل) ، أى : وعلى أن الذى الخ . والترفه : التنعم . وفى نسخة (ليدن) : (الترفة) ، بضم فسكون ، وهى أيضا التنعم . والفضول جمع فضل ، وهو الزيادة . قال فى المصباح : وقد استعمل الجمع استعمال المفرد فيما لا خير فيه . ولهذا نسب إليه على لفظه ، فقيل : فضولى اه . يعنى أن القعقاع أراد دوام قومه على عقيدة أن هذا الباب الذى فتح عليهم من الترفه والنعيم (وهو ما نشأ من اتساع الفتوح الإسلامية) ، أشد وبالا عليهم فى خلقهم ومعاشهم ، مما كانوا فيه قبل ذلك من حقير اللذات .

(٣) صفراء ، أى مافيها من الطعام أصفر . وكذا يقال فى (حمراء) . (٤) مافيها من الطعام مر : وليس معنى ذلك أن النفس تعافه . بل معناه أنه لون تشوبه مرارة للتشهى مثلا . (٥) قد وضع فيها شىء حامض كالليمون أو الخل . وهو اسم مفعول ، من أحمضه : جعله حامضا . (٦) كاز الشىء (من باب قال) : جمعه . و يقصد عمر رضى الله عنه بذلك إلى تشويه طعوم هذه الألوان ، ليكون ذلك أبعد من التنعم والتلذذ ، وأقرب إلى البداوة .

(٧) إن العرب الخ ، يعنى أن العرب إذا تفننت فى إعداد ألوان الطعام ، واعتادت الرفه (بفتح فسكون) ، اقتتلت على تحصيل الملاذ ووسائل النعيم . وقوله : (أكلت هذا) ، أى نحو هذه الألوان المتعددة ، ذات الطعوم المختلفة اللذيذة .

(٨) يتتام القوم : يكمل عددهم على المائدة . (٩) الجردقة : الرغيف ، معرب . وقد سبق تفسيره .

(والمُرْسَال) رَجُلَان: أَحَدُهما إذا وَضَع فى فمه لُقْمَةَ هَرِيسةٍ أو ثَرِيدةٍ أو حَيْسَةٍ(١) أو أَرْزَةٍ، أرسلها فى جَوْف حَلْقِهِ إرْسالا. والرجلُ الآخَرُ: هو الذى إذا مَشَى فى أَشِبٍ(٢) مِنْ فَسِيلٍ(٣) أو شَجَرٍ، قَبَضَ على رأس السَّعَفَةِ، أو على رأس الغُصْن، لِيُنَحِّيَهَا عَنْ وَجْهه(٤). وإذا قَضَى وَطَره أرسلَهَا من يَده. فهى لَا مَحَالَةَ تَصُكُّ وَجْهَ صاحبه الذى يَتْلُوه، لا يَحْفِلُ بذلك(٥)، ولا يَعْرِف ما فيه(٦).

٥ وامّا (اللكَّام) فالذى فى فيه اللُّقْمَة، ثم يَلْكُمُها بأخْرى(٧)، قبلَ إجادة مَضْغِها أو ابتلاعِها.

(والمصَّاص) الذى يَمُصُّ جَوْفَ قَصَبةِ العَظْمِ، بعد أنِ استَخْرَجَ مُخَّه، واستأثَرَ به دُونَ أصْحَابه.

وأمَّا (النَّفَّاضُ) فالذى إذا فَرَغَ من غَسْلِ يده فى الطَّسْت، نَفَضَ يَدَيْه من الماء، فنضَحَ(٨) على أصْحابه.

١٠ وأمَّا (الدَّلَّاكُ) فالذى لا يُجِيد تَنْقِيَةَ يديْه بالأُشْنَانِ، ويُجِيد دَلْكَهُمَا بالمنْديل(٩). وله أيضًا تفسير آخَرُ — وليس هو الذى نظُنُّه(١٠) — وهو مَلِيح. وسيقع فى مَوْضِعه(١١)، إن شاء الله.

---

(١) الحيسة فى الأصل مرة من الحيس، ثم أطلق على ما يحاس. ويسمى أيضا الحيس. وهو طعام كان يتخذ من تمر يخلط من سمن وأقط (الأقط: اللبن يغلى و يترك حتى يمصل)، ثم يعجن شديدا، ثم ينزع منه نواه. و يراد بالأرزة هنا طعام يعمل من الأرز، وإن لم ترد ذلك فى مراجع اللغة. (٢) الأشب الملتف. يقال: أشبت (بفتح فكسر) الغيضة: التفت. (٣) الفسيل: صغار النخل. والجمع فسلان (بضم فسكون). والواحدة ١٥ فسيلة. وهى التى تقطع من الأم، أو تقلع من الارض فتغرس. مصباح. (٤) قبض الخ، السعف: أغصان النخل ما دامت بالخوص. فإن زال الخوص عنها قيل: جريد. الواحدة سعفة. مصباح. وقد أعاد الضمير على السعفة وحدها، على طريقته من الإيجاز والطرافة. (٥) لا يحفل بذلك: لا يبالى به.

(٦) ولا يعرف ما فيه: لايدرى ما يحدث عنه من الضرر. (٧) يلكمها بأخرى: يضربها بها. ٢٠ والمراد: يدفع لقمة وراء أخرى قبل إجادة مضغ السابقة أو ابتلاعها، لشراهته. (٨) مفعول نضح محذوف، أى الماء. والنضح: الرش. (٩) فالذى يجيد الخ، سبق تعريف الأشنان. وقوله: (ويجيد دلكهما بالمنديل)، أى بمنديل المائدة، وهو ما يوضع عليها للضيف، يمسح به يديه بعد غسلهما. فهو يستعمل المنديل مكان الماء والاشنان. وهو سوء أدب. (١٠) (وليس هوالذى نظنه)، أى لائقا بهذا المقام.

(١١) فى موضعه، أى من هذا الكتاب.

(والمُقَوِّر) الذى يُقَوِّر[1] الجرادِقَ .

(والمُغَرْبِل) الذى يأخذ وِعاءَ المِلْح، فيُدِيرُه إدارةَ الغِرْبال، ليَجْمَع أبازِيرَه[2]، يستأثِرُ به[3] دونَ أصحابه، لا يُبالى أن يَدَع مِلْحَهم بلا أبْزار .

(والمُحَلْقِم) الذى يتكلم واللُّقْمةُ قد بلغت حُلْقُومَه . تقول لهذا[4] : قَبيحٌ! دَعِ الكلامَ إلى وَقتِ إمكانِه[5] .

(والمُسَوِّغ) الذى يُعظِّم اللُّقَمَ، فلا يَزَال قَدْ غَصَّ[6]، ولا يَزَالُ يُسِيغه[7] بالماء .

(والمُبَلْعِم) الذى يأخُذُ حُرُوفَ الرَّغيف[8]، أو يَغمِزُ ظَهرَ التَّمْرة بإبْهامِه[9]، ليَحْمِلا لَه من الزُّبْدِ والسَّمْن، ومِنَ اللِّبَإ[10] واللَّبن، ومِن البَيْضِ النِّيم بِرِشْت[11]، أكْثرَ .

(والمُخَضِّر) الذى يَدْلُك يدَه بالأُشْنانِ من الغَمَرِ[12] والوَدَك[13]، حتى إذا اخْضَرّ واسْوَدّ من الدَّرَن[14]، دَلَكَ به شَفَته .

هذا تفسيرُ ما ذَكَرَ الحارثى من كلام أبى فاتِك .

---

(١) التقوير : قطع الشىء من وسطه خرقا مستديرا، كما فى القاموس . والمراد كما يظهر — الاستئثار بالجزء اللين من الرغيف . (٢) توابله . وقد سبق تعريفه . ويظهر من هذا أنهم كانوا يخلطون التوابل بالملح للتشهية . (٣) كان ينبغى أن يقول : (بها)، أى بالأبازير . ولكنه أفرد الضمير مذكرا باعتبار (هذا الذى ذكرت) . وقد ورد نحو هذا كثيرا فى هذا الكتاب . وهو فصيح . (٤) اسم الإشارة يرجع إلى من يفعل هذا الفعل — (وقبيح) خبر مبتدإ محذوف، أى هذا قبيح . (٥) (إلى وقت إمكانه) . أى : دع الكلام حتى ينزلق الطعام عن الحلقوم، فيمكن حينئذ . (٦) غص بالطعام (من باب فرح)، فهو غاص وغصان (بتشديد الصاد) . (٧) الضمير المفعول عائد إلى الطعام المفهوم من المقام . (٨) (يأخذ حروف الرغيف)، أى لأنها مزدوجة، فتكون أصلح للغرف . (٩) أو يغمز الخ، أى ليوسعها . (١٠) اللبأ : أول ما تدر البهيمة من اللبن عند الولادة . (١١) ما يدعونه فى مصر الآن بالبرشت، وهو ما لم يتم نضجه . وقد نقلنا رسم الكلمة عن معجم (استنجاس) . ورسمت فى نسخة ليدن هكذا : (النيمبرشت) . (١٢) ريح اللحم، وما يعلق باليد من دسمه . (١٣) دسم اللحم والشحم وما يحلب من ذلك . مصباح . (١٤) الدرن : الوسخ — وفاعل (اخضر) و(اسود) يعود إلى الأشنان : أى وهذا مخالف لآداب النظافة . إذ كان الواجب ألا يمسح شفتيه بالأشنان إلا بعد أن يفرغ من تنقية يديه مما علق بهما من الدرن .

* * *

فأمّا ما ذَكَرَه هُوَ، فإنَّ (اللَّطّاع) معْرُوف، وهو الذى يَلْطَع إصْبَعه[١]، ثم يُعِيدُها فى مَرَقِ القومِ أو لَبَنِهم أو سَوِيقِهِم[٢]، وما أشْبَه ذلك.

(والقَطّاع) الذى يَعَضُّ على اللُّقمة، فيقطَعُ نصفَها، ثم يَغْمِسُ النِّصفَ الآخرَ فى الصِّباغ[٣].

(والنَّهّاش)، وهو مَعْروفٌ. وهو الذى يَنْهَشُ اللحمَ كما يَنْهَشُ السَّبُعُ.

(والمَدّاد) الذى ربَّما عَضَّ على العَصَبِ التى[٤] لم تَنْضَج، وهو يَمُدُّها بفيه، ويَدُه تُوتِّرُها[٥] لَهُ. فربَّما قَطَعها بِنَتْرَةٍ[٦]، فيكونُ لها انْتِضَاحٌ[٧] على ثوب المُؤاكِل[٨]. وهو الذى إذا أكَلَ مع أصْحابه الرُّطبَ، أو التَّمْرَ، أو الهَرِيسةَ، أو الأرْزَّة[٩]، فأتى على ما بينَ يَدَيْه، مَدَّ ما بينَ أيديهم إليه[١٠].

(والدفّاعُ) الذى إذا وَقَع فى القَصْعةِ عَظْمٌ فصار مِمّا يَلِيه[١١]، نَحّاه بلُقْمَتِه[١٢] من الخبز، حتى تصيرَ مكانَهُ قطعةٌ مِنْ لحم، وهو فى ذلك كأنّه يطلبُ بِلُقْمته تَشْرِيبَ المَرَقِ[١٣]، دُونَ إراغَةِ اللحمِ[١٤].

(والمُحَوِّل) هو الذى إذا رأى كثرةَ النَّوَى بين يديْه، احتالَ له حتى يَخْلِطه بِنَوَى صاحِبه.

* * *

وأما ما ذَكَره[١٥] مِنَ (الضَّيْفِ) (والضَّيْفَنِ)، فإنَّ الضَّيْفَنَ ضَيْفُ الضيفِ.

---

(١) يلطع أصبعه: يمصها إذا أكل، ويلحس ما عليها. (٢) ما يعمل من الحنطة والشعير. مصباح.
(٣) ما يؤتدم به. وقد سبق شرحه (٤) وصف العصب بالمؤنث على اعتبار أنه اسم جنس جمعىّ. ويجوز وصفه بالمذكر، وفى نسخة: الذى، كما فى هامش طبعة ليدن. (٥) توتّرها: تشدها.
(٦) بنترة، النتر: الجذب بجفاء. (٧) رش. (٨) أى المداد أيضا. (٩) سبق تفسيره.
(١٠) مدّ الخ، أى جذب الذى بين أيديهم، وحوله إلى نفسه. (١١) مما يليه: مما يدانيه ويقاربه.
(١٢) الجار والمجرور حال من (لقمته). (١٣) (تشريب المرق): تشريب اللقمة المرق، أى جعل اللقمة تشرب المرق. (١٤) إراغة اللحم: طلب اللحم، أى السعى وراءه. (١٥) ما ذكره، أى الحارثى فى قوله: أنا والله أحتمل الخ. وفى نسخة (ليدن): (ما ذكره الضيف). وهو تحريف.

وأنشد أبو زَيْد[١] :

إذَا جَاء ضيفٌ جاء للضَّيْف ضَيْفَنٌ ... فأوْدَى بمـا يُقْرَى الضُّيُوفُ الضَّيَافِنُ[٢]

وأما قوله : (الواغِل) أهْوَنُ عليَّ من (الرَّاشِن) ، فإنّه يَزْعُمُ أنّ طُفَيْلِيَّ الشَّراب أهونُ عليَّ من طُفَيْلِيِّ الطعام[٣] .

٥ وقول النّاسِ : فلان طُفَيْلِيٌّ، ليس من أُصُول كلامِ العرب : لِيس كالرَّاشِن واللَّعْمُوظ[٤] . وأهْلُ مكةَ يُسمُّونه البُرَقِيَّ[٥] .

وكان بالكُوفةِ رجلٌ من بَنِي عبدِ الله بنِ غَطَفَانَ يَسَمَّى طُفَيْلا[٦] . كان أبْعَدَ الناس نُجْعَـةً[٧] في طَلَب الولائمِ والأَعْراس . فقيل له لذلك : طُفَيْلُ العَرَائِس ، وصار ذَلك نَبْزاً[٨] له ولَقَباً ، لا يُعْرَفُ بغيره . فصار كُلُّ مَنْ كانت تِلك طِعْمَتَه[٩] يقال له : طُفَيْلِيٌّ .

١٠ هذا مِنْ قول أبي اليَقْظَان[١٠] .

---

(١) هو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري . كان حجة في النحو والأدب والنوادر والغريب . وله تصانيف كثيرة . توفي سنة ١٢٥ هـ . (٢) فأودى الخ ، أودى بالشيء : ذهب به . و(الضيافن) فاعل (أودى) . و(الضيوف) نائب فاعل (يقرى) . وعائد (ما) محذوف ، أي بالذي يقراه الضيوف . (٣) فإنه يزعم الخ ، ضمن (يزعم) معنى (يقول) ، فقال : (عليّ) . وكون الواغل هو طفيلي الشراب ، والراشن طفيلي الطعام ، ليس بإجماع اللغويين ، ففي ذلك خلاف وأقوال . (٤) ليس كالراشن واللعموظ ، أي فإنهما عربيان أصيلان في هذا

١٥ المعنى . وكون الطفيلي غير عربي يفهم من كلام الصحاح ، إذ قال : (والعرب تسميه الوارش) — وفي اللسان أنه منسوب إلى طفيل العرائس ، رجل من أهل الكوفة — وهذا رأي الجاحظ أيضا ، كما ترى في الفقرة التالية .

(٥) قال الزبيدي : البرقي ، بضم ففتح : الطفيلي ، حجازية اهـ . (٦) هو ابن زلال (بفتح الزاي وتشديد اللام) الكوفي . وكان يقول : وددت أن الكوفة بركة مصهرجة ، فلا يخفى علي منها شيء اهـ من القاموس وشرحه .

٢٠ (٧) أصل النجعة الذهاب في طلب الكلإ في موضعه . فيكون في التعبير شيء من التجوز . يقال : نجع الأرض وانتجعها : طلبها . (٨) نبزا : لقبا فيه معنى الذم ، كما تقدم . (٩) طعمته : سيرته في الأكل ، كما في اللسان . (١٠) أبو اليقظان سحيم بن حفص . كان راوية ، عالما بأخبار العرب وأيامها . روى له الجاحظ كثيرا في (البيان والتبيين) .

ثم قال الحارثيّ : وأعْجَبُ مِنْ كل عَجَب ، وأطْرفُ مِنْ كلِّ طَرِيف ، أنّكم تُشِــيرون عليّ بإطْعام الأكَلَة، ودَفْعِي إلى الناس مَالِي، وأنتم أتْرَكُ لهذا منّي. فإن زعمتم أنّي أكثرُ مالا، وأعَدُّ عُدّة(١) ، فليس مِنْ حَالِي وحالِكُمْ فى التّقارُب(٢) ، أنْ أطْعِمَ أبدًا ، وأنتُم تأكلون أبدًا .

فإذا أتيتُمْ فى أموالكم من البَذْل والإطْعـام على قَـدْرِ احتمالكم ، عرفتُ بذلك أنّ الخَـيْرَ أَردتم ، و إلى تَرْبِيبي(٣) ذَهَبْتُم . و إلّا فإنّكم إنّمـا تَحْلُبُون حَلَبًا لكم شَـطْرُه(٤) . بل أنتم كما قال الشاعر :

يُحِبُّ الخمـرَ مِنْ مال النَّـدَامَى(٥) ويَكْرَهُ أنْ يفارقَهُ الفُـلُوسُ

ثم قال : والله إنّي لو لم أترك مُؤاكلةَ النـاس و إطعامَهم إلّا لسُوء رِعَة(٦) عَلِيٍّ الأسْـوارِيِّ لتركتُه . وما ظنّكم برجُلٍ(٧) نَهَشَ بَضْـعةَ(٨) لحمٍ تَعَرُّقًا(٩) ، فبلعَ ضِرْسَه وهو لا يعلم(١٠) ! فَعَلَ ذلك عنْدَ إبراهيمَ بن الخطّاب، مَوْلَى سُلَيمانَ .

(١) (وأعد عدة) : أكثر عدة ، وهى ما يعد من مال أو قوة أو غير ذلك . (٢) فليس من حالى الخ ، أى على افتراض أنى أغنى منكم وأوفر اســتعدادا ، فليس من حالى الخ . (٣) التربيب : الإصـلاح . والمعنى : أردتم خيرى وفائدتى . وفى نسختى (ليـدن) والشنقيطى : (تربيّ) . ومعناها يصح على تكلف . فرجحنا أن تكون محـرفة عن (تربيبى) . وفى (عيون الأخبار) : تزيينى . (٤) فانكم إنما الخ ، يشـير إلى المثل : (أحلب [بصيغة المتكلم] حلبا لك شـطره) . والحلب : اللبن المحلوب . والشـطر : النصف . يقول : فان لم تبذلوا على قـدر احتمالكم ، فانكم بذلك إنما ترمون إلى جر النفع إلى أنفسكم ، بأكلكم على مائدتى مع النـاس ، ونيلكم من مالى . (٥) جمـع ندمان ، وهو المنادم على الشراب . والأنثى ندمانة . و يقال فيــه أيضا : نديم . وجمعــه ندام (بكسر النون) وندماء . (٦) (لسوء رعة على الأسوارى) : لقلة ورعه . ففى اللسان : يقـال : فلان سيءّ الرعة ، أى قليـل الورع . و يقـال : قوم حسنة رعتهم ، أى شأنهم وأمرهم وأدبهم — اه ملخصا . والمراد انتهاكه لحرمات الطعام ، بمـا يأتيــه على الموائد من صـنوف الشره . وفى (عيون الأخبار) : إلا لتزوعى عن الأسوارى . (٧) يريد عليا الأسوارى . (٨) البضعـة : القطعة من اللحم . والجمع بضع (بفتح فسكون) . (٩) أى استئصالا للحم من فوق العظم . وفى (عيون الأخبار) : بضعة لحم بقر . (١٠) و(فى عيون الأخبار) : فانقلع ضرسه وهو لايدرى .

وكان إذا أكل ذَهَبَ عقلُه (١)، وجَحَظَتْ عينُه (٢)، وسَكِرَ (٣)، وسَدِرَ (٤)، وانبَهَرَ (٥)، وتربَّدَ وجهُه، وعَصِبَ (٦)، ولم يَسْمَع ولم يُبْصِر!

فلمّا رأيتُ ما يَعْتَرِيه، وما يَعْتَرِى الطَّعامَ منه، صِرْتُ لا آذَنُ له إلا ونحنُ نأكلُ التَّمْرَ والجَوْزَ والباقِلَّى (٧).

ولم يَفْجَأْنِي قَطُّ وأنا آكُلُ تَمْرًا إلا اسْتَفَّه سَفًّا، وحَسَاه حَسْوًا (٨)، وذراه ذَرْوًا (٩)؛ ولا وَجَده كثيرًا إلّا تناولَ القَصْعةَ كجُمْجُمَةِ الثَّوْر (١٠)، ثم يأخُذُ بحِضْنَيْها (١١)، ويُقِلُّها من الأرض! ثم لا يزالُ يَنْهَشُها طُولًا وعَرْضًا، ورَفْعًا وخَفْضًا، حتى يأتِيَ عليها جميعًا! ثم لا يَقَعُ غَضَبُه إلّا عَلَى الأنْصاف والأتْلاف (١٢)!

ولم يَفْصِلْ تمرةً قَطُّ من تَمْرة (١٣). وكان صاحبَ جُمَل، ولم يكن يَرْضَى بالتَّفاريق؛ ولا رَمَى بنَواةٍ قطُّ، ولا نَزَعَ قِمَعًا (١٤)، ولا نَفَى عَنْه قِشْرًا، ولا فَتَّشه مخافَةَ السُّوس والدُّود!

(١) جحظت عينه تجحظ (بفتح الحاء) جحوظا: عظمت مقلتها ونتأت. وفي (عيون الأخبار): عيناه.

(٢) يريد: غاب عقله. (٣) سدر (من باب فرح): تحير واضطرب. (٤) تتابع نفسه.

(٥) (تربد): صار لونه إلى الغبرة. (٦) في اللسان: ورجل عاصب: عصب (من باب ضرب) الريق بفيه اهـ أي جف من شدة الجهد. وفي نسخة ليدن: وغصب. وهو تحريف. وفي (عيون الأخبار): وغضب.

(٧) صرت لا آذن الخ، الباقلي: الفول، كما سبق — أي لأن هذه الأشياء رخيصة، قليلة المؤنة عليّ.

(٨) الحسو للماء والمرق وغيرهما من السوائل. فجعله للتمر مبالغة، أي كأنه يشربه شربا، من شدة ما يزدرده متتابعا.

(٩) ذراه يذروه: أطاره، أي عن المائدة. وعداه بالباء، لأنه ضمنه معنى (رمى به)، كما يظهر.

(١٠) ولا وجده الخ، (كثيرا)، في (عيون الأخبار): كنيزا (بفتح فكسر). والكنيز: التمر يجعل في قواصر للشتاء. والقواصر: جمع قوصرة (بفتح فسكون ففتح). والراء بالتخفيف والتثقيل، وهي وعاء التمر. (كجمجمة الثور)، أي مملوءة منه، عالية به، كأنها جمجمة ثور. (١١) الحضن: مادون الإبط إلى الكشح. والمراد أنه يتناولها من جانبيها ليرفعها، على المجاز. (١٢) ثم لا يقع غضبه الخ، يأتي الغضب في اللغة بمعنى الإعراض. وهو المراد هنا. أي إنه يأكل من التمر كل ما عدا الأنصاف والأتلاف. والأتلاف: جمع تلف. وهو في الأصل مصدر (تلف)، سمي به التالف. وفي نسخة ليدن: (غصبه)، وهو تحريف. وفي (عيون الأخبار): عضه. (١٣) ولم يفصل الخ، أي إنه إذا رأى تمرتين ملتصقتين لا يفصلهما، لشدة سرعته وشرهه. وقوله: (ولم يكن يرضى بالتفاريق)، أي بأن يأكل الشيء على مرات متفرقة. ففي القاموس وشرحه: وأخذ حقه بالتفاريق، أي مرات متفرقة اهـ. (١٤) القمع ما على التمرة ونحوها. وهو الذي تتعلق به. مصباح.

ثم ما رأيتُه قطُّ، إلا وكأنّه طالبُ ثأرٍ(١)، وشَحْشَحانٌ(٢) صاحِبُ طائلة(٣)! وكأنّه عاشِقٌ مُغتلِم، أو جائعٌ مَقْرور(٤)!

والله يا إخْوَتى لو رأيتُ رجُلا يُفسِدُ طينَ الرَّدغة، ويُضيعُ ماءَ البحر، لصَرَفتُ عنه وَجْهى(٥)!

فإذا كانَ أصحابُ النظر(٦)، وأهلُ الدِّيانة والفَلْسفة، هذه سيرتُهم، وهكذا أدبُهم، فما ظنُّكم بمَنْ لا يعدُّ ما يعدُّون(٧)، ولا يبلغ من الأدب حيثُ يبلُغون!

قِصَّـــة الكِنْدِىّ(٨)

حدّثنى عَمْرو بن نَهْيَوَى، قال: كان الكِنْدِىُّ لا يزال يقُول للساكن، وربما قال للجار: إنَّ فى الدار امرأةً بها حَمْلٌ. والوَحْمَى ربمـا أسْقطَتْ(٩) مِنْ ريح القِدْرِ الطَّيِّبـة! فإذا طَبَختُم

(١) (طالب ثأر): لشدة اندفاعه وتهيجه. (٢) فى اللسان: والشحشح والشحشاح (بفتح فسكون فيهما): الغيور والشجاع أيضا اه كالشحشحان (قاموس)، أى ذو غيرة على حق يطلبه.

(٣) الطائلة: الثأر. (٤) قر (على صيغة المبنى للمفعول) الرجل: أصابه القر (أى البرد). وأقره الله فهو مقرور، على غير قياس اه من اللسان. وإذا اجتمع الجوع والبرد كان صاحبهما فى غاية الشره والنهم.

(٥) والله يا إخوتى الخ، الردغة: الماء والطين والوحل الكثير الشـديد. يقول: إن هؤلاء القوم يسرفون فى أموال الناس، ويسيئون مؤاكلتهم. وإنى لو وجدت رجلا يفسـد مالا ضرر من إفساده، ولا خسارة فيـه: كإفساد طين الردغة، وإضاعة ماء البحر، لصرفت عنـه وجهى، احتقارا له، لأنى أكره الإفساد كيفما كان. فـما بالكم بمن يبـددون أموال الناس، ولا يحترمون آداب المائدة، كما يفعل على الأسوارى وأضرابه.

(٦) أصحاب النظر: ذوو الفكر والتعقل. (٧) فما ظنكم الخ، (ما) فى قوله: (ما يعدون) مصدرية، أى بمن لا يعد عدهم، أى كعدهم. أى: فـما ظنكم بمن لا يعد فى زمرتهم، من حيث علمهم ودياناتهم وفلسفتهم؟ أو أن يكون الأصل: بمن لا يعد ما يعدون (من وعد يعد). ففى الأساس: وأصبحت أرضهم واعدة: إذا رجى خيرها. ويكون المعنى على هذا: فما ظنكم بمن لا يرجى منه ما يرجى من هؤلاء الفلاسفة العلماء، من الفضل والخير.

(٨) تقدّمت ترجمته. (٩) أسقطت الحامل: ألقت سقطا (بكسر فسكون).

فَرُدُّوا شَهْوَتَهـا[١] ، ولو بِغَرْفَةٍ أو لَعْقَة ، فإنَّ النفْسَ يردُّها اليَسِيرُ[٢] ! فإنْ لم تَفعلْ ذلك بعد إعْلَامي إيَّاك ، فكَفَّارَتُكَ[٣] — إنْ أسْقَطَتْ — غُرَّةٌ : عَبدٌ أو أَمَةٌ[٤] ، أَلزَمْتَ ذلك نَفْسَك أم أبَيْتَ[٥] !

قال : فكان رُبَّما يُوافِي إلى منزله مِنْ قِصَاع السُّكَّانِ والجيرانِ ما يكفيه الأيامَ ، وإن كان أكثرُهم يَفْطَنُ ويتغافلُ[٦] .

٥

وكان الكِنْدِيُّ يقول لعياله : أنتم أحْسَنُ حالا مِن أرباب هـذه الضِّياع : إنَّما لكلِّ بَيْتٍ منهم لَوْنٌ واحدٌ . وعندكم أَلْوَان !

قال : وكنتُ أتغدَّى عنده يَوْما ، إذْ دخلَ عليه جَارٌ له . وكان الجارُ لى صديقا . فلم يَعْرِضْ عليه الغَدَاء . فاسْتَحْيَيْتُ أنا منه . فقلتُ : لو أَصَبْتَ معنا ممَّا نأكل ! قال : قد والله فعلتُ . قال الكِنْدِيُّ : ما بَعْـدَ الله شيء ! قال : فكَتَفَهُ والله — يا أبا عثمان — كَتْفًا لا يستطيع معـه قَبْضًا ولا بَسْطًا ، وتَرَكَهُ ! ولو أكل لشَهِدَ عليـه بالكُفْر ، ولَكَان عنـده قد جَعَلَ مع الله شيئا[٧] !

١٠

(١) (فردوا شهوتها) : فحققوا ما تصبو إليه . (٢) ولو بغرفة الخ ، لعق (من باب فهم) الشيء : لحسه . والمراد باللعقة الشيء القليل . و(يردها) : يقنعها . (٣) (فكفارتك) : ما يكفر ذنبك هذا . وفي (عيون الأخبار) : وإن لم تفعل ذلك وأسقطت ، فعليك غرة : عبد أو أمة . (٤) جعل النبي صلى الله عليه وسلم في الجنين غرة : عبدا أو أمة . (أي دية للجنين الميت) . وأصل الغرة : البياض الذي يكون في وجه الفرس . وكأنه عبر عن الجسم كله بالغرة اهـ من اللسان . وفي القاموس : الغرة : العبد والأمة . (٥) الزمت الخ ، أي ســواء عليك أألزمت الخ ، أي وفي حالة الإباء تلزم ذلك . (٦) وإن كان أكثرهم الخ ، يعني أن معظم السكان والجيران كانوا يعرفون أن ما يقوله الكندي غير مطابق للواقع ، ولكنهم يتغافلون ويحققون رغبته . وتغافل : أظهر الغفلة وعدم الدراية . (٧) قال الخ ، قال ، أي عمرو بن نهيوى . وقد تقدمت هذه الحكاية وشرحت ، ص ٤٥

١٥

٢٠

قال عَمْرو : بَيْنَا أنا ذَاتَ يومٍ عِندَه، إذْ سَمِعَ صَوْتَ انقلابِ جَرَّةٍ منَ الدار الأُخْرَى . فَصَاح : أىْ قِصَافُ! فقالت مجيبةً له : بِئْرُ وحَيَاتِك ! فكانتِ الجاريةُ فى الذكاء، أَكْثَرَ منه فى الاسْتِقصاء .[1]

قال مَعْبَـدٌ : نزلنا دَارَ الكِنْدِىّ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ،[2] نُرَوِّجُ له الكِرَاءَ،[3] ونَقْضِى له الحوائجَ،[4] ونَفِى له بالشَّرْط . قلتُ : قد فهمتُ تَرْوِيجَ الكِرَاءِ، وقَضَاءَ الحوائجِ، فما مَعْنَى الوفاءِ بالشَّرْط؟ قال : فى شَرْطِـه على السكّان أَنْ يكونَ له رَوْثُ الدابَّة، وبَعْـرُ الشَّاةِ، ونِشْـوَارُ العَلُوفة،[5] وألّا يُخْـرِجُوا عَظْمًا، ولا يُخْرِجُوا كُسَاحة،[6] وأنْ يكونَ له نَوَى التَّمْرِ، وقُشُورُ الرُّمّان، والغَرْفَةُ مِنْ كلِّ قِدْرٍ تُطبخ للحُبْلَى فى بَيْتِه !

وكانَ فى ذلك يتنزَّلُ عليهم .[7] فكانُوا لِطِيبه، وإفْراط بُخْـله، وحُسْنِ حَدِيثـه، يَحْتَمِلون ذلك .

(١) بينا أنا الخ، (من الدار الأخرى)، أى التى هى داره أيضا . وقصاف : اسم الجارية . وقد سموا بقصاف . ففى التاج : وككتّاب : القصاف بنت عبد الرحمن بن حمزة اهـ . وقد ضبط (قصاف) فى نسخة ليدن بتشديد الصاد . وقولها : (بئر وحياتك)، فبئر خبر مبتدإ محذوف، أى هذه بئر، أى : صوت البئر . تعنى أن ما سمعه هو انصباب ماء فى البئر من دلو ونحوه، وليس ما توهمه من أن ذلك انقلاب جرة يخشى من مائها على الحيطان والأرض المطينة أو المجصصة . وسيمر بك بعد قليل فى كلام الكندى تفصيل هـذا . وذكاء الجارية هو من أنها فهمت ما يعنى بندائها نداء مجرّدا — واستقصاؤه : شدّة مراقبته لما يجرى فى منازله من سكانها . ذلك ما فهمناه من تأويل هذه الحكاية .

(٢) فى (عيون الأخبار) : نزلنا دارا بالكراء للكندى .

(٣) نروج له الكراء : نجعل كراء منازله رائجا نافقا، بما نبثه بين الناس من مدحها وتزيينها عندهم .

(٤) جمع حاجة . ويجمع أيضا على حاج وحاجات . مصباح . (٥) النشوار : ما تبقيه الدابة من العلف، فارسى معرب . والعلوفة : ما يعلف من الغنم وغيرها . (٦) الكساحة : مثل الكناسة، وهو ما يكسح . وفى (عيون الأخبار) : كناسة . وقوله : وألا يخرجوا الخ، معناه : ألا يرموا بذلك، بل يبقوه له ينتفع به .

(٧) أصل التنزل : النزول فى مهلة . والمعنى أنه كان يتدرج فى فرض هـذه الفروض عليهم . وقوله لطيبه : أى لطيب نفسه ودعتها .

قال مَعْبَدٌ : فبينَا أنا كذلك، إذْ قَدِم ابنُ عمٍّ لى ومعَهُ ابنٌ له، إذا رُقْعَةٌ منه قد جاءتنى (١) (٢) :

"إنْ كان مُقَامُ هذين القادِمَيْن ليلةً أو لَيْلَتين احْتَمَلْنا ذلك، و إنْ كان إطْماعُ السُّكانِ فى اللَّيْلة الواحدةِ يَجُرُّ علينا الطمعَ فى اللَّيالِى الكثيرةِ (٣) ."

فكتبتُ إليه : "ليس مُقامُهما عندنا إلا شَهْرًا أو نَحْوَه ."

٥ فكتبَ إلىَّ : "إنَّ دارَكَ بثلاثين دِرْهما . وأنتم سِتَّة، لكلِّ رأس خَمْسةٌ . فإذْ قَدْ زِدتَ رَجُلَيْن، فلا بدّ من زيادة خَمْسَتَيْن . فالدارُ عليك من يَوْمِك هذا بأَربعين !"

فكتبتُ إليه : "وما يَضُرُّك من مُقامِهما، وثِقَلُ أبدانهما على الأرض التى تَحْمِلُ الجبال، وثِقَلُ مُؤْنَتهما علىَّ دُونَكَ؟ فاكْتُبْ إلىَّ بِعُذْرِك لأَعْرِفَه."

ولم أَدْرِ أنّى أَهْجُمُ على ما هَجَمْتُ، وأنّى أَقَعُ منــه فيما وقعتُ (٤) !

١٠ فكتبَ إلىَّ : "الخِصالُ (٥) الّتِى تَدْعُو إلى ذلك (٦) كثيرةٌ . وهى قائمة معروفةٌ : من ذلك سُرْعةُ امتلاءِ البالُوعة، وما فى تَنْقِيتها (٧) من شِدَّة المُؤْنة . ومن ذلك أنّ الأَقْدام إذا كَثُرَتْ، كَثُرَ المَشْىُ على ظُهُور السُّطُوح المُطَيَّنة، وعلى أرْض البُيُوت المُجَصَّصة . والصعودُ على الدَّرَج (٨) الكثيرة : فيَنْقَشِرُ لذلك الطينُ، ويَنْقَلِعُ الجِصُّ، ويَنْكَسِرُ العَتَبُ (٩)، مع انْثِناءِ الأجذاع (١٠)، لكَثْرة الوطْءِ (١١)، وتكسُّرِها لِفَرْطِ الثِّقَلِ !"

---

١٥ (١) أى فبينا أنا مقيم فى دار الكندى ... (٢) (منه) : من الكندى . (٣) إن كان الخ، هذا نص الرقعة . و (مقام) : إقامة . وقوله : (إطماع السكان)، أى الذين يسكنون منازلى — (فى الليلة الواحدة)، أى التى يقضيها ضيوفهم عندهم — و (فى الليالى الكثيرة)، أى التى يقضيها ضيوفهم عندهم أيضا — و (إن) وصلية . (٤) ولم أدر الخ، أى إنى قد كتبت إليه هذا الكتاب، ولم أكن أعلم أنى أخاطر هذه المخاطرة . وذلك لكتابه الآتى . (٥) (الخصال) : الأسباب المقتضية . (٦) (إلى ذلك) : إلى طلب ما طلبته منك .

٢٠ (٧) إخراج ما فيها من المياه والأقذار . (٨) جمع درجة، وهى المرقاة . (٩) جمع عتبة، وهى التى يوطأ عليها . وفى المختار : قال ابن شميل : العتبة فى الباب هى العليا، والأسكفة (بضم فسكون فضم ففاء مشدّدة مفتوحة) هى السفلى . (١٠) جمع جذع . وهو هنا سهم السقف . ويجمع أيضا على جذوع . (١١) الدوس بالقدم .

"وإذا كَثُرَ الدُّخُولُ والخُرُوجُ، والفَتْحُ والإغلَاقُ، والإقْفَالُ وجَذْبُ الأقفال، تهشّمتِ الأبوابُ، وتَقلّعتِ الرِّزّاتُ (١) ."

"وإذا كَثُرَ الصِّبيانُ، وتضاعفَ البَوْشُ (٢)، نُزِعتْ مساميرُ الأبواب، وقُلِعتْ كلُّ ضَبَّة (٣)، ونُزِعتْ كلُّ رَزَّة، وكُسِرتْ كلُّ جَوْزَة (٤)، وحُفِرَ فيها آبار الدَّدَنِ (٥)، وهَشَمُوا بَلَاطَها بالمَدَاحِي (٦). هذا مع تخريب الحِيطان بالأوْتاد، وخَشَبِ الرُّفُوف ."

"وإذا كَثُرَ العِيَالُ والزُّوَّار، والضِّيفانُ والنُّدَمَاءُ، احتِيجَ مِنْ صَبِّ المـاء، واتّخاذِ الحِبَبَة القاطِرة، والجِرَار الرَّاشِحة، إلى أضْعَاف ما كانوا عليه (٧) . فكَمْ مِنْ حائِطٍ قد تأكّلَ أسْـفَلُه، وتنـاثَرَ أعلاه، واسترخَى أساسُه، وتداعَى بُنْيَانُه (٨)، مِنْ قَطْرِ حُبٍّ، ورَشْحِ جَرٍّ (٩)، ومِنْ فَضْـلِ مَاءِ البِئْرِ (١٠)، ومِنْ سُوءِ التَّدْبير ."

"وعلى قَدْرِ كَثْرتِهِم يَحْتاجُون من الخبيز والطبِيخ (١١)، ومن الوَقُود والتَّسْخِين . والنارُ لا تُبْقِي ولا تَذَر . وإنّمـا الدُّورُ حَطَبٌ لهـا . وكلُّ شيء فيها مِنْ مَتَاع فهـو أُكُلٌ لهـا . فكَمْ مِنْ

(١) الرزة : الحديدة التي يدخل فيها القفل . (٢) البوش (بفتح فسكون)، والبوش (بضم الباء) : الجماعة والعيال . وقيل : الجماعة من الناس المختلطين . لسان . (٣) الضبة : نوع من المغاليق . وقال في اللسان : والضبة : حديدة عريضة يضبب بهـا الباب . والجمع ضباب (بكسر الضاد) اهـ . (٤) يريد شجـرة الجوز؛ إذ كان هذا الشجر مما يغرس في البيوت لذلك العهد . ويستأنس لذلك بمـا جاء في (تاج العروس) في مستدرك مادة (ج و ز) . قال : وأما أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ... بن جعفر الجوزي، فبفتح الجيم بالاتفاق . لقب به جدّه جعفر، لجوزة كانت في بيته . وهي الشجرة اهـ . وفي النسخ : (حوزة) . وهو تحريف . (٥) وحفر الخ، الضمير في (فيها) يرجع إلى الدار . و(الددن) : اللعب واللهو . والمراد بآبار الددن : الحفر التي يحفرها الصبيان ليرموا فيها الأكر، أو نحو ذلك . وسماها آبارا على المجاز . (٦) جمع مدحاة (بكسر فسكون) . قال في اللسان : والمدحاة : خشبة يدحى (بفتح فسكون ففتح) بها الصبي، فتمرّ على وجه الأرض، لا تأتي على شيء إلا اجتحفته اهـ واجتحفته : جرفته . (٧) احتيج الخ، من صب المـاء : من كثرة ما يستعملون منه . والحببة جمع حب (بضم الحاء) . وهو الخابيـة أو الجرة . ويجمع أيضا على حباب (بكسر الحاء) . وقوله : (ما كانوا عليه)، أي ما كان السكان عائشين عليـه . والحب الراشح والقاطر سواء . لأن الجرة أو الحب إذا رشح قطر . (٨) تداعى البنيان : تصدع من جوانبه، وآذن بالانهدام والسقوط . (٩) جمع جرة أيضا . (١٠) ومن فضل ماء البئر : من زيادة ما يؤخذ منه على الحاجة، ومن الإسراف في استعماله . (١١) (الخبيز) : الخبز المخبوز . والطبيخ : الطعام المطبوخ . ومتعلق (يحتاجون) محذوف للعلم به، أي : إلى ما يفي بهذه الكثرة .

حريق قد أتى على أصل الغلّة[1]، فكلّفتم أهلها أغلظ النّفقة[2]. وربّما كان ذلك عند غاية العُسرة، وشدّة الحال[3]. وربّما تعدّت تلك الجناية إلى دور الجيران، وإلى مجاورة الأبدان والأموال[4].»

«فلو ترك الناس حينئذ ربّ الدار وقدر بليّته، ومقدار مصيبته، لكان عسى ذلك أن يكون مُحتملا[5]. ولكنّهم يتشاءمون به، ولا يزالون يستثقلون ذكره، ويكثرون من لائمته[6] وتعنيفه!»

«نعم، ثم يتّخذون المطابخ في العَلالي[7] على ظهور السّطوح، وإن كان في أرض الدار فضل، وفي صحنها متّسع، مع ما في ذلك من الخطار[8] بالأنفس، والتّغرير بالأموال[9]، وتعرّض الحُرَم[10] ليلة الحريق لأهل الفساد، وهجومهم[11] مع ذلك على سرّ مكتوم، وخبيء[12] مستور، من[13] ضيف مستخفٍ[14]، وربّ دار متوارٍ[15]، ومن شراب مكروه[16]، ومن كتاب متّهم[17]، ومن مال جمّ

---

(١) أصل الغلة: كناية عن الدار نفسها؛ أى أصل الدخل. لأن الغلة هى الدخل من كراء وأجر غلام وفائدة أرض، إلى غير ذلك. (٢) (أهلها): أهل الدار. وقوله: فكلفتم أهلها أغلظ النفقة، أى بسبب الخسارة التى حلت بهم من الحريق، وبما يحملونه أيضا فى رم ما تخرب من الدار بسببه. (٣) العسرة: خلاف الميسرة. فقوله: (وشدّة الحال)، عطف تفسير. (٤) وربما تعدت الخ، أى وربما اتصل الحريق بدور الجيران، ووصل إلى أبدان الناس وأموالهم. (٥) لكان الخ، اسم كان ضمير الشأن. وجملة عسى ذلك الخ، خبر كان. (٦) اللائمة: الملامة. (٧) مفرده علية (بكسر العين أو ضمها مع تشديد اللام مكسورة وتشديد الياء مفتوحة)، وهى الحجرة العالية. (٨) مصدر خاطر بكذا، أى فعل ما يكون الخوف فيه أغلب.

(٩) (التغرير بالأموال): المخاطرة بها. وأصله من غرر بنفسه: حملها على غير ثقة. كذا فى اللسان. وفيه أيضا: وغرر بنفسه وماله تغريرا وتغرة (بفتح فكسر فراء مشددة مفتوحة): عرضهما للهلكة من غير أن يعرف. (١٠) الحرم: جمع حرمة (بضم فسكون)، وهى ما لا يحل انتهاكه. (١١) معطوف على (أهل)، أى وتعرض الحرم لهجومهم الخ. (١٢) الخبء: المخبوء. (١٣) (من) بيانية.

(١٤) مستتر. وقد يكون استخفاء الضيف لخوف من حاكم أو عدو، أو غير ذلك. (١٥) متوار: مستخف ومستتر، لسبب من الأسباب. (١٦) شراب مكروه، يقصد به الخمر. (١٧) (متهم)، اسم مفعول من اتهمته: أدخلت عليه التهمة. والمراد: رسالة مرتاب فيها، مشكوك فى أمرها، يخشى من هى فى حوزته أن يطلع الناس عليها.

أُرِيدَ دَفْنُــه، فأعْجَلَ الحريقُ أهلَه عَنْ ذلك فيه (١)، ومِنْ حَالاتٍ كَثِيرة، وأمورٍ لا يُحِبُّ الناسُ أن يُعرَفُوا بها .»

«ثم لا يَنْصِبُونَ التّنانِيرَ (٢)، ولا يُمَكِّنُونَ للقُدُور (٣)، إلا على مَتْنِ (٤) السَّطْحِ، حيثُ ليس بينها وبينَ القَصَبِ (٥) والخَشَبِ إلا الطينُ الرَّقيقُ، والشيءُ لا يَقِي . هذا مَعَ خِفّةِ المُؤْنَةِ في إحْكامِها (٦)، وأَمْنِ القُلُوبِ من المَتَالِفِ بسببها (٧) .»

٥

«فإنْ كنتم تُقْدِمُونَ على ذلك مِنّا ومِنْكم وأنتم ذاكرون، فهذا عَجَبٌ (٨) ! وإن كنتم لم تَحْفِلُوا (٩) بما عليكم في أموالنا، ونَسِيتُمْ ما عليكم في أموالكم، فهذا أعْجَبُ !»

«ثم إنَّ كثيرا مِنْكُمْ يُدَافِعُ بالكِراء (١٠)، ويُماطِلُ بالأداء . حتى إذا جُمِعَتْ أَشْهُرٌ (١١) عليه، فَرَّ وخَلَّى

(١) فأعجل الحريق الخ، أى استحث الحريق أصحاب هذا المال، وصرفهم عن أمر دفنه وستره عن الأعين، فصار عرضة للنهب . (٢) جمع تنور، وهو ما يخبز فيه . وقال بعضهم : هو غير الفرن . و يؤخذ من كلام بعضهم أنه هو والفرن شيء واحد . (٣) مكن للشيء : ثبته . (٤) المتن : ما ارتفع من الأرض واستوى . والمراد بمتن السطح ما استوى منه . (٥) القصب : كل نبات تكون ساقه أنابيب وكعوبا . (٦) هذا الخ، الضمير في (أحكامها) راجع الى التنانير والقدور . و(مع) متعلق بمحذوف خبر (هذا)، أى هذا حاصل مع الخ — يريد أنهم مع سوء وضع القدور والتنانير، وعدم الحيلولة بينها و بين القصب والخشب إلا بما لا يقى، لا يكلفون أنفسهم إحكام وضعها — مع سهولة ذلك — حتى يكون القصب والخشب بمأمن من النار . (٧) وأمن القلوب الخ، (أمن) معطوف على (خفة)، أى : ومع أمن الخ، والمتالف المهالك، جمع متلفة . يعنى : ومع اطمئنان قلوب السكان عند إحكامها، إلى سلامة عواقبها، وعدم خوفهم شرها .

١٠

١٥

(٨) فإن كنتم الخ، يخاطب معبدا ومن معه . وقوله : (منا ومنكم)، أى ذلك الإفساد الذى ينال منا ومنكم و يصيبنا كلينا بالضرر . وقوله : (وأنتم ذاكرون)، أى لهذه الأسباب والنتائج . (٩) وإن كنتم الخ، لم تحفلوا : لم تبالوا . يقال : حفلت كذا، وحفلت به . وكذا فى النفى . و يقال : احتفل به، بهذا المعنى أيضا . وكذا فى النفى — يعنى إن كنتم لم تبالوا بواجباتكم فى أموالنا، ونسيتم واجباتكم فى أموالكم الخ . (١٠) يدافع بالكراء : يماطل فيه . ففى اللسان : ودافع فلان فلانا فى حاجة : إذا ماطله فيها اه . فقوله : (بالكراء)، الباء فيه بمعنى فى . ومفعول (يدافع) محذوف، أى المالك . والكراء : مصدر فى الأصل، من كاريته، على المفاعلة .

٢٠

(١١) (أشهر)، أى كراء أشهر .

أربابها جياعا (١)، يتندّمون على ما كان من حُسْنِ تقاضيهم (٢) وإحْسَانهم . فكان جزاؤهم وشُكْرُهم اقْتطاعَ حُقُوقِهم، والذّهابَ بأقواتهم . "

"ويسكنها (٣) الساكنُ حين يَسْكُنُها وقد كَسَحْنَاها (٤) ونظّفناها ، لِتحْسُنَ في عَيْنِ المستأجِر، ولِيَرْغَبَ فيها الناظرُ . فإذا خرج تركَ فيها مَزْبَلةً (٥) وخَرَابا ، لا تُصْلِحُه إلا النّفقةُ المُوجِعة ."

٥ "ثم لا يَدَعُ مِتْرَسًا (٦) إلا سَرَقه ، ولا سُلّمًا إلا حَمَله ، ولا نُقْضًا (٧) إلّا أخذه ، ولا بَرَّادةً (٨) إلا مَضى بها معه . ولا يَدَعُ دَقّ الثوب (٩)، والدّقّ في الهاوَنِ (١٠) والمِيجَانِ (١١)، في أرض الدار . "

"ويَدُقّ على الأجْذَاعِ (١٢) والحواضِنِ (١٣) والرّواشِنِ (١٤) . "

---

(١) الضمير يعود إلى الأشهر باعتبار المضاف المحذوف ، كما سبق . ويصح أن يعود على الدار المفهومة من المقام .

(٢) يقال : تقاضيته حق فقضانيه ، أي تجازيته بجزانيه . كذا في اللسان . فقوله : (تقاضيهم) ، المصدر ١٠ مضاف إلى فاعله . والمفعولان محذوفان ، أي من حسن تقاضي هؤلاء الأرباب السكان ما عليهم من الأجور .

(٣) الضمير عائد إلى الدار المفهومة من سياق الكلام . (٤) الكسح : الكنس . وقد يستعار لتنقية البئر ونحوها ، كما في المصباح . فالمراد تنظيف البئر والمراحيض . (٥) المزبلة : موضع الزبل (بكسر فسكون) ، وهو السرقين . والسرقين : ما تسمد به الأرض . والمراد : ترك فيها أوساخا وأقذارا .

(٦) المترس : خشبة توضع خلف الباب ، لتكون بمثابة القفل له . (٧) النقض اسم للبناء المنقوض ، ١٥ أي المهدوم . يعني بعض الحجارة والطوب التي قد يحتاج إليها صاحب الدار لرمها أو الانتفاع بها في أي وجه كان .

(٨) البرادة : إناء يبرد الماء . (٩) (دق الثوب) ، أي لتبييضه . وهو ما يقال له : تقصير الثوب ، أي دقه بالمقصرة ليبيض . (١٠) قال في المصباح : قيل : هو بفتح الواو . والأصل هاوون ... ولكنهم كرهوا اجتماع واوين . فحذفوا الثانية ، فبقي هاون ... ففتحت الواو طلبا للتخفيف اهـ .

(١١) الميجان : اسم آلة من وجن القصار الثوب يجنه (كوعد يعد) : دقه . والميجنة : المدقة . أما (الميجان) ٢٠ فلم نجده فيما لدينا من المراجع . والقياس لا يأباه . وفي نسختي (ليدن) والشنقيطي : (المنجان) . ونعتقد أنه محرف عن (الميجان) . وكان ينبغي أن يقول : (والدق في الهاون والدق بالميجان) ، لأن الميجان لا يدق فيه ، بل به .

(١٢) سبق شرحه . (١٣) الحواضن : جمع حاضنة . ويراد بها ، كما يظهر ، السهوم التي تحمل الجذوع . ولم نجد للكلمة أثرا في كتب اللغة بمعنى يلائم المقام . ثم رأينا في مقدمة طبعة ليدن ما يفيد أن المراد بالحواضن هنا الأعمدة التي تدعم السقف . (١٤) جمع روشن (بفتح فسكون ففتح) . قال في اللسان : والروشن : الرف ، ٢٥ والروشن : الكوة (بفتح الكاف أو ضمها وتشديد الواو — وهي النافذة) .

"وإنْ كانت الدارُ مُقرمَدَةً(١)، أو بالآجُرِّ(٢) مفروشةً ، وقد كان صاحبُها جعَلَ فى ناحية منها صَخرةً، ليكونَ الدَّقُّ عليها، ولِتكونَ واقيةً دونَها(٣)، دعاهُمُ(٤) التهاوُنُ والقسوةُ، والغِشُّ والفُسُولةُ(٥)، إلى أنْ يَدُقُّوا حَيْثُ جلَسوا، وإلى ألَّا يَحفِلوا بما أفسَدوا! لم يُعْطِ(٦) قطُّ لذلك أرْشًا(٧)، ولا استحلَّ صاحبَ الدار(٨)، ولا استغفرَ الله منه فى السِّر!"

"ثم يَستكثِرُ(٩) من نفسه فى السَّنَةِ إخراجَ عَشرةِ دراهمَ، ولا يستكثرُ من ربِّ الدار ألفَ دينار فى الشِّراء(١٠). يَذكُرُ ما يَصيرُ إلينا مع قلَّته، ولا يذكُرُ ما يصيرُ إليه مع كَثرته!"

"هذا، والأيَّامُ التى تَنقُضُ المُبْرَمَ، وتُبْلِى الجِدَّةَ(١١)، وتُفرِّقُ الجَميعَ(١٢) المُجْتَمِعَ، عاملةٌ فى الدُّور(١٣)، كما تَعمَلُ فى الصُّخور، وتأخذُ مِنَ المنازل، كما تأخُذُ من كلِّ رَطْبٍ ويابِسٍ، وكما تَجعَلُ الرَّطْبَ يابِسًا هَشِيمًا(١٤)، والهَشيمَ مُضمَحِلًّا(١٥)".

"ولانهِدامِ المنازلِ غايةٌ قريبةٌ، ومدَّةٌ قصيرةٌ. والساكنُ فيها هو كانَ المتمتِّعَ بها(١٦)، والمنتفِعَ بمرافقِها. وهو الذى أبْلَى جِدَّتَها وتحلَّاها. وبه هَرِمَتْ وذهبَ عُمُرُها، لِسُوءِ تَدْبيره."

---

(١) القرمد (بوزن جعفر): كل ما طلى به، كالجص. وقرمده: طلاه به. يريد: طليت أرضها بالقرمد.

(٢) اللبن المحرق. (٣) دون الدار، أى مانعة من أن تصاب أرضها بأذى من جراء الدق. (٤) جواب الشرط. والضمير عائد الى السكان. (٥) النذالة. فسل (بضم السين أو بكسرها) فسالة وفسولة وفسولا. فهو فسل (بفتح فسكون). لسان. (٦) لم يعط، الفاعل يعود إلى الساكن. وهو التفات من الجمع إلى المفرد. وهو ما نراه كثيرا فى أسلوب الجاحظ، كما قد نرى العكس. وقوله (لذلك)، أى لما أفسده بالدق من الأرض.

(٧) دية وجائزة. قال فى اللسان: (أروش [بضمتين، جمع أرش] الجنايات والجراحات: جائزة لها عما حصل فيها من النقص). (٨) (ولا استحل صاحب الدار): لم يسأل صاحب الدار أن يحله مما عمله من التخريب، يعنى أن يسامحه ويعفو عنه. (٩) ثم يستكثر الخ، أى فى إصلاح ما أفسد. (١٠) أى فى شراء الدار.

(١١) الجدة: الجديد، سمية بالمصدر. (١٢) الجميع: الناس المجتمعون. فقوله: (المجتمع)، للتوكيد.

(١٣) (عاملة فى الدور): آخذة منها، ومفنية لها. (١٤) الهشيم من النبات: اليابس المتكسر.

(١٥) فانيا. (١٦) تمتع بها، على المجاز. وأصله من: تحلى الشيء: وجده حلوا، كحليه (على وزن رضى) واستحلاه واحلولاه. ويجوز أن تكون محرفة عن تملاها (بتشديد اللام)، بمعنى تمتع بها حينا.

«فإذا قسَمْنا الغُرْمَ عندَ انهدامِها بإعادتها (١)، وبعد ابتنائها (٢)، وغُرْمَ ما بين ذلك من مَرَمَّتِها وإصلاحِها؛ ثم قابَلْنا بذلك ما أخَذْنا من غَلَّاتها، وارْتَفَقْنا (٣) به من إكْرائها (٤)، خرجَ على المُسْكِن من الخُسْران، بِقَدْرِ ما حَصَلَ للسَّاكن من الرِّبْح (٥). إلاّ أنَّ الدَّراهمَ التى أخْرَجْناها مِنَ النَّفقة كانتْ جُمْلةً، والتى أخَذْناها على جِهة الغَلَّة (٦) جاءتْ مُقَطَّعة.»

«وهذا مَعَ سُوءِ القضاء (٧)، والإحْواجِ (٨) إلى طُول الاقْتِضاء، ومع بُغْض السَّاكن للمُسْكِن، وحُبِّ المُسْكِن للسَّاكن؛ لأنَّ المُسْكِنَ يُحِبُّ صِحَّةَ بدَنِ الساكن، ونَفَاقَ سُوقِه، إنْ كان تاجِرا، وتَحرُّكَ صِناعته (٩)، إنْ كان صانعا، ومَحبَّةُ (١٠) الساكِنِ أنْ يَشْغَلَ اللهُ عنه المُسْكِنَ كيفَ شاء (١١): إن شاءَ شَغَلَه بِعَيْنِه (١٢)، وإنْ شاءَ بزمانه (١٣)، وإنْ شاءَ بِحَبْس، وإن شاءَ بِمَوْت (١٤)!»

«ومَدارُ مُناه أنْ يُشْغَلَ عنه (١٥)، ثم لا يُبالى كيفَ كان ذلك الشُّغْلُ! إلا أنَّه كلَّما كان أشدَّ كان أحبَّ إليه، وكان أجْدَرَ أنْ يأمَنَ (١٦)، وأخْلَقَ (١٧) لأنْ يَسْكُن. وعلى أنَّه (١٨) إنْ فَتَرَتْ (١٩) سُوقُه، أو كَسَدَتْ

(١) الجار والمجرور متعلق (بالغرم). (٢) بنائها، أى مرة ثانية. وفى نسخة ليدن: (ابتلائها)، وهو تحريف. وقوله: (وبعد ابتنائها)، هو بمعنى (بإعادتها). (٣) انتفعنا به. (٤) أكراه الدار وغيرها إكراء: آجره فاستأجر. (٥) خرج الخ، أى بعد هذه القسمة والمقابلة. وقوله: (من الربح)، أى من انتفاعه بالدار فى خلال تلك المدة. (٦) إلا أن الخ، (من النفقة)، أى من أجلها. و(على جهة الغلة): من طريق الاستغلال والربح. (٧) مع سوء القضاء: مع سوء أداء الساكن للكراء، بنحو المطل فى أدائه، وإعطائه المالك مجزأ، وغير ذلك. (٨) والإحواج الخ، أى وإحواج الساكن المسكن إلى طول الاقتضاء. والاقتضاء: تحصيل ما على المدين وأخذه. فالمراد بطول الاقتضاء طول زمنه، بأن يؤجل الدفع أو يماطل.

(٩) (وتحرك صناعته): ونفاق ما يصنع ورواجه. (١٠) معطوف (على بغض)، أى ومع محبة الخ.

(١١) (كيف شاء): على أى وجه من وجوه الشغل. (١٢) أى بذاته، كأن يسلط عليه المرض أو الحزن مثلا. وقد تكون كلمة (بعينه) محرّفة عن كلمة (ببنيه). وذلك كأن يصاب بمرض أولاده، أو بخيبتهم فى الحياة، أو بعقوقهم. ويمكن أن تكون: بعينة (بكسر العين)، وهى الدين. وفى مقدّمة نسخة ليدن ما يفيد أنها قد تكون: «بعنبة». قلنا: والعنبة: بثرة (بفتح فسكون) تخرج فى الإنسان. قاموس. وفى اللسان: تعدى: وقال الأزهرى: تسمئد [ترم] فترم وتمتلئ ماء وتوجع. تأخذ الإنسان فى عينه وفى حلقه اهـ. (١٣) أى بأحوال زمانه، بأن يكون قلقا فى عيشته، غير مرتاح البال من جهة رزقه أو تجارته أو غير ذلك. وقد تكون الكلمة: «بزمانة» (بفتح الزاى) وهى: العاهة.

(١٤) أى بموت أحبابه أو أهله أو ولده. (١٥) المصدر من أن وما دخلت عليه مجرور بعلى محذوفة. والجار والمجرور خبر (مدار). (١٦) (وكان أجدر أن يأمن)، أى أن يأمن به جانب المسكن. (١٧) وأخلق الخ، يقال: فلان خليق لكذا، أى جدير به. و(يسكن): تطول سكناه فى المنزل. (١٨) (وعلى أنه)، الضمير يعود إلى الساكن. وقد تقدّم الكلام على هذا التركيب. (١٩) فترت: كسدت.

صناعَتُه، أَلَحَّ[٢] فى طَلَب التَّخْفِيف من اصْل الغَـلَّة[١]، والحطيطَة مما حَصَلَ عليـه من الأَجْرة . وعلى أنَّه[٣] إن أَتاه الله بالأَرْبَاح فى تجارته، والنَّفاقِ فى صِناعته، لم يَرَ أن يَزِيد قيراطًا فى ضَرِيبته، ولا أنْ يُعَجِّل فَلْسًا قبل وَقْته . "

"ثم إنْ كانت الغَلَّةُ صِحَاحا[٤]، دَفَع أَكْثَرَها مُقَطَّعَةً[٥]. وإنْ كانَتْ أنصافًا وأَرْباعا، دَفَعَها قُراضَةً[٦] مُفَتَّتة . ثم لا يَدَعُ مُزأبقًا[٧]، ولا مُكَحَّلًا[٨]، ولا زائِفًا[٩]، ولا دِينارا بَهْرَجًا[١٠]، إلا دَسَّه فيه[١١]، ودلَّسه عليه، واحتالَ بكلِّ حِيلة، وتأتَّى له[١٢] بكلِّ سَبَب . فإنْ ردُّوا عليه بعدَ ذلك شيئا، حَلَفَ بالغَمُوس[١٣] إنَّه لَيْسَ مِنْ دَرَاهِمه، ولا مِن ماله، ولا رآه قطُّ، ولا كان فى مِلْكه . "

"فإنْ كان الرسـولُ[١٤] جاريةً ربَّ الدار أفْسَـدَها . وإن كانَ غُلاما خَدَعَه . هـذا مع

(١) المراد بالغلة الكراء، كما سبق . (٢) (الحطيطة) معطوف على (التخفيف)، أى وفى طلب الحطيطة . والحطيطة فعيـلة بمعنى مفعولة . قال فى اللسان : تقول : استحطنى فلان من الثمن شيئا . والحطيطة كذا وكذا من الثمن اهـ . وقوله : حصل عليه، أى حق عليه . (٣) وعلى أنه الخ، (أتاه الله بالأرباح) : جاءه بها . وقوله : لم ير الخ، أى إذا طلب (على صيغة المجهول) منـه ذلك . والقيراط : نصف الدانق . والدانق : سـدس الدرهم . والضريبة : واحدة الضرائب . والمراد هنا ما ضرب عليـه من الكراء . (٤) (صحاحا) صفة لموصوف محذوف، أى دراهم أو دنانير صحاحا مثلا . (٥) مقطعة : مجزأة : بألا يدفع الدينار مثلا صحيحا، بل أجزاء فى أوقات مختلفة . (٦) القراضة : ما سقط بالقرض . ومنه قراضـة الذهب اهـ من اللسان . يعنى : دراهم أو فلوسا مثلا . (٧) فى اللسان : درهم مزأبق : مطلى بالزئبق اهـ . ويظهر أن الدراهم الزيوف (بضمتين) كانت تطلى بالزئبق إيهاما أنها فضة . وفى نسخة ليدن : مزبقا، بتشديد الباء مفتوحة . وهو تحريف . (٨) يظهر لنا أن المراد بالمكحل هنا درهم ظاهر الزيف (بفتح فسكون) . فيجعل عليه شىء من السواد لإخفائه . والكلام على المجاز . (٩) زافت الدراهم (من باب باع) : ردؤت . ثم وصف بالمصدر، فقيل : درهم زيف . وجمع فقيل : زيوف . وربمـا قيل : زائف، على الأصل . والجمع زيف (بضم فياء مشدّدة مفتوحة) اهـ من المصباح . (١٠) دينار بهرج : ردىء الذهب . وكذا يقال فى الدرهم، إذا كان ردىء الفضة . (١١) الضمير يعود على (الغلة) . وذكره باعتبار الكراء . (١٢) (تأتى له) : تلطف واحتال . والضمير فى (له) يعود إلى التدليس المفهوم من (دلسه) . (١٣) (بالغموس) : باليمين الغموس . لأنها تغمس صاحبها فى الإثم، لأنه حلف كاذبا على علم منه . (١٤) المرسل لرد الدراهم أو الدنانير الرديئة .

الإشراف على الجيران[١]، والتعرّض للجارات[٢]، ومع اضطياد طيورهم، وتعريضنا لشكايتهم[٣]!»

«وربما استضعف عقولَهم، وطمع في فسادهم وغَبْنِهم[٤]. فلا يزال يضرب لهم بالأسلاف[٥]، ويُغريهم بالشهوات، ويفتح لهم أبواباً من النفقات، ليَغبِنَهم[٦]، ويربح عليهم. حتى إذا استوثق منهم[٧]، أعجلهم، وحزَق بهم[٨]، حتى يتّقوه ببيع بعض الدار، أو باسترهان الجميع[٩]، ليربحَ مع الذهاب بالأصل السلامةَ — مع طول مُقامه — من الكِراء[١٠]. وربما جعله بيعاً في الظاهر[١١]، ورهناً في الباطن[١٢]. فحينئذ يَفَظُّ بهم دون المُهلة[١٣]، ويدّعيها[١٤] قبل الوقت!»

---

(١) (الإشراف على الجيران) : الاطلاع على أحوالهم وعوراتهم من مكان عال . وفي نسخة ليدن : (الشرف)، بدل (الإشراف) . ولا نظنه يصلح إلا على تأويل بعيد . (٢) (التعرض للجارات) : التصدى لهن بما يكرهن من قول أو فعل . (٣) وتعريضنا الخ، أى لأنا أصحاب الدار . والشكاية إنما توجه إلينا . والشكاية من مصادر (شكاه)، أى أخبر عنه بسوء فعله . وإضافة (شكاية) إلى الضمير من إضافة المصدر إلى فاعله .

(٤) وربما استضعف الخ، الضمير في (عقولهم) راجع إلى (الملاك)، كما يدل عليه ما يأتى، وإن كان القارئ ربما يتوهم بادى الرأى أنه يعود إلى الجيران . (وغبنهم)، هكذا في نسخة الشنقيطى . وفي نسخة (ليدن) : وعيبهم . وهى صحيحة التخريج . وأصل الغبن : الظلم في البيع . والمراد هنا الخديعة . (٥) فلا يزال الخ، (الأسلاف) : جمع سلف . أى فلا يزال يغريهم بإقراضهم المال . (٦) (ليغبنهم)، هكذا في نسخة الشنقيطى . وفي نسخة (ليدن) : (ليغنيهم)، بفتح الغين وتشديد النون مكسورة، وهو ما لا معنى له . وفي هامش طبعة (ليدن) أن هناك نسخة فيها : (ليعيبهم) . ويحتمل أن تكون : (ليعيبهم)، أو (ليعييهم، مضارع أعياه) . وكلاهما صحيح التخريج .

(٧) حتى إذا الخ، أى حتى إذا تمكن منهم، وتحقق وقوعهم في حبائله، أعجلهم، أى حملهم على أن يعجلوا في دفع ما عليهم له . (٨) في التاج : وحزقوا به : أحاطوا به اهـ . فمعنى (حزق بهم) : أحاطت بهم مكايده من كل جانب، وشدد عليهم، حتى يتقوه ببيع الخ . (٩) باسترهان الجميع : بطلب رهن جميع الدار له . ففي الأساس : واسترهنني فرهنته ضيعتى . (١٠) ليربح الخ، (السلامة) مفعول (يربح) . و (من الكراء) متعلق بالسلامة . (١١) (بيعا في الظاهر)، أى أمام الناس، حتى يقولوا : إنه قد أدّى الثمن كاملا .

(١٢) (ورهنا في الباطن)، أى حتى لا يدفع الثمن كله . (١٣) يفظ بهم : يغلظ عليهم ولا يمهلهم . فظ يفظ (كتعب يتعب) فظاظة : غلظ . ولم نجد فيما لدينا من المراجع : (فظ به) . ولكن : (فظ عليه) . ففي الأساس : ولقد فظظت علينا وغلظت اهـ . (١٤) أى الدار .

الإجرة المضيف

"وربما بلغ من استضعافه،(١) واستثقاله لأداء الكِراء، أنْ يدَّعى أنّ له شَقيصًا،(٢) وأنّ له يدًا،(٣) ليصيرَ خَصْمًا من الخُصوم، ومنازِعًا غير غاصب."

"ورُبّما اكْتَرى المنزلَ وفيه مَرَمَّةٌ،(٤) فاشْتَرى بعضَ ما يُصْلِحها.(٥) ثم يَتَوَخّى عاملًا جيّدَ الكُسْوةِ، وجيرانًا أصحابَ آنيةٍ وآلة.(٦) فإذا شُغِلَ العاملُ وغَفَلَ، اشْتَمَلَ على كلِّ ما قَدَر عليه،(٧) وتركهم يَتَسكَّعون!"(٨)

٥

"وربّما استأجَرَ إلى جَنْبِ سِجْن،(٩) لِيَنْقُبَ أهلُه إليه، وإلى جَنْب صَرّاف لينْقُبَ عليه،(١٠) طَلبًا لِطُول المُهْلة والسِّتْر، ولِطُولِ المُدَّةِ والأَمْنِ."(١١)

وربّما جَنى الساكنُ ما يَدْعو إلى هَدْم دارِ المُسْكِن:(١٢) بأنْ يَقْتُل قَتيلا، أو يَجْرَح شَريفا.(١٣)

(١) المصدر مضاف إلى فاعله. والمفعول محذوف، أى من استضعاف الساكن المالك وتجبره عليه. وفى الأساس: واستضعفته وتضعفته: وجدته ضعيفا فركبته بسوء. (٢) الشقص (بكسر فسكون) والشقيص: نصيب معلوم غير مفروز. يعنى: شقيصا فى الدار التى يسكنها. (٣) يدا: ملكا فى الدار. (٤) (وفيه مرمة)، هكذا فى النسخ. وفى نسخة الشنقيطى: (وما فيه مرمة) ولها وجه، للمبالغة فى الخديعة. وقد أطلق المصدر وهو (المرمة) على ما يرم. (٥) أعاد الضمير على المرمة بالاعتبار السابق. (٦) ثم يتوخى الخ، أى إنه حين يكترى هذا المنزل يراعى فى العامل أن يكون جيد الكسوة، ليغش به الجيران، وليوهمهم أنه من أهل الثراء. ويراعى أيضا فى جيرانه فى المنزل — حين يكتريه — أن يكونوا أغنياء. حتى إذا انصرف العامل إلى عمله، وغفل السكان، اشتمل الخ. وفى العبارة إيجاز شديد. والآنية: جمع إناء، وهو الوعاء. والأوانى: جمع الجمع. والآلة (كما عرفها اللسان): ما اعتملت به من الأداة، يكون واحدا وجمعا اهـ والمراد هنا آلات الترف والنعمة. يعنى أن يكونوا أهل ثراء. (٧) (اشتمل على كل ما قدر عليه): أخذه وذهب به. ففى اللسان: يقال: اشتمل على ناقة فذهب بها، أى ركبها وذهب بها اهـ. (٨) (يتسكعون): فى حيرة لا يهتدون إلى ما سلبوا. ففى الأساس: فلان يتسكع فى أمره: لا يهتدى لوجهه. (٩) وربما الخ، مفعول استأجر محذوف، أى بيتا. ونقب الحائط من باب نصر: خرقه. ومفعول (ينقب) محذف، أى الحائط. والضمير فى (إليه) يعود إلى المستأجر. أى فيتخذ ذلك حيلة لفرار المسجونين من إخوانه المجرمين.

١٠

١٥

٢٠

(١٠) لينقب عليه، أى فيسلبه ماله. (١١) طلبا لطول الخ، (طلبا) تعليل لقوله: (وربما استأجر الخ). أى إنه إنما يستأجر المنزل بجانب السجن، وبجانب الصراف، ليدبر أمره فى مهلة وأمن وتستر من عيون الرقباء والشرط (بضم ففتح). (١٢) وربما الخ، يظهر أن مثل هذا العقاب كان متبعا فى ذلك العصر. (١٣) الشريف: الماجد الكريم الآباء.

٢٥

فيأتى السلطانُ الدّار، وأربابُها إمّا غُيَّبٌ[1]، و إمّا أيتامٌ، و إمّا ضُعفاءُ؛ فلا يَصنعُ شيئاً دُون أن يُسوِّيَها بالأرض ! "

"وبعدُ فالدُّور مُلقاةٌ[2] وأربابُها مَنكوبونَ ومُلْقَوْنَ . وَهُمْ أشدُّ الناس اغْترارا بالناس[3]، وأبعدُهم غايةً مِنْ سَلامة الصدور[4]. وذلك أنّ مَنْ دفَعَ دارَه ونِقْضَها[5] وساجَها[6] وأبْوابَها، مَعَ حَديدها وذَهَبِ سُقُوفها ، إلى مَجْهُول لا يُعْرَف، فقد وَضَعَها فى مَواضعِ الغَرَر[7]، وعلى أعْظَمِ الخَطَر[8] . وقد صَارَ فى مَعْنَى المُودِع، وصار المُكْتَرِى فى مَوْضِع المُودَع[9] . ثمّ لَيْسَت الخِيانَةُ وسُوءُ الوِلايَة إلى شيء من الودائع أَسْرَعَ منها إلى الدُّور[10] ."

"وأيْضًا، إنّ أصْلَحَ السُّكّانِ حالا مَنْ إذا وَجَدَ فى الدار مَرَمَّةً، فَفَوّضُوا[11] إليه النفقةَ، وأنْ يَكون ذلك مَحسوبًا له[12] عنْدَ الأهِلَّة[13]، يُشَفِّفُ[14] فى البِناء، ويَزيدُ فى الحِساب ."

(١) فيأتى الخ، السلطان : الوالى . والمراد هنا الوالى أو من ينيبه عنه . والغيب : جمع غائب . و يجمع أيضا على غياب (بضم فتشديد الياء)، وغيب (بفتح فسكون) . (٢) لا تزال يلقاها مكروه، كما فى اللسان .

(٣) وهم أشد الخ، أى أعظمهم إحسانا للظن بهم . (٤) من سلامة الصدور، (من) بمعنى (فى) . وسلامة الصدور : براءتها من المكر والخبث . (٥) النقض بالكسر والضم : المنقوض، أى المهدوم، كما فى القاموس وشرحه . ولكن المراد هنا ما تألف منه بناء الدار، من حجارة وطوب وغير ذلك، كما يفهم من المقام . ولعل (نقضها) محرفة عن (نقشها) . (٦) الساج : خشب يجلب من الهند . واحدته ساجة . لسان .

(٧) الغرر : الخطر . (٨) (أعظم الخطر) : أعظم مواطن الخطر . وفى نسخة ليدن : (على عظم الخطر) .

(٩) وقد صار الخ، (صار)، أى المسكن . و(فى معنى) : فى حكم . والمودع، من قولك : أودعته مالا، أى دفعته إليه، ليكون وديعة عنده . والمودع، أى الذى أودع (بالبناء للفعول) المال . أى وتكون الدار فى معنى الوديعة .

(١٠) ثم ليست الخ، فى العبارة تقديم وتأخير . وأصلها هكذا : (ليست الخيانة وسوء الولاية أسرع إلى شىء من الودائع منها إلى الدور) . وسوء الولاية : سوء القيام على الشىء . يعنى أن الدور و إن كانت فى حكم الودائع عند المكترين، فانها أدنى إلى الخطر وسوء الولاية من سواها، بسبب ما تلاقيه على أيديهم من المساءة . وقد فصل المؤلف ذلك آنفا . (١١) فى نسخة (ليدن) : (فوضعوا) . وهو غير معقول . وفى نسختى الشنقيطى والساسى : (فوضوا) . ولكن (فوضوا) لا يستقيم المعنى عليه على أنه جواب الشرط . ولذا رجحنا أن يكون الأصل (ففوضوا) . وجواب الشرط : (يشفف)، كما هو ظاهر . (والنفقه)، أى على المرمة . (١٢) المصدر المنسبك من (أن) وما بعدها معطوف على النفقة، أى وفوضوا إليه أن يكون ذلك الخ . (١٣) عند الأهلة : عند ابتداء الشهور القمرية . (١٤) يشفف : ينقص، أو يزيد، كما فى شرح القاموس . ولكن المراد هنا النقص .

„فما ظَنُّك بقَوْم هؤلاء أصْلَحُهُمْ، وهُمْ خِيَارُهم ! "

„وأنتم أيضا إنَّما اكْتَرَيْتُمْ مُسْتَغَلَّاتِ غيرنا بأكْثَرَ مما اكْتَرَيْتُمُوها منَّا . فسِيرُوا فينا كَسِيرَتِكُمْ فيهم، وأعْطُونَا مِنْ أنفسكم، مِثْلَ ما تريدونه مِنَّا[1] . "

„ورُبَّمَا بَنَيْتُمْ فى الأرض . فإذا صار البِنَاءُ بُنْيَانَكم، وإنْ كانت الأرضُ لغيركم، ادّعيتُمُ الشِّرْكَةَ[2] ، وجَعَلْتُموه كالإجارة[3] ، وحتى تُصَيِّرُوه[4] كتِلَادِ[5] مالٍ ، أو مَوْرُوثِ سَلَفٍ[6] . "

„وجُرْمٌ آخَرُ[7] : وهو أنّكم أهلكتم أُصُولَ[8] أموالنا ، وأخْرَبْتُمْ غَلَّاتِنا ، وحَطَطْتُمْ بسُوءِ مُعاملتكم أثمانَ دُورِنا ومُسْتَغَلَّاتِنا ، حتى سَقَطَتْ غَلَّاتُ الدُّورِ من أعينِ المَيَاسِيرِ وأهلِ الثَّرْوة، ومن أعْيُنِ العَوَامِّ والحِشْوَةِ[9] ، وحتى يُدَافِعُوكم[10] بكُلِّ حِيلة، وصَرَفُوا أموالَهم فى كلِّ وَجْه[11] ، وحتى قال

(١) إذا رجعنا إلى نسخة (ليدن) وجدنا هناك اضطرابا فى الضمائر، لا يفهم معه معنى . لذلك وضعنا (غيرنا) بدل (غيركم)، (ومنا) بدل (منه)، و(منا) بدل منهم . وهذا ما نظنه الوضع الأصلى . والمعنى الذى نفهمه من هذه العبارة — على إيجازها وإدماجها — أنكم أيها السكان تكترون مستغلات غيرنا مما ليس دورا بأكثر مما تكترون به دورنا ، معاشر ملاك الدور، أى إنكم تنقصون منا ما تزيدونه هناك، وتضيقون علينا ما وسعتم على غيرنا — وذلك بدليل قوله : (فسيروا فينا الخ) . وقوله : وأعطونا الخ، أى وعاملونا بالحسنى كما تريدون أن نعاملكم . وفى نسخة ليدن : (تزيدوا)، بدل (تريدونه) . وهو غير مفهوم . (٢) ادّعيتم الشركة ، أى فى الأرض جميعها . (٣) وجعلتموه كالإجارة ، أى جعلتم هذا الصنيع منكم بمنزلة الإجارة للأرض القائم عليها البنيان ، فلا تدفعون لها كراء .

(٤) الضمير المفعول عائد إلى النصيب القائم على دعوى الشركة . (٥) التالد والتليد والتلاد : كل مال قديم . وخلافه الطارف والطريف . (٦) موروث عن سلف (جمع سالف) ، أى الآباء والجدود ، ومن يورثون . (٧) وجرم آخر، أى وهناك ذنب آخر واعتداء منكم علينا . (٨) أصول أموالنا : رءوس أموالنا التى بها بنينا الدور ، أو اشتريناها — وذلك بتخريبكم للدور . و(أخربتم غلاتنا) ، يريد بالغلات الدور مجازا ، لأن الدور أصل الغلة . (٩) حتى سقطت الخ ، المياسير جمع موسر (بضم الميم) ، كما فى اللسان . والموسر : الغنى ذو الثروة . فقوله : وأهل الثروة ، إطناب . والحشوة ، بكسر الحاء وضمها : رذال الناس ، كما فى اللسان . ومعنى سقطت غلات الدور الخ ، أن المياسير وغير المياسير لم يعودوا ينظرون إلى الدور ، من حيث إنها مورد للربح . فامتنعوا عن شراء الدور ، فسقطت بذلك قيمتها . (١٠) كان مقتضى الظاهر أن يقول : وحتى دافعنا كم ... وصرفنا الخ ، ولكنه التفت ، كما هو دأبه كثيرا . و(يدافعوكم) : يصدوكم عن طريقكم هذه من الإضرار بدورهم . (١١) فى كل وجه ، أى من وجوه المدافعة ، ومن وجوه ترغيب الناس فى دورهم .

عُبَيْدُ الله بْنُ الحَسَنِ قَوْلًا أَرسَلَه مَثَلا ، وعادَ علينا حُجَّةً (١) وضَرَرا . وذلك أنه قال : غَلَّةُ الدارِ مُسْكَةٌ (٢) ، وغلّة النَّخل كَفاف (٣) . و إنما الغَلّة غلّةُ الزَّرع والنَّسُولتين (٤) . " إبهيم الحوري ومنسر

" و إنّما جَرَّ ذلك علينا حُسْنُ اقتضائنا (٥) ، وصَبْرنا على سُوءِ قَضائكم (٦) ، وأنتم تَقَطَّعونها (٧) علينا ، وهي عليكم مُجْمَلَة ، وتَلْوُونَنا (٨) بها ، وهيَ عليكم حَالَّةٌ (٩) . فصارتْ لذلك غَلّاتُ الدُّورِ — و إنْ كانَتْ أَكْثَرَ ثمناً ودَخْلًا (١٠) — أقلَّ ثمناً وأخبَثَ أصْلًا (١١) مِنْ سائِرِ الغَلّات . "

" وأنتم شرٌّ علينا من الهِنْد والرُّوم ، ومن التُّرك والدَّيْلَم (١٢) ، إذْ كُنْتم أحْضَرَ أذًى ، وأدْوَمَ شرًّا . "

" ثم كانَتْ هذه صِفَتَكم (١٣) وحِلْيَتَكُم (١٤) ومُعامَلَتَكُم (١٥) ، في شيء لا بدَّ لكم منه ، فكيفَ كنتُم لو امتُحِنتُم بما لَكُمْ عَنْه مَنْدُوحَةٌ (١٦) ، والوُجوهُ لكم فيه مُعْرِضَة (١٧) ، وأنتم فيها بالخِيار ، وليسَ عليكُمْ طريقُ الاضْطِرارِ ؟ "

---

(١) عبيد الله بن الحسن العنبرى القاضى . كان من الفصحاء الخطباء . وفى (البيان والتبيين) : سمعت قحطبة الجشمى يقول : كان أهل البصرة لا يشكون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن وعبيد الله بن سالم . ولعبيد الله بن الحسن نوادر وطرف وأقوال فى (عيون الأخبار) و (البيان والتبيين) . (٢) (مسكة) : ما يمسك الرمق من طعام وشراب . ووجه الشبه الضآلة فى كل . وفى نسخة الشنقيطى : (مسألة) . ولها وجه . (٣) الكفاف : مقدار الحاجة ، من غير زيادة ولا نقص . (٤) النسولة : التى تقتنى للنسل . والنسولتان : الإبل والغنم . وغلتهما : أولادهما . (٥) حسن اقتضائنا : حسن مطالبتنا لكم بحقنا . (٦) قضائكم : أدائكم لحقنا . (٧) الضمير المفعول راجع إلى غلة الدار التى هى الكراء . وتقطيعها : إعطاؤها مجزأة . (٨) لواه بدينه ليا : مطله . وفى نسخة ليدن : وتلوونا . (٩) حالة : واجبة الأداء . (١٠) و إن كانت الخ ، كانت ، أى الدور فى ذاتها ، من حيث إنها مورد طيب من موارد الاستغلال . (١١) (أقل ثمنا ، وأخبث أصلا) ، أى بسبب ما يلقاه أصحاب الدور من سوء معاملتكم لهم ، وما تلقاه هى من سوء استعمالكم إياها . وفى التعبير شىء من التجوز يظهر بالتأمل . (١٢) وأنتم شر الخ ، الديلم : جيل من الترك . و إنما ذكر هذه الأجيال دون غيرها ، لأنها كانت أعدى أعداء العرب إذ ذاك . (١٣) إشارة إلى الأخلاق وصنوف المعاملة التى ذكرها آنفا . (١٤) الحلية : الصفة . (١٥) الجار والمجرور حال من (صفتكم) وما بعده . والشىء الذى لابد منه هنا هو المسكن . (١٦) فكيف كنتم الخ ، أى فكيف تكون حالكم لو اختبرتم وابتليتم الخ . ومندوحة : سعة ومنصرف . (١٧) والوجوه الخ ، معرضة : ظاهرة . ففى اللسان : والشىء معرض لك : موجود ظاهر لا يمتنع اه والمراد بالوجوه هنا وجوه قبول هذا الشىء ورفضه .

"وهــذا مع قَوْلكم : إنَّ نُزُولَ دُور الكراءِ، أَصْوَبُ مِن نُزُول دُورِ الشِّراء (١) . وقلتمُ (٢) : لأنَّ صاحِبَ الشِّراء قد أَغْلَق رَهْنَه (٣)، وأَشْرَطَ نَفْسَه (٤)، وصار بها مُمْتَحناً، وبِثَمنها مُرْتَهناً (٥) . "

"ومَنِ اتَّخَذَ داراً (٦) فقد أقام كَفِيلاً لا يَخْفِر، وزَعِيماً (٧) لا يَغْرَم . و إن غابَ عنها حَنَّ إليها . و إن أقامَ فيها أَلزمَتْه المُؤَنَ (٨)، وعَرَّضَتْه للفِتَن، إنْ أساءُوا جِوارَه (٩)، وأَنْكَرَ مَكَانَه (١٠)، وبَعُدَ مُصلّاه (١١)، ومات عنه سُــوقُه (١٢) ، وتفاوتَتْ حوائجه (١٣)، ورأى أنّه (١٤) قد أَخْطَأَ فى اخْتِيارها على سِوَاها ، وأنّه لم يُوَفَّق لِرُشْدِه (١٥) حينَ آثرَهَا على غيْرِها . و إنَّ مَنْ كان كذلك فهو عَبْدُ دَارِه، وخَوَلُ (١٦) جَارِه . "

(١) وهذا الخ، يشير إلى ما أسلف من أخلاق السكان وســوء معاملتهم للسكنين . ودور الكراء : الدور المعدّة للكراء . ونزولهـا : سكناها . ودور الشراء : الدور التى تشترى . ونزولهـا : سكناها أيضا . يريد أن الأصوب فى الحياة أن يكترى الإنسان مسكنه ، لا أن يشتريه . (٢) أى فى تعليل ذلك . (٣) لأن الخ، صاحب الشراء : صاحب المنزل المشــترى . والغلق (بفتحتين) فى الرهن : ضد الفك . فإذا فك الراهن الرهن فقد أطلقه من وثاقه عند مرتهنه . وقد أغلقت الرهن فغلق (بكسر اللام)، أى أوجبته ، فوجب للرتهن . لسان .

(٤) فى المختار : أشرط فلان نفسه لأمر كذا ، أى أعلمها له وأعدها اه . يعنى أنه أعدّ نفســه لدفع الرهن .

(٥) وصار الخ، بها : بدار الشراء . وممتحنا : مبتلى . ومرتهنا : رهينا . (٦) ومن اتخــذ الخ ، اتخذ دارا : جعلها لنفســه ملكا . و(كفيلا لا يخفــر) : ضامنا لا يفى بضمانته . يقـال : خفر بالعهد يخفــر (من باب ضرب . وفى لغة من باب قتل) : إذا وفى به . والكلام على المجاز . (٧) الزعيم : الكفيل : أى أقام كفيلا لا يؤدى ما تكفل به ، وألزمه نفسه . والمراد أنه لا يعتمد عليهـا فى الوفاء بمـا ينتظر منها من غلة .

(٨) (ألزمتــه المؤن) ، أى بمـا ينفقه عليها فى إصـلاحها ومرمتها ، لتكون وافيــة دائمـا براحته ومتاعه .

(٩) الفاعل يعود إلى الجيران، كما يفهم من المقام . (١٠) (أنكر مكانه) : لم تعرف منزلتــه ، ولم يحترم قدره . (١١) مصلاه : مكان صلاته، وهو المسجد . فإنه إذا كان بعيدا، اضطر إلى الغياب عنه للصلاة ، فيكابد فى ذلك مشقات شدادا . وربمـا فاتته بعض صلوات الجماعة فى المسجد لبعده .

(١٢) موت سوقه : كساده . والمراد كساد تجارته إن كان تاجرا . أى فيفتقــر ، ويتعرض للدائنين الذين لا يرحمون . وربمـا ذهبوا بالدار فى ديونهم . (١٣) تفاوتت حوائجه : اختلفت مطالبه وتنوعت ، وتعدّدت مناحيها وجهاتها . (١٤) ورأى الخ ، عطف معلول على علتــه ، أو مسبب على سببه ؛ لأن ما سبق من قوله : إن أساءوا جواره ، إلى قوله : حوائجه ، إنمـا هى أسباب لاعتقاده (أنه قد أخطأ الخ) .

(١٥) الرشــد : الصلاح . وهو إصابة الصواب . (١٦) الخول : الخــدم . مفرده خائل . وقد يستعمل للفرد كما هنا .

"وإنَّ صاحبَ الكِراءِ الخِيارُ في يَدِه، والأمرُ إليه: فكلُّ دارٍ هي له مُتَنَزَّهٌ[(١)]، إنْ شاء، ومَتْجَرٌ[(٢)]، إنْ شاء، ومَسْكَنٌ، إنْ شاء. لم يَحْتَمِل فيها[(٣)] اليسيرَ من الذُّلِّ، ولا القليلَ من الضَّيْمِ؛ ولا يَعرِفِ الهَوانَ، ولا يُسامُ الخَسْفَ[(٤)]، ولا يَحْتَرِسُ من الحُسَّاد، ولا يُدارِي المُتَعَلِّلين[(٥)]."

"وصاحبُ الشِّراء يَجرَعُ المُرارَ[(٦)]، ويُسْقَى بكأسِ الغَيْظ، ويَكُدُّ لِطَلَبِ الحوائج[(٧)]، ويَحْتَمِل الذِّلَّةَ، وإنْ كانَ ذا أنَفَةٍ[(٨)]. إن عَفَا عَفَا على كَظْمٍ. ولا يُوَجَّهُ ذلك منه إلا إلى العَجْز[(٩)]. وإن رَامَ المُكافأةَ، تعرَّضَ لأكثرَ مما أنكرَه[(١٠)]. قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: أَلجارَ قبلَ الدَّار، والرَّفيقَ قبلَ الطَّريق[(١١)]."

"وزعمتُم أنَّ تَسَقُّطَ الكِرَاء أهْوَنُ[(١٢)]، إذْ كانَ شيئاً بَعْدَ شيء، وأنَّ الشَّدائد إذا وقعتْ جُمْلَةً جاءتْ غَامِرةً للقوة[(١٣)]. فأمّا إذا تَقَطَّعُ وتَفَرَّقُ، فليسَ يَكْتَرِثُ لها إلا مَنْ يَفْقِدُها ويَذْكُرُها[(١٤)]."

---

(١) موضع للسرور والأنس. وفي نسخة ليدن: منتزه. (٢) محل للتجارة، بأن يضع فيها البضاعة ويبيع ويشترى، من تجر (من باب نصر)، تجرا وتجارة. ويقال أيضا: اتجر (بتشديد التاء مفتوحة). (٣) فيها: بسببها. (٤) سامه الخسف: أولاه الذل والهوان. (٥) (المتعللين): الذين يأتون بالعلل، أي الأعذار، لينالوا من المسكن مأربا. والذي فيما لدينا من المراجع: (اعتل عليه علة): تمسك بحجة وسبب، لا (تعلل)، فان (تعلل) له معان غير هذا. (٦) يجرع الخ، المرار: شجر مر. وكان مقتضى الظاهر أن يقول: يأكل المرار. وبه سمى بنو آكل المرار. راجع اللسان. ولكنه قال: (يجرع)، كأنه يجرع ماءه المعتصر منه. وظاهر أن قوله: يجرع الخ، من المجاز. (٧) ويكد الخ، أي لفقره، إذ هو قليل الدخل بسبب سوء معاملة السكان له، لمطلهم إياه، ولما عليه من الديون. (٨) ويحتمل الذلة الخ، هـذا مع قوله: (يجرع المرار، ويسق بكأس الغيظ)، يعبر عما يلقاه صاحب الدار على أيدى السكان والجيران. والأنفة: الاستنكاف والإباء. (٩) ولا يوجه الخ، أي ولا يحمل كظمه لغيظه واستيائه إلا على أنه عاجز عن أن يدفع العدوان بمثله. (١٠) وإن رام الخ، أي وإن أراد أن يكافأ بالمعروف على معروفه، وبالأحسان على إحسانه، كان عرضة لأن يلحق به من الأذى أكثر مما أنكر هو منه واستفظعه. (١١) (الجار) منصوب على أنه مفعول لفعل محذوف، أي اختر الجار ــ ومناسبة إيراد الحديث هنا الإشارة إلى ما يصيب صاحب البيت من السوء، إذا أسكن معه أشرارا، أو كان جيرانه كذلك. (١٢) وزعمتم الخ، (تسقط الكراء): أخذه من الساكن منجما. وهو استعارة من تسقط الخبر، أي أخذه شيئا بعد شيء. وقوله: (أهون)، أي على الساكن ــ والكندى هنا يؤاخذ السكان على تشنيعهم على تمية المال بشراء الدور، وقولهم: إن السكنى بالكراء وتمير المال في وجوه أخرى أفضل للناس وأربح، إلى آخر ما قالوا. ويزعم أنهم بذلك قللوا من قيمة المنازل، وزهدوا الناس في شرائها. (١٣) وأن الشدائد الخ، عطف علة على معلول. كأنه يقول: وذلك لأن الشدائد الخ. وغامرة للقوة: قاهرة لها. (١٤) فأما الخ، (تقطع)، أصله تتقطع، وكذا (تفرق). ويجوز أن يكون الفعلان على البناء للمجهول. وقوله: (يفقدها ويذكرها): تذهب عنه، ثم يتذكرها جملة، فيتأسف عليها.

"ومالُ الشِّراء يَخْرُج جُمْلةً(١)، وثُلْمته(٢) فى المـال واسعةٌ، وطَعْنَتُه نافذةٌ. وليس كلُّ خَرْقٍ يُرْقع، ولا كُلُّ خارج يَرْجِع(٣)."

"وأنَّه(٤) قد أمِنَ من الحَرَق والغَرَق(٥)، ومَيْل أسْطُوانٍ(٦)، وانْقِصاف سَهْم(٧)، واسترْخاء أسَاس، وسُقوط سُتْرةٍ(٨)، وسُوء جِوار، وحَسَدِ مُشاكِل(٩)."

٥

"وأنَّه(١٠) إمّا لا يَزال فى بَلاء، وإما أن يكون متوقِّعا لِبَلاء."

"وقلتم: إنْ كان تاجِرًا(١١)، فتصريف ثمنِ الدَّار فى وُجُوه التِّجارات أربَحُ، وتحويلُه فى أصناف البِيَاعَاتِ(١٢) أكْيَسُ(١٣). وإن لم يَكُنْ تاجرًا، ففيما وَصَفْناه له ناهٍ، وفيما عَدَدْنا له زاجرٌ."

"فلم يمنعكم حُرْمةُ المُساكَنة(١٤)، وحَقُّ المُجَاورة، والحاجةُ إلى السُّكْنَى(١٥)، ومُوافقةُ المنزل(١٦)،

---

(١) ومال الشراء الخ، هذا من تتمة قوله: وزعمتم الخ. فانهم يمثلون للشدائد الغامرة التى تقع جملة بمـال الشراء.

١٠ (٢) الثلمة: الخلل فى الحائط وغيره. أى فهم يقولون: إن مال الشراء بخروجه جملة يحدث صدعا فى رأس المـال ونقصا عظيما. (٣) وليس الخ: ليس كل ما يذهب من المـال يعوض. والكلام فى كلتا الفقرتين على الاستعارة التمثيلية. (٤) وأنه الخ، معطوف على: وزعمتم أن تسقط الخ. والضمير فى أنه يعود إلى المستأجر. (٥) (أمن من الحرق والغرق)، يقال: أمنه، وأمن منه، أى لأن الدار إن غرقت بسبب طوفان نهر مثلا، أو احترقت، فهى ليست داره، والخسارة غير واقعة عليه. وكذا يقال فى باقى

١٥ المعطوفات. (٦) استعمله على أنه اسم جنس جمعى لأسطوانة، كما يظهر. وتجمع أيضا على أساطين وأسطوانات. والأسطوانة: السارية أو العمود. (٧) السهم: جائز السقف أو جائزته.

(٨) السترة: ما استترت به كائنا ما كان. ويظهر أن المراد بها هنا حائط يحجب الجار عن النظر إلى جاره.

(٩) مشابه ونظير ومنافس. وأكثر ما يقع فى العالم حسد النظير لنظيره. (١٠) وأنه الخ، الضمير فى (أنه) يعود إلى صاحب الدار. (١١) إن كان تاجرا: أى صاحب الدار.

٢٠ (١٢) البياعات: الأشياء التى يتبايع بها فى التجارة. (١٣) أكيس: أعقل من الكيس (بفتح فسكون)، وهو الظرف والفطنة والعقل. والفعل من باب باع. وله مصدر آخر، وهو الكياسة، بكسر الكاف.

(١٤) حرمة المساكنة: حق مساكنتكم إيانا، وما توجبه هذه الحرمة على المتساكنين أن يرعى بعضهم حق بعض.

(١٥) والحاجة إلى السكنى: وحاجتكم إلى أن يكون لكم مسكن تأوون إليه. (١٦) موافقة المنزل: ملاءمته لرغباتكم وراحتكم ومعيشتكم.

أنْ أشرتم على النّاس بترك الشِّراء ! وفى كَسَاد الدُّور فَسَادٌ لأثمان الدُّور،[(١)] وجَرَاءةٌ للمستأجِر،[(٢)] واسْتِحْطاطٌ[(٣)] من الغَلَّة، وخُسْرانٌ فى أصل المـال .»

«وزعمتُم أنّكم قـد أحسنتم إلينـا حين حَثَثْتُم الناسَ على الكِرَاء، لمـا فى ذلك من الرَّخاء والنَّماء! فأنتم لم تريدوا نفعَنا بتَرغيبهم فى الكِراء، بل إنّما أردتم أن تَضُرّونا بتَزْهيدكُم[(٤)] فى الشِّراء!»

«وليس يَنْبغى أن يُحْكَم على كلِّ قوم إلا بسبيلهم،[(٥)] وبالذى يَغْلِبُ عليهـم من أعمالهم . فهذه الخصالُ المذمومةُ كلُّها فيكم، وكلُّها حُجّةٌ عليكم، وكلُّها داعيةٌ تُهَمَتِكُم،[(٦)] وأخْذِ الحَذَرِ منكم . ولَيْسَتْ لكم[(٧)] خَصْلَةٌ مَحْمُودة، ولا خَلَّةٌ فيما بَيْنَنَا وبينكم مَرْضِيَّة ! »

«وقد أرَيْنا كم أنّ حُكْمَ النازِلِين[(٨)] كحُكم المُقِيمين، وأنّ كلّ زِيادةٍ فلها نصيبٌ من الغَلّة .»

«ولو تغافلتُ لكَ[(٩)] — يا أخا أهْلِ البَصْرَة — عَنْ زِيَادة رَجُلين، لم أُبعِـدْكَ — على قَدْرِ ما رأيتُ منك — أنْ تُلْزِمنى ذلك — فيما يتبيَّن[(١٠)] — حتى يصيرَ كِرَاءُ الواحدِ ككِراء الألْف، وتَصيرَ الإقامةُ كالظَّعْن،[(١١)] والتفريغُ كالشُّغْل[(١٢)] ! »

---

(١) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة ، أى من إشارتكم . يعنى أن هذه الأمور لم تردكم عن أن تشيروا على الناس بترك شراء الدور . أى وكان مقتضى المروءة أن تشيروا عليهم بالشراء، حتى لا يحدث ما ذكره فيما بعد . (٢) (وجراءة للمستأجر)، أى على صاحب الدار، لأنه ينتهز فرصة الكساد، فيسىء معاملة صاحب الدار بشتى الإساءات، وينتهز هذه الفرصة لإرجاء دفع الكراء والمماطلة فيه . (٣) يقال: استحطه من الثمن كذا لحطه له . فالسين والتاء للطلب . ولكن الطلب هنا غير مراعى . (٤) مفعول المصدر محذوف، أى: إياهم . أى ومتى زهدوا فى الشراء، انحطت أثمان الدور، وجرؤ المستأجر الخ . وقد يكون (بتزهيدكم) محرفة عن (بتزهيدهم) . (٥) بطريقهم ومنها جهم فى الحياة . (٦) التهمة، بسكون الهاء وفتحها: الشك والريبة . وأصلها الواو، لأنها من الوهم . مصباح . (٧) هكذا فى نسخة الشنقيطى . وفى نسخة (ليدن): له . وهو تحريف ظاهر . (٨) الذين ينزلون على السكان ضيوفا . (٩) أريت من نفسى أنى غافل، ولست به . (١٠) لم أبعدك الخ، المصدر من (أن) و(تلزمنى) مجرور بمن محذوفة . والتقدير: من إلزامك إياى . و(ذلك)، أى التغافل، يعنى التغافل دائما عن ضيوفك . و(فيما يتبين): فيما يظهر لى . (١١) الظعن: الرحيل، أى حتى تصير إقامة الضيفان كظعنهم، فى أن كلا الظعن والإقامة ليس له نصيب من الغلة . (١٢) (والتفريغ كالشغل): وفراغ المسكن منهم كشغله بهم . وهو بمعنى الجملة السابقة .

"وعلى أنّى لو كُنْتُ أمْسكتُ عن تَقَاضِيك(١)، وتغافلتُ عن تَعْريفك ما عليك، لذَهَبَ الإحسانُ إليكَ باطِلا(٢)، إذ كنتَ لا ترى للزِّيادة قَدْرًا(٣)."

"وقد قال الأوّل(٤):

* والكُفرُ مَخْبَثَةٌ لنفس المُنعِمِ *

وقال الآخرُ:

تَبَدَّلتُ بالمعروف نُكْرًا وربّما تنكّر للمعروف مَنْ كان يُكْفَرُ.(٥)"

"أنتَ تُطالِبُنِي بِبُغْضِ المُعْتَزِلة للشِّيعة(٦)، وبما بَيْنَ أهْلِ الكُوفَةِ والبَصْرة(٧)، وبالعَدَاوةِ التى بينَ أسَدٍ(٨) وكِنْدَةَ(٩)، وبما فى قَلْبِ السّاكِن من اسْتِثْقَال المُسْكِن! وسيُعِين الله عليكَ. والسلام."

(١) عن تقاضيك: عن طلب حق منك، أى فيما يتعلق بضيفيك. ففى اللسان: يقال: تقاضيته حقى فقضانيه، أى تجازيته بجزانيه اه. (٢) لذهب الخ، أى إحسانى إليك بالتغاضى عن ضيفيك. (٣) إذ كنت الخ، أى لأن كنت الخ. فهو تعليل لذهاب الإحسان باطلا. (٤) هو عنترة. والشطر الأوّل هو: * نبئت عمرا غير شاكر نعمة * ومخبثة: مفسدة. يعنى أن جحود النعمة والكفر بها يفسد نفس المنعم، ويثبطها عن المضى فى إسداء النعمة والمعروف، ويبعثها على الشر. (٥) تبدلت الخ، النكر: الأمر المنكر. ومنه قوله تعالى: «لقد جئت شيئا نكرا». والمراد به هنا ضد المعروف. يقول: إنى نلت من الناس نكرا بدل المعروف الذى أسديته إليهم. و(تنكر): مطاوع نكر. ويقال: نكر الشيء فتنكر، أى غيره فتغير. وفى الأساس: تنكر لى فلان: لقينى لقاء بشعا. فمعنى (تنكر للمعروف) تغيرله، أى عاداه وجهله. ويكفر: تكفر نعمته وتجحد.

(٦) أنت تطالبنى الخ، أى إنك بأفعالك هذه، وباعتدائك على حقوقى، تبعث فى بغضا لك كبغض المعتزلة للشيعة. فكأنك تطلب منى أن أبغضك مثل هذا البغض. وهو بغض كما تعلم شديد. والمعتزلة: قوم من القدرية (بفتحتين. وهم قوم ينسبون إلى التكذيب بما قدر الله من الأشياء). كما فى اللسان. زعموا أنهم اعتزلوا فئتى الضلالة (الأشاعرة والماتريدية) فى رأيهم — يعنون أهل السنة والجماعة — والشيعة فى اللغة: القوم الذين يجتمعون على الأمر. والشيعة أيضا: أتباع الرجل وأنصاره. وفى اللسان: وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته، رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسما خاصا اه. ولتفصيل مذهبهم ومذهب المعتزلة، والكلام على الأشاعرة والماتريدية مراجع خاصة. (٧) وبما بين الخ، أى وبالنفور والشحناء بين الخ، أى من علماء النحو على الأخص. فكان للأئمة من هؤلاء وهؤلاء مذاهب يناقض بعضها بعضا. يعرف هذا من يقرأ المطولات فى النحو والصرف.

(٨) أسد: أبو قبيلة من مضر (بضم ففتح). وهو أسد بن خزيمة (على صيغة التصغير) بن مدركة (بضم فسكون فكسر) بن إلياس بن مضر. (٩) فى اللسان: وكندة: أبو قبيلة من العرب. وقيل: أبو حى من اليمن. وهو كندة بن ثور. اه.

* * *

قال إسماعيل بنُ غَزْوانَ : لله دَرُّ الكِنْدِيِّ ! ما كان أحْكَمَه ، وأحْضَرَ حُجَّتَه ، وأنْصَحَ جَيْبَه [١] ، وأدْوَمَ طَرِيقَتَه [٢] ! رأيتُه وقد أقبلَ على جَماعةٍ ، ما فيها إلا مُفْسِدٌ ، أو مَنْ يُزَيِّنُ الفَسَادَ لأهله [٣] : مِنْ شاعرٍ يُودُّه [٤] أنَّ الناسَ كلَّهم قد جازُوا حَدَّ المُسْرِفين ، إلى حُدُودِ المجانين ! ومِنْ صاحِبِ تَنْقيعٍ [٥] واستِئْكالٍ [٦] ، ومِنْ مَلاقٍ [٧] مُتَقَرِّبٍ .

فقال : تُسَمُّونَ مَنْ مَنع المالَ مِنْ وُجُوه الخَطاء [٨] ، وحَصَّنَه خَوفًا مِن الغِيلَةِ [٩] ، وحَفِظَهُ إشْفَاقًا من الذِّلَّة [١٠] ، بخيلا ! تُرِيدونَ بذلك ذَمَّه وشَيْنَه ! وتُسَمُّون مَنْ جَهِل فَضْلَ الغِنَى ، ولم يَعْرِف ذِلَّةَ الفقر ، وأعطَى فى السَّرَف [١١] ، وتهاونَ بالخَطَاء [١٢] ، وابتَذَلَ النِّعمةَ [١٣] ، وأهان نفسَه بإكرام غَيْرِه ، جَوادًا ! تُرِيدُون بذلك حَمْدَه ومَدْحَه !

فاتَّهِمُوا على أنفُسِكم مَنْ قَدَّمَكُمْ على نَفْسِه ؛ فإنَّ مَنْ أخْطَأَ عَلَى نَفْسِه ، فهو أجدَرُ أن

---

(١) وأنصح جيبه : أسلم قلبه ، وأشد أمانته . وفى اللسان : وفلان ناصح الجيب ، يعنى بذلك قلبه وصدره ، أى أمين اهـ .

(٢) وأدوم طريقته : وما أثبت مذهبه فى تدبير المال وسياسته .

(٣) لأهله : لأهل الفساد .

(٤) من شاعر الخ ، (من) بيانية . و يوده أن الناس الخ ، أى ليناله من عطائهم الجنونى .

(٥) صاحب تنقيع واستئكال ، لم نجد (نقع) بالتشديد فى مراجعنا . وفى اللسان : ونقع (من باب قطع) له الشر : أدامه . فلعله ضعفه للمبالغة . فصاحب التنقيع على هذا : الذى يديم إساءة الناس والعدوان عليهم . أو أن يكون من نقع الشىء فى الماء ، لأخذ خلاصته . و يكون معنى التنقيع : استخراج كل خير من الناس ، ثم نبذهم كما ينبذ الثفل . وفى مقدمة طبعة ليدن ما يفيد أنها قد تكون محرفة عن (تنقيح) . وتنقيح العظم : استخراج ما فيه من مخ . فيكون معنى (صاحب تنقيح) : رجل يبتز ما فى الناس من فائدة ثم ينبذهم ، على المجاز . و (استئكال) : أكل أموال الضعفاء . ففى الأساس : وفلان يستأكل القوم : يأكل أموالهم .

(٦) الملاق : من يعطى بلسانه ما ليس فى قلبه ، أو من لا يصدق وده .

(٧) من يتقرب إلى ذوى الجاه والغنى بالتملق ، لينال من خيرهم .

(٨) لغة فى الخطإ .

(٩) الغيلة : الاغتيال . وهو القتل على غرة . أى : وقايته من النهب الفاجئ ، على المجاز .

(١٠) (إشفاقا من الذلة) : خشية أن يذل بفقده .

(١١) (وأعطى فى السرف) : جاوز القصد فى الإعطاء .

(١٢) (تهاون بالخطاء) : لم يبال بخطئه فى وجوه الإنفاق .

(١٣) (ابتذل النعمة) : امتهنها ولم يصنها ، وذلك بوضعها فى غير محلها .

يُخطِئَ على غيْره (١)، ومَنْ أخطأَ فى ظَـاهِرِ دُنْيَاه (٢)، وفيما يُوجَدُ فى العَيْن، كان أجْدَرَ أنْ يُخْطِئَ فى باطِنِ دِينه (٣)، وفيما يُوجَدُ بالعقل. فمدحتُم مَنْ جَمَعَ صُنوف الخطَإ (٤)، وذَمَمْتُم مَنْ جمَعَ صُنُوفَ الصَّواب (٥)! فاحْذَرُوهم (٦) كلَّ الحَذَر، ولا تأمَنُوهم على حَال!

قال إسماعيـل: وسَمِعتُ الكِنْدِىَّ يقـول: إنّما المـالُ لِمَنْ حَفِظَه، وإنَّمـا الغِنَى لمن تمسَّك به. ولِحفْظِ المـال بُنِيَت الحِيطانُ، وغُلِّقَت (٧) الأبْوابُ، واتُّخِذتِ الصَّناديقُ، وعُمِلَتِ الأقْفالُ، ونُقِشتِ الرُّسُوم (٨) والخَوَاتِيم (٩)، ويُعَلَّمُ الحِسابُ والكِتَابُ (١٠).

فَلِمَ تَتَّخِذُونَ هذه الوِقاياتِ (١١) دُونَ المـال، وأنتم آفَتُه (١٢)؟ وأنتم سُوسُه وقَادِحُه (١٣)؟ وقد قال الأوّل:

أُحْرُسْ أخاكَ إلا مِنْ نَفْسِه (١٤).

ولكن احْسُبْ أنَّك (١٥) قد أخذتَه فى الجَوَاسِق (١٦)، وأودَعْتَه الصُّخُورَ، ولم يَشْعُرْ به صَدِيقٌ،

(١) فاتهموا الخ، اتهمت فلانا: أدخلت عليه التهمة. يعنى أن من قدّم غيره على نفسه فقد ظلمها. وجدير بمن يظلم نفسه أن يتهم بظلمه لغيره. فاتهموا مثل هذا بارادة الشر بكم، فإن من أخطأ الخ. (٢) فى ظاهر دنياه الخ، أى فى الأمور الظاهرة المحسوسة الملموسة، التى يبعد فيها الخطأ. (٣) فى باطن دينه: فى دينه الباطن المبنى على العقيدة الآتية من طريق العقل. (٤) (من جمع صنوف الخطإ)، أى وهو من سميتم (جوادا). (٥) (من جمع صنوف الصواب)، أى وهو من سميتم (بخيلا). (٦) الضمير المفعول يرجع إلى الذين تسمونهم أجوادا. وهو التفات من صيغة المفرد إلى الجمع. (٧) (وغلقت)، مبالغة فى إحكام الإغلاق. (٨) الرسم (بفتح فسكون) كالروسم والروشم (بفتح فسكون ففتح): الطابع. وفى اللسان: والروسم خشبة فيها كتاب منقوش، يختم بها الطعام اه. (٩) جمع خاتم (بفتح التاء). وقيـل: جمع خاتام، وهو لغة فى الخاتم، وهو الطابع. قال فى اللسان: معنى ختم وطبع فى اللغة واحد. وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق من ألا يدخله شيء اه. (١٠) الكتابة. (١١) جمع وقاية: ما يوقى به الشيء، كما فى الأساس. (١٢) الواو للحال، أى وأنتم أيها الموسرون المبذرون.

(١٣) هكذا فى نسخة الشنقيطى. وفى نسخة ليـدن: (وقارحة). وهو تحريف. والقادح: أكال (بضم ففتح) يقع فى الشجر والأسنان. قاموس. وقد تقدّم تعريفه. (١٤) احرس الخ، استشهاد على قوله: فلم تتخذون هـذه الوقايات الخ، أى إنكم معاشر المبذرين شر على مالكم من أعدائكم، لأنكم أعداء أنفسكم.

(١٥) احسب أنك الخ: قدر أنك الخ: هبك قد الخ. (١٦) جمع جوسق (بفتح فسكون ففتح). ومن معانيه الحصن. وهو المراد هنا. وأصله كوشك (بضم الكاف) بالفارسية، كما فى اللسان.

ولا رَسُولٌ ولا مُعِين ، مَنْ لَكَ بألّا تَكُونَ (١) أشَدَّ عليه من السّارِق ، وأعْدَى عليه مِنَ الغاصِب ؟ واجْعَلْكَ قـد حَصَّنْتَه (٢) مِنْ كلِّ يَدٍ لا تَمْلِكه ، كيفَ لَكَ مِنْ أن تُحَصِّنه (٣) من اليَـدِ التى تَمْلِكُه ، وهى عليه أقْدَر ، ودَوَاعِيها (٤) أكْثَر ؟

وقد عَلِمنا أنَّ حِفْظَ المـالِ أشَدُّ من جَمْعه . وهل أتَى النّاسُ إلا مِنْ أنفسهم (٥) ، ثم ثِقَاتِهم (٦) ؟ والمـالُ لمن حَفِظه ، والحَسْرَةُ لمن أتْلَفه . و إنْفَاقُه هو إتْلافُه ، و إنْ حَسَّنْتُمُوهُ (٧) بهذا الاسم ، وزَيَّنْتُموهُ بهذا اللقب !

وزعمتم (٨) أنَّمـا سَمَّينا البُخْلَ صَلَاحًا ، والشُّحَّ اقتِصَادا ، كما سَمّى قَوْمُ الهزِيمةَ انحِيازا (٩) ، والبَذَاءَ عارِضَةً (١٠) ، والعَزْلَ عن الوِلَاية صَرْفا (١١) ، والجائِرَ على أهْل الخَرَاج مُسْتَقْصِيا (١٢) !

---

(١) (من لك) عبارة تقال عنـد استبعاد حصـول الشيء . فالجار والمجرور متعلق بفعل محذوف ، أى (يجود) أو (يسمح) مثلا . وتقال فى جميع تصاريف الضمير .

(٢) (اجعلك قد حصنته) : هبك قد حصنته .

(٣) كيف لك من أن تحصنه : كيف لك التمكن من الخ . (فمن أن تحصـنه) متعلق بمحذوف ، كما رأيت .

(٤) ودواعيها : ودواعى قدرتها عليه ، أى الأسباب التى بها تقدر اليد على التصرف فى الشيء .

(٥) وهل أتى الناس الخ ، أى وهل جاءهم الخطأ إلا من أنفسهم ، كما تقدم نحو هذا التركيب .

(٦) جمع ثقة ، وهو من يوثق به .

(٧) و إن حسنتموه الخ ، (إن) وصلية . ومفعول (حسنتموه) يعود إلى الإتلاف . وقوله : (بهذا الاسم) ، أى باسم الإنفاق .

(٨) وزعمتم الخ ، أى وقلتم افتراء منكم وظلمـا : إنّ تسميتنا البخل الخ ، هو كتسمية قوم الهزيمـة الخ . أى فتسمية قوم الهزيمة الخ ، مغالطة وتضليل . أى فنحن مغالطون أيضا ، بزعمكم .

(٩) انحاز عن الشيء : جانبه ولم يخالطه . وتقول : انحاز كل فريق عن الآخر . وفى اللسان : يقال للأولياء : انحازوا عن العـدو وحاصوا ، وللأعداء : انهزموا وولوا مدبرين اه . فأنت ترى موضع المغالطة فى وضع الانحياز بدل الهزيمة .

(١٠) (والبذاء عارضة) ، بذؤ (وكذا بفتح الذال وكسرها) ، بذاءة وبذاء (بفتح الباء) — وبذا يبذو بذاء : أفحش فى منطقه ، و إن كان كلامه صدقا . والعارضة : الجلد (بفتح اللام) والصرامة والقدرة على الكلام . فيقول الرجل مثلا فى وصف بذىء اللسان ، إذا كان من أوليائه : إنه لذو عارضة ، يريد مدحه . و يقول عدوه : إنه بذىء . فلكل وجهة وتأويل .

(١١) عزله عن الولاية ، كصرفه عنها . ولكنك إذ تريد التهوين تقول : صرفه ، و إذ تريد التشنيع تقول : عزله .

(١٢) والجائر الخ ، الخراج : الإتاوة التى تقع على الأرضين وغيرها . وأهل الخراج من يدفعونه . والجور عليهم : بأن يعنتهم عامل الأمير ، و يأخذ منهم فوق الحق . فمن يمدح مثل هذا يقول : هو مستقص ، أى بالغ الغاية فى أخذ الحق . وغير وليه يقول : هو جائر .

بل أنتم الذين سمَّيتمُ السَّرفَ جُودًا ، والنَّفجَ أرْيَحيَّة[1] ، وسُوءَ نَظَرِ المَرْءِ لنفسه ولِعَقِبِه كرمًا[2] !

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : (ابدأ بمَنْ تَعُول) . وأنتَ تُريد أنْ تُغْنِيَ عِيالَ غيرِك بإفقارِ عِيالك ، وتُسْعِدَ الغريبَ بِشقْوَةِ القريب ، وتتفضَّل على مَنْ لا يَعْدِل عنك[3] ، ومَنْ لو أعطيتَه أبدًا ، لأخَذَ أبدًا !

قد عَلِمْتُم ما قال صاحبُنا لأخي تَغْلِبَ[4] ، فإنّه قال : "يا أخا تَغْلِب ، إنّي والله كُنْتُ أُجْرِي ما جَرَى هذا الغَيْلُ ، وأُجْرِي وقد انقطعَ النَّيْلُ[5] . إنّي والله لو أعطيتُك لَمَا وصَلْتُ إليك حتى أتجاوزَ مَنْ هُو أحقُّ بذلك منك . إني لو أمكنتُ الناسَ[6] مِنْ مالي لنَزَعُوا دَارِي طوبةً طوبةً ! إنّه والله ما بَقِيَ معي مِنْهُ إلا مَا منعتُه الناس" . ولكنِّي أقول : والله إنْ[7] لَوْ أمْكَنْتُ الناسَ مِنْ نَفْسِي ، لادَّعَوْا رِقِّي[8] بعد سَلْبِ نِعْمَتِي .

قال إسماعيلُ : وسمعتُه يقول : عَجِبْتُ لِمَنْ قَلَّتْ دَراهِمُه ، كيف يَنَام ! ولكنْ لا يَسْتَوِي مَنْ لم يَنَمْ سرورًا ، ومَنْ لم ينم غمًّا .

---

(١) في اللسان : ورجل نفاج : ذو نفج : ذو كبر وافتخار بأكثر مما عنده اهـ . والأريحية : السخاء والارتياح للندى والبذل والمعروف . وفي نسخة ليدن : (والنفخ) ، وهو صحيح . ففي اللسان : ورجل ذو نفخ ، وذو نفج بالجيم : أي صاحب فخر وكبر . (٢) وسوء نظر الخ ، أي بالتبذير . (٣) وأنت تريد الخ ، التفت من خطاب الجماعة إلى خطاب المفرد ، ليتابع الحديث الشريف . و (من لا يعدل عنك) : من لا ينصرف عنك إلى سواك ، لكثرة ما تبذل له . (٤) تغلب : أبو حي . وهو ابن وائل بن قاسط اهـ من القاموس .

(٥) كنت أجري الخ ، (أجري) ، من قولك : أجريت عليه كذا : أدمت له . والغيل : الماء الجاري على وجه الأرض . والنيل : مصدر نال الشيء . و (ما) مصدرية . يقول لسائله : إني كنت لا أمتنع أبدا عن إعطائك ولو انقطع رزقي أو قل ، لولا أني بإعطائك أتجاوز بك من هو أحق منك . إني لو أمكنت الناس الخ .

(٦) أمكنته من الشيء : جعلته في إمكانه وقبضته . وكذا مكنته منه . (٧) (إن) مخففة من (إنّ) ، واسمها ضمير الشأن . (٨) كوني رقيقا لهم وعبدا .

ثم قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى وَصيَّةِ المَرْءِ يَوْمَ فقره وحَاجَتِه، وقَبْلَ أن يَغْرِغرَ : (الثُّلُثَ . والثُّلُثُ كَثِيرٌ) [١] . — فاستَحْسَنَتِ الفُقَهَاء، وتمنَّى الصالحون أنْ نَنْقُصَ من الثُّلث شيئاً، لاستكثارِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم الثُّلُثَ، ولقوله : "إنك إنْ تَدَعْ عيالَك أغنياءَ، خَيْرٌ من أنْ تَدَعَهم عَالَةً [٢] يتكفَّفُون الناسَ [٣] ."

ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لم يَرْحَم عِيالَنا إلا بِفَضْل رَحْمته لنا . فكيف تأمُرونى أنْ أوثِرَ أنْفُسَكُمْ على نَفْسى ، وأقَدِّمَ عيالَكم على عِيالى ، وأن أعتقِدَ [٤] الثَّنَاءَ بدلًا من الغِنَى، وأنْ أَكْنِزَ الرِيحَ [٥]، وأَصْطَنِعَ [٦] السَّرابَ ، بدلًا من الذهب والفِضَّة !

قال إسماعيلُ : وسمعتُه يقول لعياله وأصْحابه : اصبِرُوا عن الرُّطَب عند ابتدائه وأوائله، وعن باكُوراتِ [٧] الفاكهة ؛ فإنّ للنفس عند كلّ طارِفٍ [٨] نَزْوَةً [٩] ، وعند كلِّ هَاجِم نَزْوَةً [١٠] .

(١) يوم فقره الخ ، أى يوم فقره إلى رحمة الله ، وحاجته إلى التزود من الحسنات . (وقبل أن يغرغر) ، غرغر : جاد بنفسه عند الموت . وقوله : (الثلث . والثلث كثير) ، جاء فى صحيح مسلم : عن سعد بن أبى وقاص ، قال : عادنى رسول الله صل الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، من وجع أشفيت منه على الموت . فقلت : يا رسول الله ، بلغ بى ما ترانى من الوجع ، وأنا ذو مال . ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة . أفأتصدق بثلثى مالى ؟ قال : لا . قلت : أفأتصدق بشطره ؟ قال : لا . الثلث . والثلث كثير . إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس اهـ . وقوله : (الثلث) ، منصوب على أنه مفعول لفعل محذوف ، أى : أعط الثلث .

(٢) فقراء ، جمع عائل . (٣) تكفف الرجل الناس واستكفهم : مد كفه إليهم بالمسألة .

(٤) وأن اعتقد الخ ، يقال : اعتقد المال ، أى جمعه ، أى فكيف تأمرونى أن أجمع ثناءكم على وأدخره ، إذا أنا أنفقت عليكم مالى ، وثناؤكم لا غناء فيه . وفى الكلام مجاز . وقوله : (بدلا من الغنى) ، أى بدلا من المال الذى هو سبب الغنى . فقد أطلق المسبب وأراد السبب . (٥) وأن أكنز الريح ، أى وأن أكنز ثناءكم الذى هو كالريح فى الذهاب والمرور وعدم البقاء . والكلام على المجاز . (٦) اصطنع : اتخذ .

(٧) جمع باكورة . قال فى المصباح : وباكورة الفاكهة : أول ما يدرك منها اهـ . وجمعه بواكير .

(٨) جديد ، معجب (بكسر الجيم) . (٩) وثبة . والمراد تطلع النفس وشدة اشتياقها . والفعل نزا ينزو نزوا .

(١٠) لعلها نزرة (بفتح فسكون ففتح) ، مصدر للوحدة من نزره : إذا استعجله وألح عليه . والفعل من باب نصر ؛ لأننا نستبعد على الجاحظ مثل هذا التكرار .

وللقــادم حلاوةٌ وفــرْحَة ، وللجَديد بَشاشَــةٌ وغِرَّة[1] ؛ فإنّك مَتى رَدَدْتَهــا ارتدَّتْ[2] ، ومتى رَدَعْتَها ارْتَدَعتْ .

والنفسُ عَزُوفٌ[3]،ونَفورٌ ألُوفٌ . وما حَمَّلتَها احْتَمَلتْ ، و إن أهْمَلتَها فَسَدتْ . فإنْ تكُفَّ[4] جميعَ دَواعِيها ، وتَحْسِمْ جميعَ خَواطِرها ، فى أوّل ردّةٍ[5] ، صارت[6] أقَلَّ عَدَدًا ، وأضْعَفَ قُوّةً .

فإذا أثَّرَ ذلك فيها ، فَعِظْها فى تلك البَاكُورَةِ بالغَـلاَء والقلّة ؛ فإنَّ ذِكْرَ الغَلاَءِ والقلّة حُجّةٌ صحيحةٌ ، وعِلّةٌ عامِلة فى الطّبيعة[7] .

فإذا أجابَتْكَ فى البا كُورة ، فَسُمْها مِثْلَ ذلك فى أوائل كَثْرتِهـا[8] ، واضرِبْ نُقْصان الشَّهْوَة ونُقْصانَ قُوّة الغَلَبة ، بمقدار ما حَدَثَ لها مِنَ الرُّخْص والكَثْرة[9] . فلستَ تَلْقَى على هذا الحساب مِنْ مُعالجة الشَّهْوة[10] عندك ، إلّا مثلَ ما لقيتَ منها فى نَوْمك[11] ؛ حتى تَنْقضىَ أيامُ الفاكِهة ، وأنت على مِثْل ابتداء حالِك ، وعلى أوّل مُجاهَدَتِك لِشَهْوَتِك !

(١) بشاشة وغرة ، الغرة هنا : الخداع والإطماع بالباطل . غره يغره (بضم الغين) غرا (بفتح الغين) وغرورا وغرة . أى إنّ الجديد يبش للناظر ويخدعه ويستميله إليه ، على المجاز . (٢) فانك الخ ، التفت من خطاب الجماعة إلى خطاب الواحد . (٣) والنفس الخ ، فى منزلة التعليل لقوله : (فانك متى رددتها الخ) . و (عزوف) : من شأنها أن تسلو وتنصرف عن الشىء وتزهد فيه . عزف يعزف (بكسر الزاى أو بضمها فى المضارع) عزوفا (بضم العين) . و (نفور) : ذات نفور وتحول . و (ألوف) : كثيرة الألفة ، كما فى القاموس . (٤) (فان تكف) ، فى نسخة (ليدن) ، وكذا فى الشنقيطى : (فان لم تكف) . وظاهر أنّ (لم) تفسد المعنى . فوجودها من تحريف النساخ من غير شك . (٥) فى أول ردة ، الردّة : مرة من الرد ، أى الصرف والرجع — يعنى أنه يجب أن يكون حسم جميع رغباتها فى الردّة الأولى . ويجب ألا يملى لها وألا تمهل . (٦) اسم صار يرجع إلى الدواعى والخواطر .

(٧) فاذا أثر الخ ، يعنى أنك إذا رددتها تلك الردّة ، وأثر ذلك فيها ، فعظها فى تلك الباكورة الخ . وقوله : وعلة عاملة فى الطبيعة ، أى فى طبيعة النفس الإنسانية . وعاملة : مؤثرة . (٨) فسمها مثل ذلك الخ : فاعرض عليها مثل تلك الحجج ، وعاملها كما عاملتها فى الباكورة . (٩) واضرب الخ ، ضرب كذا بكذا : خلطه . والضمير فى (لها) يعود إلى الباكورة . يقول : وأضف (وهذا هو المراد بالضرب هنا) نقصان شهوة نفسك (أى فى أوائل الكثرة) ، ونقصان قوة غلبتها وسورتها حينئذ ، إلى ما حدث للباكورة من الرخص والكثرة . (١٠) معالجة الشهوة : دفاعها ومغالبتها . (١١) فى نومك ، هكذا فى النسـخ . وتوجيهه أن معالجة الشهوة بعد كل ذلك هينـة ، كما يعالج المنتبه شهوة ما قد أطاف به فى منامه من نعيم ورغائب . وقد تكون الكلمة : (فى يومك) ، أى فى ذلك اليوم الأول ، عندما عالجت الشهوة فى الباكورة وحسمت جميع خواطرها فى أوّل ردة .

ومتى لم تعُدَّ أيضًا الشَّهوَةَ فِتنةً، والهَوى عَدُوًّا، اغتررتَ بهما، وضَعُفتَ عنهما، وأَتَمَنتَهما على نفسك . وهما أحضَرُ عدوٍّ، وشَرُّ دَخيلٍ (١) .

فاضمَنوا لِي النَّزْوَةَ الاولى (٢) ، أضمَنْ لكم تَمامَ الصبر (٣) ، وعاقبةَ اليُسْر ، وثباتَ العِزِّ (٤) في قلوبكم ، والغِنَى في أعقابكم ، ودوامَ تعظيم الناسِ لكم ؛ فإنَّه لو لم يكن مِن مَنفعة الغِنَى

٥ إلا أنَّك لا تزال مُعَظَّمًا عند مَنْ لم يَنَلْ منك قطُّ دِرْهمًا ، لكانَ الفضلُ في ذلك بَيِّنًا ، والرِّبحُ ظاهِرًا .

ولو لم يكن مِنْ بَرَكة الثَّروة، ومنْ مَنفَعةِ اليُسْر، إلا أنَّ ربَّ المالِ الكثير لو اتَّصلَ بمَلِكٍ كبير، في جلسائه (٥) مَنْ هو أوجَبُ حُرْمةً ، وأقدَمُ صُحْبةً ، وأصْدَقُ مَحَبَّةً، وأمْتَعُ إمْتاعا (٦) ، وأكثرُ فائدةً وصوابا (٧) ، إلا أنَّه خَفيفُ الحَالِ (٨) ، قليلُ ذَاتِ اليد ، ثم أراد ذلك الملكُ أنْ يُقَسِّم

١٠ مالا، أو يُوزِّع بينهم طُرَفًا (٩) ، لجَعَلَ حَظَّ المُوسر أكْثرَ (١٠) ، وإنْ كان في كلِّ شيء دُونَ أصحابه، وحظَّ المُخِفِّ أقَلَّ، وإنْ كان في كلِّ شيء فَوْقَ أصحابه .

---

(١) دخيل الرجل ودخلله (على وزن قنفذ) : الذى يداخله فى أموره ويختص به . والمراد : شر مصاحب .

(٢) (النزوة الأولى)، أى قهرها والتغلب عليها . فالكلام على حذف مضاف . (٣) تمام الصبر : تمام صبركم على ما تشتهون . فأل عوض عن المضاف إليه . أى : إن النزوة الأولى إذا كبحت ، صبرت بعد ذلك النفس

١٥ ودام صبرها . (٤) المراد بالعز هنا الاطمئنان وراحة النفس ، من إطلاق السبب وإرادة المسبب .

(٥) فى جلسائه الخ ، فى موضع صفة ثانية لملك . (٦) وأمتع إمتاعا ، اسم التفضيل من : متع (بفتح فضم) الشيء يمتع (بضم التاء) : جاد وظرف ، فهو ماتع . وأمتعه بالشيء ومتعه به : ملاه (بتشديد اللام)، وجعله يتمتع به — فعنى (وأمتع إمتاعا) : أعظم إمتاعا للملك ومؤانسة له من جميع جلسائه .

(٧) سدادا فى الرأى . (٨) خفيف الحال : ليس بغنى . يقال : أخف الرجل، فهو مخف وخفيف

٢٠ وخف، بكسر الخاء . لسان . (٩) جمع طرفة، وهى المستحدث المعجب (بكسر الجيم) ، كما سبق .

(١٠) لجعل حظ الموسر أكثر ، هذا جواب قوله : لو اتصل بملك كبير الخ . وجواب (ولو لم يكن من بركة الثروة الخ) محذوف، تقديره : لكان ذلك كافيا .

* * *

قد ذكرنا رِسالةَ سَهْلِ بنِ هارونَ، ومذهبَ الحِـزَامىّ، وقِصَصَ الكِنْدِىّ، وأحاديثَ الحارِثىّ، واحتجاجاتِهم، وطرائفَ نِحَلِهم (١)، وبدائعَ حِيَلِهم.

قصّــة محمّـــدِ بنِ أبى المؤمَّل (٢)

قلتُ لمحمّـد بن أبى المُؤَمَّل: أراكَ تُطْعِم الطَّعام وتتَّخذه (٣)، وتُنْفِق المـالَ وتجُـود به. وليس بين قِلَّةِ الخـبز وكثرته كثيرُ رِبْح. والنّـاس يُبَخِّلون (٤) مَنْ قلَّ عددُ خُبْزِه، ورأَوْا أَرْضَ خِوانه (٥). وعلى أنّى أرى جَماجِمَ (٦) مَنْ يأكل معك أكْثَرَ مِنْ عَدَد خُبْزك.

وأنتَ لو لم تتكلَّف، ولم تَحْمِلْ على مالِكَ بإجادته (٧)، والتَّكثيرِ منـه، ثم أكلتَ وحْدَك لم يَلُمْكَ الناس، ولم يكترِثُوا لذلك مِنْك، ولم يَقْضُوا عليك بالبُخْل، ولا بالسَّخاء، وعِشْتَ سَلِيما مَوْفورًا (٨)، وكنتَ كواحدٍ من عُرْضِ النَّاس (٩).

وأنت لم تُنْفِقِ الحَرائِبَ، وتَبْذُلِ المَصُونَ، إلا وأنت راغبٌ فى الذِّكْر والشُّكر، وإلا لِتَخْزُنَ الأَجْرَ (١٠).

---

(١) (طرائف نحلهم)، من إضافة الصفة إلى الموصوف. وقد تقدّم معنى الطريف. ونحلهم: جمع نحلة (بكسر فسكون)، وهى المذهب والدعوى. (٢) لم نجد له تعريفا أو ترجمة فيالدينا من المراجع.

(٣) تتخذه: تعمله. والمراد: تعنى بإجادته، بقرينة المقام. (٤) يبخله: رماه بالبخل ونسبه إليه.

(٥) (ورأوا أرض خوانه)، كناية عن قلة الرغفان (بضم الراء). (٦) جمع جمجمة، وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ. والمراد الناس مجازا. (٧) (ولم تحمل على مالك باجادته)، أى بالإنفاق الكثير فى سبيل إجادة الطعام، كأنك تحمل على عدو. والكلام على المجاز. (٨) مصونا عن كلام الناس فيك ولومهم إياك.

(٩) (من عرض الناس): من وسط الناس. وفى اللسان: يقال: خذه من عرض الناس وعرضهم، (أى بضم العين وفتحها)، أى من أى شق شئت اهـ. فعنى: كواحد من عرض الناس: كرجل من معظم الناس، لا يلتفت إليك.

(١٠) وأنت لم تنفق الخ، فى النسخ: (ولم). ونعتقد أن (لو) مقحمة من النساخ، كما هو ظاهر. والحرائب جمع حريبة (بفتح فكسر)، وهو مال الرجل الذى يقوم به أمره. وقوله: (لتخزن الأجر)، أى لتدخر الأجر عند الله.

فقد صِرْنا لقلّة عَدَدِ خُبْزِك مِنْ بيْنِ الأشياء، نَرْضَى لك من الغَنيمة بالإياب (١)، ومِنْ غُنْمِ (٢) الحمـدِ والشكر، بالسَّلامةِ منَ الذّمِ واللّوْم ! فَزِدْ فى عدد خُبْزِك شيئًا ؛ فإنّ بتلك الزيادة القليلة ينقلِبُ ذلك اللومُ شُكْرًا، وذلك الذمُّ حمدًا .

أَعَلِمْتَ أنّكَ لستَ تخرُجُ من هذا الأمرِ (٣) بعْدَ الكُلْفَةِ العظيمة سالمـا، لا لَكَ ولا عليك؟

٥ فانْظُرْ فى هذا الأمر، رحِمَك الله !

قال : يا أبا عثمان، أنتَ تُخْطِئ ، وخطأ العاقل أبدًا يكونُ عظيما، وإن كان فى العُـذْرِ (٤) قليلا؛ لأنّه إذا أخطأ أخطأ بتَفَقُّـهٍ (٥) وإحكام . فعلى قدر التّفكُّرِ والتكلُّف (٦) يَبْعُـدُ مِنَ الرّشاد، ويذهبُ عَنْ سَبِيلِ الصَّوابِ (٧) .

وما أشُكُّ أنّك قد نَصَحْتَ بِمَبْلَغِ الرأى منك (٨) . ولكنْ خَفْ ما خَوَّفْتك (٩)، وإنّه مَخُوف !

١٠ بل الذى أصْنَعُ أدَلُّ على سَخَاءِ النّفْسِ بالمأكول، وأدَلُّ على الاحتيال ليبالغوا (١٠)؛ لأنَّ الخُبْزَ إذا كَثُرَ على الموائد، وَرَّثَ ذلك النَّفْسَ صُدُودًا (١١)؛ ولأنَّ كلَّ شيءٍ من المأكول وغيرِ المأكول، إذا ملأ العينَ ملأ الصَّدْرَ (١٢) . وفى ذلك مَوْتُ الشَّهوة، وتسكينُ الحركة !

(١) نرضى لك من الغنيمة بالإياب، مثل يضرب للخفق بعـد السعى والطلب، وقد قنع بأوبته سالمـا . أى فقد صرنا — معشر أصحابك — نقنـع — بسبب هـذه القلة — بأن يكف النـاس عنك ألسنتهم، ويخلوك من الذم ١٥ واللوم، فتكون لا عليك ولا لك، مع ما تبذل وتنفق فى سبيل رضاهم وكسب ثنائهم ومدحهم . وقوله : (من الغنيمة) و(من غنم)، (من) فيهما للبدل . (٢) اسم إن ضمير الشأن . (٣) من هذا الأمر : من أمرك هذا، وهو إنفاقك وبذلك، مع تقصيرك فى الخبز . (٤) وإن كان الخ، اسم كان يعود إلى الخطأ . و(فى) بمعنى (مع)، أى وإن كان خطـؤه مع عذره قليلا . والمراد بالعذر هنا الحجة التى يدلى بها . وقد وضح ذلك بقوله : لأنه إذا أخطأ الخ . (٥) بتدبر وتأمل وتفهم . (٦) ارتكاب المشقة فى التعمق فى البحث والنظر .
٢٠ (٧) (يذهب عن سبيل الصواب) : ينحرف عنه . (٨) (بمبلغ الرأى منك) : بما بلغ إليه رأيك، وانتهى عنده تفكيرك . (٩) ولكن الخ، استدرك على قوله : وما أشك الخ، أى إنك إنما نصحتنى بمحض تفكيرك، فزللت وأخطأت . وكان خطؤك عظيما، كما يخطئ العقلاء . ولكن خف الخ، أى احذر ما حذرتك من خطأ العقلاء، لأنه مخوف، وخيم العاقبة . ومعنى تحذيره خطأ العقلاء : حضه على التأنى وشدة التبصر عند الحكم .

(١٠) وأدل الخ، أى أبلغ فى الدلالة على احتيالى، ليبالغوا، أى ليكثروا من الأكل ويقبلوا عليه .

٢٥ (١١) ورث الخ، أى أكسبت كثرة الخبز على الموائد النفس صدودا عن الأكل وزهدا فيه .

(١٢) (ملأ الصدر) : شبعت النفس منه فعافته . والكلام على المجاز .

ولو أنّ رجلا جَلسَ على بَيْدَرِ(١) تمرٍ فائق ، وعلى كُدْس(٢) كُمَّثْرَى مَنْعُوت(٣) ، وعلى مائة قِنْوِ(٤) مَوْز مَوْصُوف ، لم يكن أكْلُه إلا على قَدْر استِطْرافه(٥) ، ولم يكن أكْلُه إلا على قَدْر أكله ، إذا أُتِيَ بذلك في طَبَقٍ نظيف ، مع خَادِمٍ نظيف ، عليه مِنْدِيل(٦) نظيف .

وبعد فأصحابنا آنِسُون ، واثِقون مُسْتَرْسِلُون(٧) ، يعلمون أنّ الطَّعَامَ لهم اتُّخِذَ ، وأنّ أكْلَهم له أوْفَق(٨) من تَمْزِيق الخَدَم والأتْبَاع له . ولو احتاجُوا(٩) لَدَعَوْا به ، ولم يَحْتَشِموا منه(١٠) ، ولكانَ الأقَلَّ ٥ مِنْهُم أن يُجَرِّبُوا ذلك المرَّةَ والمرّتين(١١) ، وألا يَقْضُوا علينا بالبُخْل دُونَ أن يَرَوْه(١٢) . فإن كانوا مُحْتَشِمين وقد بَسَطْنَاهُمْ(١٣) ، وسَاءَ ظَنُّهم بنا ، مع ما يَرَوْنَ من الكُلْفَةِ(١٤) لهم ، فهؤلاء أصحابُ تَجَنٍّ(١٥) وتَسَرُّع(١٦) . وليس في طاقتي إعْتَابُ(١٧) المتجنِّي ، ولا رَدُّ المتسرِّع .

(١) من معاني البيدر في اللغة : الكدس (بضم الكاف أو فتحها وسكون الدال) ، وهو الكومة (بضم الكاف) . وهذا ما يراد هنا . (٢) قال في المصباح : الكمثرى بفتح الميم مثقلة في الأكثر . وقال بعضهم : لا يجوز ١٠ إلا التخفيف . الواحدة كمثراة اهـ . (٣) موصوف بالحسن . قال ابن الأثير : النعت : وصف الشيء بما فيه من حسن . والوصف : يقال في الحسن والقبيح . لسان . (٤) القنو : الكباسة (بكسر الكاف) ، وهي من التمر بمنزلة العنقود من العنب . واستعار القنو هنا لعنقود الموز . (٥) استطرف الشيء : عدّه طريفا معجبا (بكسر الجيم) . (٦) عليه منديل ، أي على ذلك الذي يؤتى به في الطبق . (٧) مسترسلون ، أي إلينا . يقال : استرسل إليه : انبسط واستأنس . (٨) أفعل التفضيل من : وفقت أمرك تفق ١٥ (بكسر الفاء فيهما) ، أي صادفته موافقا . (٩) ولو احتاجوا ، أي إلى الخبز وهم على المائدة . (١٠) (منه) : من طلبه . (١١) ولكان الخ ، أي ولكانت تجربتهم الدعوة بالخبز المرة والمرتين أقل ما ينتظر منهم ، حتى يتحققوا أمرنا . (١٢) أن يروه : أن يروا آثاره . (١٣) سررناهم . وإنه ليبسطني ما بسطك ، ويقبضني ما قبضك ، أي يسرني ما سرك ويسوءني ما ساءك . كذا في اللسان . والواو للحال . (١٤) من الكلفة لهم : مما نتكلفه ونتحمله من أجل إطعامهم . (١٥) قال في اللسان : ٢٠ التجني : مثل التجرم ، وهو أن يدعى عليك ذنبا لم تفعله اهـ . فمعنى قوله : (أصحاب تجن) : أنهم يدعون علينا البخل والتقصير في حقهم ، ونحن براء من ذلك . (١٦) تسرع بالأمر : بادر به . وكذا تسرع إليه . والمعنى أنهم يسارعون إلى الحكم علينا من غير تعقل ونظر . (١٧) أعتبه : أزال شكواه وعتابه . فالهمزة للسلب . أي ليس في قدرتي أن أزيل شكوى المتجني على من هؤلاء الأصحاب ، لأنهم يدعون بما ليس في ، كما أني لست قادرا على ردهم إلى الصواب في تسرعهم في أحكامهم . ٢٥

قلتُ له : إنِّى قد رأيتُ أَكْلَهُمْ فى منازلهم، وعند إخوانهم، وفى حالات كثيرة، ومواضِعَ مُخْتلفة . ورأيت أكلهم عِنْدَك، فرأيتُ شيئاً مُتفاوِتاً، وأمراً مُتفاقِماً[1] . فاحْسُبْ أنَّ البُخْلَ عليهم غالبٌ[2]، وأنّ الضَّعْفَ لهم شامِلٌ[3]، وأنَّ سُوءَ الظَّن يُسْرِع إليهم خاصَّةً[4] . ثم لا تُدَاوِى هذا الأمْرَ[5] بمـا لا مُؤْنَةَ فيه؟ وبالشَّىْء الذى لا قَدْرَ له[6] ؟ أوْ تَدَعُ دعاءَهم، والإرْسالَ إليهم، والحِرْصَ على إجابتهم[7] ؟ .

٥

والقومُ ليس يُلْقُون أنفسَهم عليك . وإنّمـا يجيئُونك بالاسْتِجباب[8] منْك . فإنْ أحببتَ أن تَمْتَحِنَ ما أقول، فدعْ مُوَاتَرةَ[9] الرُّسل والكُتُب، والتَّغَضُّبَ[10] عليهم إذا أبطَـوا . ثم انْظُرْ[11] .

قال : فإنّ الخبز إذا كَثُر على الخُوان، فالفاضلُ مما يأكلون لا يَسْلَمُ من التَّلطُّخ والتَّغْمير[12]، والجَرْدَقَةُ الغَمِرَةُ، والرُّقاقةُ المتلطِّخةُ، لا أقْـدِرُ أن أنْظُر إليها . وأستحْيِى أيضًا من إعادتها . فيذهبُ ذلك الفَضْلُ[13] باطِلاً . والله لا يحب الباطِلَ !

١٠

---

(١) فرأيت الخ، المتفاقم : العظيم . أى رأيت الفرق بين أكلهم فى منازلهم الخ، وبين أكلهم عندك عظيما جدا . أى إن أكلهم عندك أقل جدا من أكلهم فى تلك الحالات الأخرى . (٢) فاحسب أن الخ، أى هب البخل غالبا عليهم الخ . وقد تقدّم هذا التركيب وشرحه . وقوله : (البخل)، أى فكرة الحكم عليك بالبخل . ويجوز أن تكون كلمة (البخل) محرفة عن (الخجل) . (٣) المراد بالضعف هنا ضعف النفوس والأخلاق .

(٤) أى يسرع إليهم دون غيرهم من الناس . (٥) هذا الأمر، أى ما ذكرته، من غلبة البخل، وشمول الضعف، وسوء الظن . (٦) بما لا مؤنة فيه الخ، يريد به الاكثار من الخبز على خوانه، كما سبق .

١٥

(٧) على أن يجيبوا دعواتك . (٨) قال فى اللسان : والاستجباب : كالاستحسان اهـ .

(٩) فى اللسان : وأوتر بين أخباره وكتبه، وواترها مواترة ووتارا : تابع، وبين كل كتابين فترة قليلة ... ولا تكون المواترة بين الأشياء إلا إذا وقعت بينها فترة، وإلا فهى مداركة ومواصلة اهـ .

(١٠) والتغضب الخ، تغضب عليه : مثل غضب . وقوله : إذا أبطئوا، أى عليك فى إجابة دعوتك .

٢٠

(١١) ثم انظر، أى ثم انتظر ما يحدث . قال تعالى : (ما ينظرون إلا صيحة واحدة)، أى ما ينتظرون . يعنى أنك إذا تركت مواترة الكتب الخ، فإنهم لا يأتون إليك . (١٢) التغمير : التلوث بدسم اللحم . وقد غمرت (من باب فرح) يده من اللحم فهى غمرة (بفتح فكسر) . (١٣) وأستحيي الخ، إعادتها، أى إلى المائدة . والفضل : الزيادة من هذا الرقاق والجرادق الملطخة .

قلت : فإنّ ناسًا يأمُرُون بمَسْحِه، ويجعلون الثَّريدةَ منه . فلو أخذتَ بِزِيِّهم[١]، وسلكتَ سَبيلهم، أَتَى ذلك لك على ما تُرِيدُ[٢] ونزيد .

قال : أفَلَسْتُ أعلمُ كيفَ الثريدةُ ؟ ومِنْ أىِّ شىء هى؟ — وكيف أمنعُ نفسى التَّوَهُّمَ، وأحُولُ بينها وبين التذكير[٣]؟ ولعلَّ القومَ أن يعرفوا ذلك على طُول الأيّام، فيكونَ هذا قبيحًا.

قلت : فتأمُرُ به للعيال، فيقومُ الحُوَّارَى[٤] المتلطخُ مَقَام الخُشْكارِ[٥] النَّظيف. وعلى أنَّ المسْحَ والدَّلْك يأتى على ما تَعلَّقَ به الدَّسَم .

قال : عِيَالى — يَرْحمك الله! — عيالان[٦] : واحدٌ أُعْظِمُه عَنْ هذا وأرفَعُه عنه ، وآخَرُ لم يبلغ عندى أنْ يُتْرَفَ بالحُوَّارَى[٧] !

قلتُ : فاجعلْ إذًا جميعَ خُبْزِك الخُشْكَارَ[٨]، فإنّ فَضْلَ ما بينـه وبينَ الحُوَّارَى فى الحُسْن والطِّيب، لا يقومُ بفَضْل[٩] ما بينَ الحمد والذَّم .

---

(١) الزى : اللباس والهيئة والشارة . أى : فلو أخذت بمذهبهم ، على ضرب من التجوز .

(٢) أتى ذلك الخ ، بما (تريد) ، أى من الاقتصاد ووضع الشىء فى موضعه اللائق به ، (ونزيد)، أى لك من السلامة من اللوم، وإقبال أصحابك عليك . (٣) وكيف الخ، استفهام إنكارى، أى لا يمكن أن أمنع نفسى الخ، والتوهم هنا : التخيل . ففى اللسان : وتوهم الشىء : تخيله وتمثله ، كان فى الوجود أو لم يكن اهـ . أى وكيف أمنع نفسى أن تخيل عند الأكل أنى إنما آكل فى الثريدة تلك الجردقة أو الرقاقة التى كانت الأيدى قد لوثتها ولطختها ؟ و(التذكير): أى تذكيرها إياى ما صنعت . وفى نسخة (ليدن) : (بينهم) . ولكنا رجعنا إلى نسخة الشنقيطى، فاذا فيها : (بينها) . وهو المعقول . (٤) الحوارى، أى خبز الحوارى، وهو الدقيق الأبيض . وهو أخلص الدقيق وأجوده . (٥) هذه الكلمة فارسية . ويظهر أن كلمة (الخشار) ، بضم الخاء ، مأخوذة عنها : ومن معانيها ما لالب له من الشعير، كما فى القاموس . وفى معجم (استنجاس) : الخشكار : دقيق خشن غير منخول اهـ .

(٦) صنفان من العيال . وعلى هذا الاعتبار ثنى (الجمع) . (٧) لم يبلغ الخ ، أى لم يبلغ عندى منزلة أن يترف . فالكلام على حذف مضاف . و(يترف) : ينعم . و(بالحوارى)، أى بالحوارى المتلطخ !

(٨) فاجعل إذا الخ، أى وزد فى عدد الخبز . (٩) فان فضل الخ ، يعنى أن فضل حمد الناس لك عند شبعهم بالخشكار على ما تدتك ، على ذمك عنـد قلة الخبز من الحوارى — أعظم من فضل الحوارى فى لذته وطيبه لديهم ، على الخشكار فى خشونته ورداءة طعمه . أى فاجعل خبزك كله من الخشكار لذلك ، فانهم يؤثرون الشبع على اللذة .

قال : فهاهنا رأيٌ هو أعدلُ الأمُور وأقصَدُها [١] : وهو أنا نُحْضِرُ هذه الزيادةَ من الخبز على طَبَق، ويكونُ قريبًا حيثُ تناله اليد، فلا يَحْتاجُ أحدٌ مَعَ قُرْبه منه إلى أنْ يَدْعُوَ به؛ ويكونُ قُرْبُه مِنْ يَدِه كَثْرةً على مائدته [٢] .

قلتُ : فالمانِعُ من طلبه هو المانِعُ من تحويله [٣] . فأطِعْنِي وأخْرِجْ هذه الزيادةَ مِنْ مالِكَ كيفَ شِئْتَ [٤] .

٥

واعلمْ أنَّ هذه المُقَايسة [٥] ، وطُولَ هذه المُذاكرة [٦] ، أضَرُّ علينا مما نَهيْتُك عنه ، وأردتُك على خلافه [٧] .

فلمَّا حضَر وقت الغَداء صَوَّتَ بغُلامه [٨] — وكان [٩] ضَخْمًا ، جَهيرَ الصَّوْت [١٠] ، صاحِب تَقْعير [١١] ، وتفْخِيم [١٢] وتَشْدِيق [١٣] ، وهَمْز [١٤] وجَزْم [١٥] : يا مُبَشِّر! هاتِ مِنَ الخُبْزِ تَمام [١٦] عدد الرُّءوس !

---

(١) أقصدها : أعدلها . (٢) كثرة على مائدته ، أى كثرة للخبز عليها ، لقرب متناوله . والاضافة فى (مائدته) لأدنى ملابسة ، فانها ليست مائدة الآكل ، بل مائدة الداعى . ولو قال : على المائدة لكان أوضح . (٣) فالمانع من طلبه الخ ، المانع من طلبه هو الحياء ، وهو أيضا مانع من تحويله ، أى من أن يأخذه الآكل من الطبق .

(٤) كيف شئت ، أى على أى حال شئت من وجوه الاخراج ، إما بزيادة الخبز من الحوارى ، وإما بجعله كله من الخشكار . (٥) الموازنة بين رأيي ورأيك ، وبين ما تقيمه من الحجج وما أدلى به أنا من البراهين .

(٦) مفاعلة من الذكر (بكسر فسكون) . (٧) أضر علينا الخ ، ما نهاه عنه وأراده على خلافه هو تقليل عدد الخبز على مائدته ، كما سبق . وأراده على الأمر : طلبه منه . ومعنى كون هذه المقايسة وطول هذه المذاكرة أضر الخ ، أن شيوعها بين الناس وتمسكه برأيه مما يؤدى إلى افتضاحه بينهم . ويظهر أن (علينا) محرف عن (عليك) .

(٨) صوت بغلامه : دعاه . (٩) وكان ، أى محمد بن أبى المؤمل . (١٠) جهر (بفتح فضم) الصوت جهارة (بفتح الجيم) ، فهو جهير . مصياح . (١١) قعر (بتشديد العين) فى كلامه وتقعر : تشدق وتكلم بأقصى قعرفه . وقيل : تكلم بأقصى حلقه . لسان . (١٢) تعظيم الحروف والكلمات .

(١٣) هكذا فى النسخ . وليس فيما لدينا من المراجع (شدّق) ، بفتح فتشديد الدال مفتوحة . وإنما هناك (تشدق) : لوى شدقه للتفصح . أو : فتح فمه واتسع ، كما فى اللسان . (١٤) قال فى المصباح : همزت الشىء همزا ، من باب ضرب : تحاملت عليه كالعاصر اهـ . يعنى أنه كان يضغط كلماته ، ليبالغ ويؤثر فى سامعه .

(١٥) جزم : قطع ، أى صوت لا يشوبه تردّد . (١٦) (تمام) : مصدر تم . والمراد (متمم) . ففى الأساس : وهذه الدراهم تمام المائة اهـ .

[قلت] : ومَنْ فَرَضَ (١) لَهُمْ هــذه الفَرِيضةَ ؟ ومن جَزَم (٢) عليهم هذا الجـزم ؟ أرأيتَ إنْ لم يُشْبِــع أحَدَهُم رَغِيفُه، أليس (٣) لا بُدَّ له مِنْ أنْ يُعَوِّل على رغيف صاحِبه، أو يتنحَّى (٤) وعليه بَقِيّة (٥)، أو يُعلِّق يَدَهُ (٦) مُنْتَظِرًا للعادة ؟ فقد عاد الأمرُ (٧)، وبَطَلَ ما تناظرنا فيه .

قال : لا أعلم إلا تَرْكَ الطعامِ البَتَّةَ (٨) أهْوَنَ علينا مِنْ هذه الخُصُومة !

قلتُ : هذا ما لا شَكَّ فيــه . وقد عَلِمْتَ (٩) عندى بالصواب، وأخذتَ لنفسك بالثِّقة، إنْ وَفَيْتَ (١٠) بهذا القول .

وكان أكْثَرَما يقولُ : ياغلام، هاتِ شيئًا من قَلِيَّة (١١)، وأقِلَّ منها، وأعِدَّ لنا ماءً باردًا، وأكْثِرْ منه !

وكان يقول : قد تغيَّر كُلُّ شيء من أمْرِ الدنيا، وحَالَ عن أمره وتبدَّلَ، حتى المؤاكلة .

قاتَلَ اللهُ رجالًا (١٢) كُنّا نؤاكِلهم : ما رأيتُ قَصْعةً قطُّ رُفِعَتْ مِنْ بين أيديهم إلا وفيها فَضْل !

---

(١) قلت الخ، لم نر (قلت) فى جميع النسخ التى عنــدنا . ولكن المقام يعينها ليلتئم الحوار، وإلا اختل المعنى . والاستفهام إنكارى فيه معنى التعجب .   (٢) و(جزم) : حكم حكما قاطعا .   (أرأيت) : كلمة يراد بها الاستخبار، أى أخبرنى عن حال هؤلاء الناس، ما شأنهم إن لم يشبع الخ .   (٣) اسم ليس ضمير الشأن . ويعول على رغيف صاحبه : يجور عليه .   (٤) أو يتنحى، أى فى حال عدم جوره على رغيف صاحبه .

(٥) وعليه بقية، الواو للحال، أى والحال أن عليه بقية من الطعام يأكلها . وكان مقتضى الظاهر أن يقول : (وله بقية) . ولكنه عبر (بعليه)، ليشير إلى أن أكل هذه البقية كأنه حق لازم .   (٦) أو يعلق الخ، تعليق اليد حبسها عن العمل . وقوله : منتظرا للعادة، أى لمـا هو معتاد فى الموائد من أخذ رغيف ثان بعد الفراغ من الأول . هذا ما ظهر لنا فى تفسير هذه العبارة .   (٧) فقد عاد الخ، أى رجع الأمر إلى ما كنا بصدده، وهو لومى لك على تقليل الخبز، فانك إذا جعلته على عدد الرءوس كان عليك لوم من وجه آخر، وهو احتمال ألا يكفى أحد الآكلين رغيفه، الخ .   (٨) فى اللسان . يقال : لاأفعله بتة، ولاأفعله البتة، لكل أمر لارجعة فيه . ونصبه على المصدر اه .

(٩) وقــد علمت الخ، فى المصباح : وقد يضمن [علم] معنى شعر، فتــدخل الباء، فيقال : علمته، وعلمت به، وأعلمته الخــبر، وأعلمته به اه . والمعنى : اتبعت الصواب .   (١٠) وأخذت الخ، يقال : أخذت فى الأمر بالثقة، وأخذت فيه بالوثاقة (بفتح الواو) : إذا كنت على ثقة منه . يقول : إنك إن وفيت بمـا تقول، وهو ترك إطعام الناس بتة، كنت عندى على صواب وعلى ثقة من نجاتك من الذم .   (١١) جمعها قلايا . قال فى اللسان : مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها اه .   (١٢) قاتل الخ (قاتل الله رجالا)، يراد بهذا التعبير هنا التعجب من رفعة آداب هؤلاء الناس . أى : أما رجال هذا الزمن فانهم لشراهتهم وسوء مؤاكلتهم لا يفضلون فى القصاع شيئا .

وكانوا يَعْلَمُون أنّ إحْضار الجَدْي إنّما هو شيء مِنْ آيين[١] الموائد الرَّفيعة، وإنّما جُعِل كالعاقبة والخاتِمة[٢]، وكالعَلامة للبَسْر والفَراغ[٣]، وأنّه لم يُحْضَر للتَّمْزِيق والتَّخْرِيب[٤]، وأنّ أهْلَه لو أرادُوا به السُّوء لَقدّموه قبل كلّ شيء، لِتَقَع الحِدَّةُ به. بل ما أكَلَ منه إذا جِيء به إلا العابِثُ، وإلا الذى لو لم يَرَه لقد كان رَفَعَ يده، ولم يَنْتَظِرْ غيرَه[٥]! ولذلك قال أبو الحارثِ جُمَيْنٌ، حين رآه لا يُمَسّ: هـذا المدفوعُ عنه[٦]! ولولا أنّه على ذلك شاهَدَ الناسَ لما قال ما قال.

ولقد كانوا يَتحامَوْن بيضةَ البُقَيْلة[٧]، ويَدَعُها كلُّ واحد منهم لصاحبه، حتى إنّ القَصْعَة لقد كانت تُرْفَع وإنَّ البَيْضَ خاصّةً لعلى حاله. وأنت اليومَ إذا أردتَ أن تُمَتِّع عينك[٨] بنظرة واحدة منها، ومِنْ بَيْضِ السَّلاءَة[٩]، لم تقدر على ذلك[١٠]!

لا جَرَم لقد كان تَرَكَه ناسٌ كثيرٌ، ما بهم إلّا أنْ يكونوا شُرَكاء مَنْ ساءتْ رِعَتُه[١١].

(١) سبق الكلام على هذا اللفظ فى صفحة ٥٨ — وفى نسخة (ليدن): (آنين)، وهو خطأ. وفى نسخة الشنقيطى: (أمر). يعنى أن هؤلاء الناس الذين كنا نؤاكلهم من قبل كانوا يعلمون أن إحضار الجدى لم يكن للأكل. وإنما كان عادة حسنة، وإنما جعل كالعاقبة الخ. (٢) العاقبة: الخاتمة، أى للألوان. فعطف (الخاتمة) على العاقبة للتفسير. وفى (عيون الأخبار): (كالقافية). (٣) البسر: الإعجال. والفعل من باب نصر. وفى النسخ: (لليسر). ومعناه لا يلائم المقام. فرجحنا أن تكون (لليسر) محرفة عن (للبسر).

(٤) وأنه الخ، معطوف على (أن إحضار). وفى عيون الأخبار: (للتفريق)، بدل (للتمزيق).

(٥) بل ما أكل الخ، (العابث): اللاعب، والذى يأتى بما لا فائدة فيه. وقوله: وإلا الذى الخ، أى لشبعه.

(٦) (المدفوع) هنا من قولك: دفع الله عنك المكروه، أى نحاه عنك وأبعده، أى هذا الذى لا تناله الأيدى بالأذى. والمراد التعجب. (٧) سبق الكلام عليها فى ص ١٢٣ — وقد عثرنا بعد ذلك فى مقدمة طبعة ليدن نقلا عن العلامة (غوليوس): أن بيضة البقيلة قطعة من اللحم مستديرة كالبيضة، يوضع عليها الزيت وبعض الخضر وما إلى ذلك اهـ. (٨) فى عيون الأخبار: عينيك. (٩) فى عيون الأخبار: بيضة. والسلاءة: طائر أغبر طويل الرجلين. وقد سبق شرحه. (١٠) لم تقدر على ذلك، لإسراع الآكلين إلى التهام هذا البيض. (١١) لا جرم الخ، يقول إنه ليس من العجيب أن يترك ناس كثير إطعام الناس، وليس هناك من سبب لذلك إلا أنفتهم من سوء مؤاكلة من قل أدبهم على الطعام. وفى اللسان: يقال: قوم حسنة رعتهم، أى شأنهم وأمرهم وأدبهم. وأصله من الورع اهـ. وقد سبق شرحه. فى ص ١٤١

وكان يقول : الآدامُ(١) أعداءُ للخُبْز ، وأعْدَاها له المَـالحُ(٢) . فلولا أنّ الله انتقم منه(٣) ، وأعانَ عليه بِطَلَب صاحِبِه المَـاءَ و إكْثارِه منه ، لظننتُ أنّه سيأتى على الحَرْثِ(٤) والنَّسْل(٥) !

وكان مع هذا يقول : لو شَرِبَ النّاسُ المَـاءَ على الطعام ما اتَّخموا(٦) . وأقلُّهـم عليه شُرْبا أكْثَرُهُم عنه تَخَماً . وذلك أنّ الرجلَ لا يَعْرِفُ مقـدارَ ما أَكَلَ حتى يَنَالَ من المَـاء(٧) . وربّما كان شَبْعَانَ وهو لا يَدْرِى . فإذا ازدادَ على مقـدار الحاجة بَشِمَ(٨) . وإذا نال من المَـاء شيئا بَعْدَ شىء ، عَرَّفه ذلك مقدارَ الحاجات ، فلم يَزِد إلا بِقَدْرِ المَصْلَحة .

والأطباءُ يَعْلَمُون ما أقول حَقًّا . ولكنّهم يعلمون أنّهـم لو أخَذُوا بهـذا الرأى(٩) لتعطّلُوا ، ولَذَهَبَ المَكْسَبُ ! وما حاجةُ الناس إلى المُعَالِجين إذا صَحَّت أبدانهم(١٠) ؟

وفى قَوْل جميع النـاس : إنّ ماءَ دِجْلَةَ أَمْرأُ(١١) من الفُرَات ، وإنّ ماءَ مِهْرَانَ(١٢) أمْرأ من ماء نهر بَلْخَ(١٣) ؛ وفى قول العرب : هذا ماء نَمِيرٌ(١٤) يَصْلُحُ عليه المَـالُ(١٥) ، دليـلٌ على أنّ المَـاء يُمْرِئُ ؛

(١) قال فى المصباح : الإدام : مايؤتدم به ، مائعا كان أو جامدا . وجمعه أدم ، مثل كتاب وكتب . ويسكن للتخفيف ، فيعامل معاملة المفرد ، ويجمع على آدام ، مثل قفل وأقفال اهـ . (٢) المـالح ، أى الإدام المـالح . وكون المـالح أعدى أعداء الخبز ظاهر ، لمـا يستدعيه من كثرة أكله . وقد تقدّم الكلام على لفظ (المـالح) ، وأن بعض اللغويين لا يجيزه . بل يقول : ملح ، وأن بعضهم يجيزونه . (٣) منه : من المـالح .

(٤) يراد بالصاحب هنا الآكل . (٥) الحرث والنسل : الزروع والمواشى . والمراد هنا الإتيان على كل شىء على المـائدة ، على المجاز . (٦) اتخم : أصابته التخمة . وتخم تخما (كفرح فرحا) لغة .

(٧) ينال من المـاء : يصيب منه . ومفعول نال محذف ، أى شيئا . (٨) فاذا ازداد الخ ، ازداد ، أى من الطعام . والبشم : التخمة . يقال : بشم من الطعام ، وأبشمه الطعام . (٩) لو أخذوا بهذا الرأى : لو عملوا به ، ونصحوا به الناس . (١٠) وما حاجة الخ ، استفهام إنكارى . (١١) مرؤ الطعام يمرؤ (ككرم يكرم) مراءة : هنؤ . (١٢) نهر مهران : نهر بالسند ، أعجمى . لسان . (١٣) بلخ : قاعدة خراسان . (١٤) النمر (بفتح فكسر) والنمير : كلاهما المـاء الزاكى فى المـاشية النامى . لسان .

(١٥) يصلح الخ ، المراد بالمـال هنا النعم (بفتحتين) . ويطلق على ذوات الخف والظلف : وهى الإبل والبقر والغنم . والنعم جمع لا واحد له من لفظه . ويجمع على نعمان (بضم فسكون) ، وأنعام — ومعنى كون المـال يصلح على المـاء النمير أنه يجود عليه ويترعرع وينمو .

حتى قالوا : إنّ الماء الذى يكون عليه النَّفَّاطاتُ أمْرَأ من الماء الذى يَكُونُ عليه القَيَّارات[١] .

فعليكم بِشُرْبِ الماءِ على الغَدَاء ، فإنّ ذلك أمْرَأ .

وكان يقول : ما بالُ الرجل إذا قال : يا غلام ، أسقِنى ماء، أو أسْقِ فلانا ماء ، أتاه بقُلّة على قَدْرِ الرِّى؟ فإذا قال : أطْعِمْنى شيئا ، أو قال : هاتِ لفلان طعاما ، أتاه من الخُبْز بما يَفْضُل عن الجماعة ، والطعامُ والشرابُ أخَوان مُتحالِفان ومُتَآزِرَان[٢] ؟

وكان يقول : لولا رُخْصُ الماءِ وغَلاءُ الخُبْز لَمَا كَلِبُوا[٣] على الخبز، وزَهَدُوا فى الماء . والناسُ أشَدُّ شيء تعظيما للمأكول إذا كَثُرَ ثمنه ، أو كان قليلا فى أصل مَنْبِته ، وموضِع عُنْصره[٤] . هذا الجَزَرُ الصافِى[٥] ، وهذا الباقِلّىُّ[٦] الأخضَرُ العباسِىُّ[٧] ، أطْيَبُ مِنْ كُمَّثْرَى خُرَاسَانَ ، ومن المَوْز البُسْتانىّ[٨] ! ولكنّهم لِقصَر هِمَّتِهم[٩] لا يَتَشَهَّوْنَ إلا على قدر الثَّمَن[١٠] ، ولا يَحِنُّون إلى الشىء إلّا على

(١) حتى قالوا الخ ، للنفاطة معان مختلفة ، لا يصلح منها هنا إلا (منبت النفط ، بكسر فسكون) . والقير (بكسر القاف) والقار : الزفت ، على قول ، أو شىء يشبهه . والقيارة : منبته . والظاهر أنه يقصد بكون النفاطات والقيارات على الماء ، قرب منبت النفط أو القار من آبار هذا الماء أو مجاريه ، حتى ليشم فيه رائحته ، أو يحس طعمه . ويريد بقوله : حتى قالوا الخ ، المبالغة فى إمراء الماء ، حتى فى هاتين الحالين ، فقد أثبتوا له المراءة فيهما ، وفضلوا أحد الماءين على الآخر فى تلك الخاصة . (٢) متعاونان . يقال : أزره (بتشديد الزاى) وآزره : أعانه وأسعده ، من الأزر (بفتح فسكون) ، وهو القوة والشدة . وفى نسخة (ليدن) : (متوازران) ، وكذا فى نسخة الشنقيطى . وفى المختار : والعامة تقول : وازره . (٣) فى اللسان : كلب (بفتح فكسر) على الشىء كلبا : حرص عليه حرص الكلب ، واشتد حرصه اهـ . (٤) العنصر : الأصل . (٥) نرجح أنه مقلوب عن صائف . أى إنه جزر صيفى . وليس من الصفاء . قال فى اللسان : وقول أبى فقعس فى صفة كلإ : ... صاف رتع (بفتح فكسر) ، أراد أنه نق من الأغثاء . والنبت الذى لا خير منه . فاذا كان ذلك فهو من هذا الباب . وقد يكون (صاف) مقلوبا عن صائف . أى إنه نبت صيفى ، فقلب . فاذا كان هذا فليس من هذا الباب ، وإنما هو من باب ص ى ف اهـ .
(٦) الفول ، كما سبق . (٧) نوع لعله كان منسوبا إلى العباسيين . (٨) المزروع فى البساتين .
(٩) لقصر همتهم : قصورها عن تحصيل الغالى أو القليل . (١٠) لا يتشهون الخ ، أى فتى كثر الثمن كانت الشهوة إلى الشىء أعظم .

قَدْر القِلَّة[1] . وهذه العَوَامُّ فى شَهَوات الأطعمة إنّما تذهبُ مع التقليد ، أو مع العادة ، أو على قَدْر ما يَعْظُم عندها من شأن الطعام[2] .

وأنَا لستُ أطْعِمُ الجَـزَرَ المسلوقَ بالخلِّ والزَّيت والمُرِّىّ[3] ، دونَ الكَمْأةِ[4] بالزُّبْدِ والفُلْفُـل ، لمكان الرُّخْص[5] ، أو لِمَوْضِع الاسْتِفْضال[6] ، ولكِنْ لمكان طِيبه فى الحقيقة[7] ، ولأنَّه مالحُ الطبيعة[8] ؛ عَلِمَ ذلك مَنْ عَلِمَ ، وجَهِلَ ذلك مَنْ جَهِل !

وكان إذا كان فى منزله فربّما دخلَ عليه الصديقُ له ، وقد كان تقدَّمه الزائرُ أو الزائران — وكان يَسْتَعْمِلُ على خُوانه من الخُدَع[9] والمكايد[10] والتدبير، ما لم يَبْلُغ بَعْضَه قَيْسُ بنُ زُهَيْر[11] ، والمُهَلَّبُ

---

(١) ولا يحنون الخ ، أى فكلما ندر الشيء ، كان حنينهم إليه أقوى . (٢) وهذه العوام الخ ، العامة خلاف الخاصة . والجمع عوام ، مثـل دابة ودواب . مصباح . وقوله : إنما تذهب مع التقليد ، أى لا يذهبون فى تشهيهم إلا مع تقليد غيرهم ، أى محاكاتهم والسير على سنتهم من غير تعقل . وقوله : أو مع العادة ، أى إنهم إن لم يقلدوا فى ذلك ، انساقوا مع ما اعتادوه ودرجوا عليه . فان لم يكن هذا ولا ذاك ، فعلى قدر ما يعظم الخ ، أى و إن لم يكن فى الواقع عظيما . (٣) قال فى اللسان : والمرى : الذى يؤتدم به ، كأنه منسوب إلى المرارة اهـ . وقد تقدم تفسيره . (٤) قال فى اللسان : الكمأة واحدها كمء ، على غير قياس . وهو من النوادر ، فانّ القياس العكس . والكمء نبات ينقض (بتشديد القاف مكسورة) الأرض ، فيخرج كما يخرج الفطر اهـ . وهناك أقوال أخرى فى إفراد الكمأة وجمعها . و يقال للكمأة : شحم الأرض . وهى مستديرة كالقلقاس ، لاساق لها ، ولونها إلى الغبرة . (٥) لمكان الرخص ، تعليل لقوله : (أطعم) ، أى لوجود الرخص وحصوله فى الجزر الخ . وقد تكلمنا من قبل على (مكان) فى مثل هذا المقام . (٦) السين والتاء للعد ، أى لعدّه واعتقاد أنه أفضل من غيره . (٧) ولكن الخ ، أى ولكن لأنّ الجزر المسلوق بالخل والزيت والمرى طيب فى الواقع . (٨) ولأنه الخ ، أى فيستدعى شرب الماء على الطعام . وقد تكلم على فوائد شربه على الطعام آنفا . وقد أشرنا فيما سبق إلى اختلاف اللغويين فى (مالح) و (ملح) . فليراجع . (٩) جمع خدعة (مثلثة الخاء مع تسكين الدال . و بضم الخاء وفتح الدال) : ما يخدع به . (١٠) جمع مكيدة (بفتح فكسر) ، وهى المكر والخداع . (١١) قيس بن زهير العبسى ، أمير عبس و بطلها ، وأحد السادة القادة فى غرب العراق . كان داهيا أريبا ، شاعرا شجاعا خطيبا . وأقواله الحكيمة مستفيضة . توفى سنة ١٠ هـ .

ابن أبى صُفْرَة [١]، وخَازِم بن أبى خُزَيْمة [٢]، وهَرْثَمَةُ بْنُ أعْيَن [٣]. وكان عنده فيه من الاحتيال ما لا يعرِفُه عَمْرو بن العاص [٤]، ولا المُغِيرةُ بْنُ شُعْبة [٥]. وكان كثيرا ما يُمْسِك الخِلالَ بيده، لِيُؤْيِسَ [٦] الداخلَ عليه من غَدائه ! —

فإذا دخلَ عليه الصديقُ له [٧]، وقد عَزم على إطعام الزائر والزائرَيْن قبله [٨]، وضاق صدرُه بالثالث — وإن كان قد دعاه وطلبَ إليه [٩] — أراد أن يحتال له [١٠]، أو الرابع [١١]، إن ابْتُلِيَ كلُّ واحد منهما بصاحبه [١٢].

فيقولُ عند أول دخوله [١٣]، وخَلْع نعله، وهو رافعٌ صوته بالتَّنْوِيه [١٤] وبالتَّشْنِيع [١٥]: هات يا مُبَشَّر لفلان شيئا يَطْعَمُ منه ! هاتِ له شيئًا ينالُ منه ! هاتِ له شيئًا ! اتّكالًا على خَجَله أو غَضَبِه أو أَنَفَتِه [١٦]، وطَمَعًا فى أن يقول: قد فعلتُ [١٧] !

---

(١) فى القاموس وشرحه و(البيان والتبيين): خازم بن خزيمة. (٢) هو هرثمة بن نصر الجبلى. أمير من القادة الشجعان الدهاة. ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٨ هـ. ثم وجهه إلى إفريقية لإخضاع عصاتها. فهابه أهلها، وأصلح أمورها. ثم ولاه خراسان. ثم كانت الفتنة بين الأمين والمأمون، فانحاز للمأمون، فقاد جيوشه، وأخلص له. ثم نقم عليه أمرا فحبسه، فمات فى حبس مرو سنة ٢٠٠ هـ. (٣) الضمير فى (فيه) يعود إلى الخوان، يعنى: فى أمر الخوان وشأنه وتدبيره. (٤) هو الأمير المغيرة بن شعبة الثقفى. كان من جلة الصحابة، ومن كبار القادة والساسة الدهاة. شهد حروب اليمامة وفتوح الشام واليرموك والقادسية. وهو أول من سلم عليه بالإمارة. مات وهو أمير على الكوفة سنة ٥٠ هـ. (٥) وكان الخ، فى النسخ (تمسك)، وهو تحريف. والخلال: العود تخلل به الأسنان. والجمع أخلة (بفتح فكسر فلام مشددة مفتوحة). (٦) يجعله فى يأس، مضارع آيسه. (٧) فاذا دخل الخ، رجوع إلى قوله: وكان إذا كان، إلى قوله: الزائران. (٨) هو الذى عبر عنه آنفا بقوله: الصديق له. (٩) وإن كان الخ، أى وإن كان قد دعا الثالث إلى الطعام وطلب إليه ذلك. (١٠) أراد الخ، (أراد) جواب (إذا). و(يحتال له)، أى لصد الصديق الداخل، وهو الثالث. (١١) (الرابع) معطوف على الثالث. (١٢) إن ابتلى الخ، أى إن كان هناك رابع، وابتلى كل من الثالث والرابع بصاحبه. يعنى أن اجتماع الثالث والرابع بلاء لها، لما ينجم عنه من تبرم صاحب المائدة بهما. ولا يخفى ما فى عود الضمائر فى هذه العبارة من غموض. (١٣) الضمير يرجع إلى الصديق. (١٤) قال فى اللسان: وإذا رفعت الصوت فدعوت إنسانا، قلت: نوهت اهـ. يعنى: وهو رافع صوته بنداء خادمه. (١٥) شنع عليه الأمر: قبحه، أى وهو رافع صوته بالتشنيع على القادم: بالتعريض والتلميح، أو بنبرات الصوت. (١٦) اتكالا الخ، (غضبه)، أى لكرامته، استنكارا منه لهذا التشنيع. والأنفة: الاستنكاف والكبرياء. (١٧) فعلت: أكلت أو تغديت مثلا.

فإن أخطأَ ذلك الشقيُّ، وضَعُفَ قلبُه وحُصِرَ (١) وقال : قد فعلتُ ، وعلِم أنه قـد أحرَزه وحصَّله، وألقاه وراءَ ظهره، لم يَرْضَ (٢) أيضًا بذلك حتى يقولَ : بأيِّ شيء تغَدَّيْتَ؟ فلا بُدَّ له منْ أن يكْذِب، أو ينْتَحِلَ المعارِيضَ (٣) .

فإذا استوثقَ منه رِبَاطًا، وتركَه لايستطيعُ أن يَتَرَمْرَمَ (٤)، لم يَرْضَ (٥) بذلك حتى يقول فى حديث له : كنّا عنْدَ فلان، فدخل عليه فلانٌ، فدعاه إلى غدائه فامتنع . ثم بدا له (٦) فقال : فى طعامكم بُقَيلَةٌ (٧) أنتم تجيدونها ؟

ثم تناوله (٨)، فلا يزالُ يزيدُ فى وَثَاقه، وفى سَدِّ الأبواب عليه، وفى مَنْعِه البَدَوَاتِ (٩) . حتى إذا بلَغَ الغَايةَ قال : يا مبشِّر، أمّا إذْ تغدَّى فلان واكتفى، فهاتِ لنا شيئًا نَعْبَثُ به! فإذا وَضَعُوا الطعام، أقبلَ على أشدِّهم حياء، أو على أشدِّهم أكْلا (١٠) ، فسأله عن حديث حَسَنٍ، أو عن خَبَر طويل! ولا يسأله إلا عن حديث يحتاج فيه إلى الإشارة باليد أو الرأس! كلُّ ذلك ليَشْغَلَه !

---

(١) قال فى المختار : وكل من امتنع من شىء فلم يقدر عليه فقد حصر عنه . ولهذا قيل : حصر فى القراءة، وحصر عن أهله اه . فمعنى (حصر) هنا : ضعف عن إبداء الحقيقة فى أمره . (٢) وعلم الخ، فاعل (علم) وما بعـده من الأفعال يعود إلى ابن أبى المؤمل . والضمائر المفاعيـل تعود إلى الزائر القادم . ومعنى أحرزه الخ، أنه أسره بهذا الاعتراف . (٣) (أو ينتحل المعاريض) ، انحل الشىء : ادعاه من غير أن يكون له . والمراد هنا : يتخذها ويتذرع بها . والمعاريض : جمـع معراض (بكسر فسكون) ، وهو التورية بالشىء عن الشىء من غير تصريح به — من التعريض . ومعنى فلا بد له الخ، أنه لا فرار له من أن يلجأ إلى أحد أمرين : إما الكذب، وإما التورية فرارا من الكذب . (٤) يترمرم : يتحرك . (٥) ابن أبى المؤمل . (٦) فاعلا (بدا) و (قال) يعودان إلى الزائر المحكى عنـه بقوله : فدخل عليـه فلان . أى وقوله هـذا ليس من الأدب فى شىء .

(٧) مصغر (بقلة) . ويظهر أنها كانت لونا خاصا من الطعام . وربما كانت (بقيلة) محرفة عن (بقلية) ، نسبة إلى البقل . (٨) فاعل (تناول) يعود إلى ابن أبى المؤمل ، والمفعول إلى ذلك الصديق الزائر .

(٩) (وفى منعه البدوات) ، يقال : منعه الشىء، ومنعه منه . والبدوات : جمع بداة (بفتح الباء) : ما يبدو من الرأى . يعنى : وفى منع ذلك الرجل من أن يبدو له ما قد يشعر بطلب الأكل . (١٠) أقبـل الخ ، الضمير فى (أشدهم) يرجع إلى الجالسين على المائدة . وفى نسخة الشنقيطى (حيا) . وله توجيه .

فإذا هُمْ أكلوا صَدْراً[1]، أظهرَ الفُتورَ والتَّشاغُلَ والتَّنقُّرَ[2]، كالشَّبْعان الممتلئ، وهو فى ذلك غيْرُ رافعٍ يدَه، ولا قاطعٍ أكْلَه! إنّما هو النَّتْفُ بعْدَ النتف[3]، وتعليقُ اليد[4] فى خَلَلِ ذلك[5]!

فلا بُدَّ مِنْ أن ينقبِضَ بعْضُهم ويرْفعَ يدَه. وربما شَمِلَ ذلك جماعَتَهم. فإذا علم أنّه قد أحْرَزَهُمْ واحتال لهم، حتى يَقْلَعَهُمْ مِنْ مواضعهم مِن حَوالِ[6] الخُوَان، ويُعيدَهُم إلى مَوَاضِعهم مِنْ مجالسهم، ابتدأ الأكْلَ، فأكل أكْلَ الجائع المقرور[7]!

* * *

وقال: إنّما الأكْلُ تاراتٌ، والشُّرْبُ تاراتٌ[8].

وكان كثيرا ما يقول لأصحابه، إذا بكّروا عليه: لِمَ لا نَشْرَب[9] أقداحاً على الرِّيق، فإنّها[10] تقتل الدِّيدانَ، وتَحْفِشُ لأنفسنا قليلا[11]، فإنّها تأتى على جميع الفُضُول، وتُشَهِّى الطعامَ بعْدَ ساعة؟

(١) الصدر: الطائفة من الشىء. (٢) (التنقر): هو من نقر الطائر، أى لقطه من ها هنا ومن ها هنا. ومن هذا المعنى حديث أبى ذر: فلما فرغوا جعل ينقر شيئا من طعامهم: أى يأخذ منه بإصبعه، كما فى اللسان. وقد تقدم هذا الشرح. (٣) (النتف بعد النتف): انتزاع قطعة من هنا، ثم قطعة من هناك. وهو على التشبيه بنتف الشعر. (٤) تعليق اليد: أن تكون لا فى الصحفة ولا فى الفم، كما سبق. (٥) فى خلل ذلك: فى أثناء ذلك. وأصل الخلل الفرجة فى الشىء أو بين الشيئين. وجمعه خلال. (٦) فى اللسان: وهو حوله وحوليه (بصيغة التثنية) وحواليه (بفتح اللام وسكون الياء) وحواله اهـ. وفى نسخة الشنقيطى: (من حول).

(٧) القر (بضم القاف): البرد. وقر الرجل (بصيغة المبنى للمفعول): أصابه القر. وهو مقرور. والجائع المقرور شديد النهم والاندفاع إلى الأكل. وقد سبق هذا الشرح. (٨) إنما الخ، (تارات): تارة بعد تارة. أى فتى يكون أكل لا يكون شرب، ومتى يكون شرب لا يكون أكل، كما يتضح ذلك مما يلى.

(٩) هكذا فى نسخة الشنقيطى. وفى نسخة ليدن: (تشرب). وفى تخريجها تكلف. (١٠) فانها، يريد الخمر. (١١) وتحفش الخ، حفش الشىء يحفشه (كضرب يضرب): أخرجه، كما فى اللسان. فقوله: تحفش لأنفسنا، معناه: تريح أبداننا بما تخرجه من الفضول، بضرب من المجاز. فقوله: (فإنها تأتى على جميع الفضول)، تفسير له. والمراد بالفضول ما زاد من الغذاء وغيره على الحاجة فى البدن، جمع فضل.

وسُكْره (١) أطيبُ من سُكر الكِظّة (٢) . والشرابُ على المَلِيلَة (٣) بلاء . وهو بعدَ ذلك دليلٌ (٤) على أنّ نبيذى خالص . ومَنْ لم يشرب على الرِّيق فهو نِكْسٌ فى الفُتُوّة (٥) ، ودَعِىٌّ فى أصحاب النبيذ ! وإنّما يخافُ (٦) على كَبِده مِنْ سَوْرة الشّراب على الرِّيق مَنْ بَعُدَ عَهْدُه بالّلحم (٧) . وهذه الصُّبْحَةُ (٨) تَغسِلُ عنكم الأوْضارَ (٩) ، وتَنْفِي التُّخَم (١٠) . وليس دواءُ الخُمَار (١١) ، إلا الشُّربَ بالكِبار (١٢) . ٥

والأعْشَى (١٣) كان أعْلَم به (١٤) حيث يقول :

وكأسٍ شَربتُ على لَذّةٍ وأخرى تَداوَيْتُ منها بها

(١) وسكره : سكر الشرب على الريق . (٢) الكظة : الامتلاء من الأكل . وفى اللسان : كظه يكظه (بضم الكاف) كظا : إذا ملأه حتى لا يطيق على النفس (بفتح الفاء) اهـ . (٣) فى اللسان : والملة والملال (بضم الميم) : الحر الكامن . ورجل مملول ومليل : به مليلة اهـ . وفى الأساس : به ملة ومليلة : حمى باطنة اهـ . ١٠ والمراد هنا الحرارة الناشئة من الامتلاء ، كما يظهر من المقام ، وبدليل قوله قبله : وسكره أطيب الخ . وربما كانت (المليلة) محرفة عن (المليئة) ، يريد المعدة المكتظة بالطعام . (٤) وهو الخ ، أى طلبى منكم أن تشربوا على الريق دليل الخ . يعنى أن نبيذه لو لم يكن جيدا ما دعاهم أن يشربوا على الريق . (٥) فهو نكس فى الفتوة ، فى اللسان : والنكس من الرجال : المقصر عن غاية النجدة والكرم . والجمع الأنكاس . والنكس أيضا : الرجل الضعيف اهـ . والفتوة هنا : الرجولة الكاملة . يقال : هو فتى بين (بتشديد الياء مكسورة) الفتوة . يعنى أن من ١٥ لم يشرب على الريق فهو ضعيف الكرم ، مقصر فيه . (٦) ودعى الخ ، الدعى : المنسوب إلى غير أبيه وعشيرته . والكلام على المجاز . يعنى أنه دخيل بين أصحاب النبيذ ، وليس منهم . (٧) وإنما يخاف الخ ، كأنه جواب عن سؤال نشأ مما قرره من أفضلية الشرب على الريق . والسورة : الحدة والشدة . والمراد سوء تأثير الشراب فى الكبد . و(بعد عهده باللحم) : طال انقطاعه عن أكله . (٨) فى اللسان ، والصبحة : ما تعللت به غدوة اهـ . والتعلل : التجزؤ (بتشديد الزاى مضمومة) . يقال : عللت المرأة صبيها بشىء من المرق ونحوه ، ٢٠ ليجزأ (على وزن يعلم) به عن اللبن . والمراد الشرب صباحا . (٩) جمع وضر (بفتحتين) ، وهو الدرن ووسخ الدسم واللبن ، ونحو ذلك ، كما فى اللسان . يعنى أوساخ البطن وفضلاته . (١٠) جمع تخمة . وقد تسكن الخاء . ويجوز أن يكون (التخم) هنا مصدر تخم (من باب فرح) . (١١) خمرة (بضم فسكون) الخمر وخمارها : ما أصاب من ألمها وصداعها وأذاها . (١٢) بالكبار : بالأقداح الكبار . (١٣) هو ميمون ابن قيس بن جندل ، من بنى قيس بن ثعلبة الوائلى . يعرف بأعشى قيس . من شعراء الطبقة الأولى فى الجاهلية ، ٢٥ وأحد أصحاب المعلقات . عاش طويلا . وأدرك الاسلام ولم يسلم . توفى سنة ٧ هـ . (١٤) به : بهذا الدواء .

وهذا — حفظك الله — هو اليومُ الذى كانوا لا يعاينون فيه لُقْمةً واحدة (١)، ولا يدخلُ أجوافَهم من النَّقْل (٢) مايزِنُ خَرْدَلة! وهو يوم سُروره التَّام، لأنّه قد ربح المَرْزِئَة (٣)، وتمتّع بالمُنادمة!

✦ ✦ ✦

واشترى مَرّةً شَبُّوطَةً (٤) وهو ببغداد، وأخذها فائقةً عظيمة. وغَالَى بها (٥)، وارتفع فى ثمنها.

٥ وكان قد بَعُدَ عَهْــدُه بأكل السَّمك، وهو بَصْرِىٌّ لا يَصْبِر عنه. فكانَ قد أكْبَرَ أمْرَ هذه السَّمَكة لكثرة ثَمَنها، ولِسِمَنها وعِظَمها، ولِشدّة شَهْوَته لها!

فحينَ ظنَّ عند نفســه (٦) انّه قد خلا بهــا، وتفرَّدَ بأطايبها (٧)، وحَسَر عن ذِراعيــه (٨)، وصَمَدَ صَمْدَها (٩)، هجمتُ عليه ومعى السَّدْرِىُّ (١٠)!

فلما رآه رأى الموتَ الأحْمَر (١١)، والطاعونَ الجــارِفَ، ورأى الحَتْمَ (١٢) المَقْضِىَّ، ورأى قَاصمةَ (١٣)

١٠ الظَّهر، وأيْقَنَ بالشَّرّ، وعلم أنّه قد ابْتُلِىَ بالتِّنِّين (١٤)! فلم يُلبِثْه (١٥) السَّدْرِىُّ حتى قَوَّر السُّرَّةَ بالمبَال (١٦)!

---

(١) وهذا الخ، من كلام الجاحظ، تعليقا على نصيحة ابن أبى المؤمل لأصحابه. (٢) ما يتنقل به على الشراب. وليس مقيدا بشىء خاص من الطعام. واختلف فى ضبط الكلمة: فبعضهم يضبطها بضم النون وسكون القاف، وبعضهم بفتح وسكون القاف، وبعضهم بفتح النون والقاف معا. (٣) من معانى الرزء والمرزئة: أن تصيب خيرا ما من غيرك، كما سبق. وهو ما يلائم هــذا المقام. ومعنى ربحه لمرزئتهم هنا أنه لم يطعمهم. فهــذا

١٥ ربح له فى ذلك اليوم. وفى اللسان: ورزأه يرزؤه (بفتح الزاى) رزءا ومرزئة: أصاب منــه خيرا ما كان اهـ.

(٤) واحدة الشبوط. ضرب من السمك، رقيــق الذنب، عريض الوسط، صغير الرأس، لين الملمس. وهو أعجمىّ اهـ من اللسان. (٥) (غالى بها): دفع فيها ثمنا غاليا. فقوله: (وارتفع فى ثمنها): إطناب.

(٦) (عند نفسه)، من قبيل الإطناب. (٧) خيارها، جمع أطيب. ويقال أيضا: مطايب. ولا واحد له من لفظه، على الراجح. (٨) (حسر عن ذراعيه): كشف عنهما. (٩) (صمد صمدها):

٢٠ قصد إليها. وفى اللسان: وصمد صمد الأمر: قصد قصده اهـ. (١٠) من أصحاب الجاحظ. كأنه منسوب إلى السدر، وهو النبق. ولم نعثر على اسمه الكامل. وتجد له محاورة طريفة مع الجاحظ، فى (أدب الجاحظ) للسندوبى.

(١١) الموت الأحمر: الشديد. وقيل: الموت الأحمر: موت القتل. وذلك لمــا يحدث عن القتل من الدم اهـ من اللسان. (١٢) (الحتم): القضاء. (١٣) (قاصمة) صفة لموصوف محذوف، أى الداهية أو البلية قاصمة الظهر مثلا. وقصم الشىء: كسره حتى يبين، أى ينفصل. (١٤) التنين: ضرب من الحيات، من أعظمها، كأكبر

٢٥ ما يكون منها. لسان. (١٥) (فلم يلبثه): فلم يمهله. (١٦) بالمبال: بمحل البول من السمكة، على ظنه.

فاقبلَ علىّ فقال لى : يا أبا عثمان ، السِّــدْرِىُّ يُعجِبُه السُّرَرَ [١] ! فما فَصَلَتِ الكلمةُ من فيه حتى قَبَضَ على القَفَا ، فانتزعَ الجانِبَيْن جميعا ! فأقبـلَ علىّ فقال : والسِّدْرِىُّ يُعْجِبه الأَقْفَاءُ ! فما فرغَ من كلامه إلا والسِّدْرِىُّ قد اجْتَرَفَ المَتْنَ [٢] كلَّه ! فقـال : يا أبا عثمان ، والسِّــدْرِىُّ يُعْجِبه المُتُونُ !

ولم يَظُنَّ أنَّ السِّدْرِىَّ يعرِفُ فَضِيلةَ ذَنَبِ الشَّبُّوطِ وعُذوبةَ لحمه . وظنَّ أنَّه سيَسْلَمُ له . وظنَّ معرفةَ ذلك [٣] من الغامِض . فلم يَدْرِ إلا والسِّدْرِىُّ قـد اكتسحَ ما على الوجهين [٤] جميعا !

ولولا أنّ السدرىَّ أبْطَرَه [٥] ، وأثقلَه [٦] ، وأكْمَدَه [٧] ، وملأَ صَدْرَه [٨] ، وملأه غيظا ، لقد كان أدْرَكَ [٩] معه طَرَفا [١٠] ؛ لأنه كان من الأَكَلَة . ولكنَّ الغَيْظَ كانَ من اعوان السِّدْرِىِّ عليه .

فلما أكَلَ السِّــدْرِىُّ جميع أطايبها ، وبَقِىَ هو فى النَّظَّـارة [١١] ، ولم يبق فى يده مما كان يأمُلُه فى تلك السمكة إلا الغيظُ الشديد ، والغُرْمُ الثقيل ، ظنَّ أنَّ فى سائر [١٢] السمكة ما يُشْبعه ، ويَشْفِى من قَرَمِه [١٣] . فبذلك كان عَزاؤه . وذلك هو الذى كان يُمْسِك بأرْماقه [١٤] ، وحُشَاشاتِ نَفْسِه [١٥] !

فلما رأى السِــدرىَّ يَفْرى الفَرِىَّ [١٦] ، ويلتهِم التهاما [١٧] ، قال : يا أبا عثمانَ ، السِّدرِىُّ يُعجِبه كُلُّ شىء !

---

(١) (فصلت) : خرجت . وبابه جلس . (٢) ظهر السمكة . (٣) (ذلك) : فضيلة ذنب الشبوط ومزاياه . (٤) الوجهين ، يريد وجهى الذنب ، أى جانبيه . (٥) (أبطره) : أدهشه .

(٦) كأنه وضع عليه ثقلا ، بما عمله معه . (٧) الكمد : أشدّ الحزن . وقد كمد (من باب فرح) ، فهو كمد وكميد (بفتح فكسر فيهما) . وأكمده الحزن . (٨) (وملأ صدره) ، أى حقدا وحفيظة . (٩) ابن أبى المؤمل .

(١٠) جـــزءا . (١١) فيمن ينظرون ، لا فيمن يأكلون . (١٢) (سائر) هنا بمعنى بقية .

(١٣) القرم : شدة الشهوة إلى اللحم . وقد قرم إلى اللحم (من باب فرح) . (١٤) جمع رمق ، بفتحتين ، وهو بقية الحياة أو الروح ، أو آخر النفس (بسكون الفاء) . (١٥) فى اللسان : الحشاشة : روح القلب ، ورمق حياة النفس . (١٦) فى اللسان : يقال : فلان يفرى الفرى : إذا كان يأتى بالعجب فى عمله اهـ .

(١٧) لهمه (كسمع) لهما (بسكون الهاء وفتحها) ، وتلهمه ، والتهمه : ابتلعه بمرة اهـ من القاموس .

فتولَّد الغيظ فى جوفه[1] ، وأقلقته الرِّعْدة ، نخبُثت نفسه[2] . فما زال يقىء ويَسْلَح ! ثم ركبته الحُمَّى !

وصحَّت توبتُه ، وتمّ عزْمُه فى ألّا يؤاكل رَغيبا[3] أبدا ، ولا زَهيدا[4] ، ولا يشترى سمكةً أبدا ، رخيصةً ولا غاليةً ، و إن أهدَوْها إليه ألّا يقبلها[5] ، و إنْ وجدها مطروحةً لا يمسّها .

فهذا ما كان حضرنى من حديث ابن أبى المؤمّل . وقد مات . عفا الله عنَّا وعنه !

إلى هنا ينتهى الجزء الأوّل من (كتاب البخلاء)

و يليه الجزء الثانى ، وأوّله : قصّة أسَد بن جانى

(١) الجوف : البطن . أى : فى نفسه ، على المجاز . (٢) نخبثت نفسه : مال إلى التهوع . وفى الأساس : هذا مما يخبث النفس اه . (٣) فى الأساس : ورجل رغيب : واسع الجوف أكول اه . (٤) زهيدا : قليل الرغبة فى الأكل . (٥) و إن أهدوها الخ ، أى و إن أهداها إليه أصحابه . وأصل التركيب : وألا يقبلها إن أهدوها إليه .

الفهارس فى آخر الجزء الثانى

محتـــويات

الجـــزء الأوّل من (كتاب البخلاء)

صفحة

* * *

كَمُل طبع الجزء الأوّل من "كتاب البخلاء" بمطبعة دار الكتب المصرية
فى يوم الأحد ٢٣ رجب سنة ١٣٥٧ (١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٨) م

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٧/٤٠/١٠٠٠٠)